

نفسناير القُرآن العزیز

لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِينَ
(٢٢٤ - ٢٩٩ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة محمد بن مصطفى الكعز

المجلد الثاني

المائدة - النخل

الناشر
القائِدُ وَالْمُنَاشِئَةُ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

الناشر : **إِذَا وَقَعَتِ الْطُّيُوفُ وَالنَّجْمُ**

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **تفسير القرآن العزيز**

تأليف : **أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين**

تحقيق : **حسين بن عكاشه و محمد مصطفى الكنز**

رقم الإيداع: ١٧٧٧٥ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5704-68-5

الطبعة : الأولى

سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : **إِذَا وَقَعَتِ الْطُّيُوفُ وَالنَّجْمُ**



تفسير سورة المائدة

وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْفُسِ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ
غَيْرُ مَحِلٍّ فِي الْغَبْدِ أَنْتُمْ حُرُّمْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعْيَكُمْ اللَّهُ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَيْنِ الْحَرَامِ يَنْفَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
أَنْ تَعْتَدُوا وَتَمَازِنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيلَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْا الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْسَتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ قال الكلبي: يعني: العهد التي
أخذ الله على العباد فيما أحل لهم وحرم عليهم ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾
والأنعام: الإبل والبقر والغنم^(١) ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يقول: مما حرم عليكم
من الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك مما نهى عنه.

(١) والأنعام واحدها: نَعَم. ينظر لسان العرب (نعم).

﴿غير محلي الصيد﴾ من غير أن تحلوا الصيد ﴿وأنتم حرم﴾.
 ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا
 القلائد ولا آمين البيت الحرام﴾ وكان هذا قبل أن يؤمروا بقتال المشركين
 كافة.

قوله: ﴿ولا القلائد﴾ يعني: أصحاب القلائد^(١)، وكانت القلائد أن الرجل
 إذا خرج من أهله حاجًا أو معتمرًا، وليس معه هدي جعل في عنقه قلائد من
 شعر أو [وَبَرٍ، فَاْمِنَ]^(٢) بها إلى مكة وإذا (٧٨٧) خرج من مكة تعلق من
 لحاء^(٣) شجر مكة، فيأمن به إلى أرضه.

وقوله: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ يعني: حجاج المشركين، والفضل
 والرضوان الذي كانوا يبتغونه أن يصلح الله لهم معاشهم في الدنيا، وألا
 يعاقبهم فيها.

قال محمد: واحد ﴿آمين﴾ آم؛ وهم القاصدون^(٤)، وشعائر الله: ما جعله
 الله علمًا لطاعته، واحدها: شعيرة^(٥)، والشهر الحرام (محرم)^(٦)؛ يقول: لا
 تقاتلوا فيه.

﴿وإذا حللتُم فاصطادوا﴾ أي: إذا خرجتم من إحرامكم وهي إباحة؛ إن

(١) ويجوز أن يكون المراد: القلائد حقيقة. ينظر الدر المصون (٤٨١/٢) والقلائد: واحدها
 قلادة: وهي ما يعلق في العنق، يكون ذلك للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تهدى.
 ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (قلد).

(٢) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٣) المراد: قشر الشجر، والجمع: ألجيةٌ ولُجِي. ينظر لسان العرب (لحو).

(٤) لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (أم).

(٥) لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (شعر).

(٦) سقط من «ر».

شاء صاد ، وإن شاء ترك .

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ لا يحملنكم بغض قوم .

﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ .

قال الكلبي: يعني بالقوم: أهل مكة؛ يقول: لا تعتدوا عليهم؛ لأن صدوكم عن المسجد الحرام .

وقال الحسن: كان هذا حين صدوه يوم الحديبية عن المسجد الحرام .

قال محمد: ﴿يجرمكم﴾ حقيقته في اللغة: يُكْسِبُكُمْ؛ يقال: فلان جارم

أهله [وجرمة أهله] ^(١) أي: كاسبهم، وتقول: جرمني كذا؛ أي: كسبني كذا . وفيه لغة أخرى: أجرمني ^(٢) .

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ يعني: ما ذبح لغير اسم الله .

قال محمد: أصل الإهلال: رفع الصوت ^(٣)؛ فكأن المعنى: ما ذكر عند ذبحه غير اسم الله .

﴿والمنخنقة﴾ قال الحسن: هي التي تختنق في حبلها فتموت، وكانوا

يأكلونها ﴿والموقوذة﴾ كانوا يضربونها بالخشبة حتى تموت، ثم يأكلونها .

قال محمد: الوقذة: الضربة؛ يقال: وَقَذْتُهَا أَقَذُّهَا وَقَذًا، وفيه لغة أخرى: أوقذتها أوقَذها إيقاذًا ^(٤) .

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر» .

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جرم) .

(٣) ينظر: المصادر السابقة (هلل) .

(٤) ينظر: المصادر السابقة (وقذ) .

﴿والمرتدية﴾ التي تتردى في بئر فتموت ﴿والنطيحة﴾ يعني: الكبشين [يتناطحان] ^(١) فيموت أحدهما.

﴿وما أكل السبع إلا ما ذكيت﴾ يعني: ما أدركتم ذكاته من هذا كله ما خلا الخنزير ﴿وما ذبح على النصب﴾ حجارة كانت [يعبدها] ^(٢) أهل الجاهلية، ويذبحون لها ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ قال قتادة: هي القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور، فكان الرجل إذا أراد سَفَرًا أخذ قدحًا؛ فقال: هذا يأمرني بالخروج، ويأخذ قدحًا آخر فيقول: هذا يأمرني بالمكوث.

قال محمد: أخذ الاستقسام من القسم، وهو النصيب؛ فكان الاستقسام طلب النصيب ^(٣).

﴿اليوم يش الذين كفروا من دينكم﴾ قال الحسن: يشوا [أن] ^(٤) يستحلوا فيه ما استحلوا في دينهم.

﴿فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنها نزلت على نبي الله ﷺ يوم الجمعة، يوم عرفة حين [نهى] ^(٥) الله المشركين عن المسجد الحرام، وأخلص للمسلمين حَجَّهم.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن عمار مولى بني هاشم، عن ابن عباس «أنه قرأ هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ وعنده رجل من اليهود؛ فقال اليهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. فقال ابن

(١) في الأصل: يتناطحان. والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: يعبدونها. والمثبت من «ر».

(٣) لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قسم).

(٤) في الأصل: أي. والمثبت من «ر».

(٥) في الأصل: نفى.

عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم جمعة، ويوم عرفة^(١).
 ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ قال قتادة: أي: في مجاعة^(٢)؛ رجع إلى
 الكلام الأول من قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم...﴾ إلى آخر الآية
 ﴿غير متجانف لإثم﴾ أي: يتعمده^(٣).

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ
 مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
 ١٠ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ
 وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 مُحْصِينَ غَيْرَ مُسَوِّغِينَ وَلَا مُخْذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي
 الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾ يعني: الحلال من
 الذبائح.

﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين﴾ أي: مضرين^(٤) ﴿تعلمونهن مما

(١) رواه الطيالسي (٣٥٣ رقم ٢٧٠٩) والترمذي (٢٢٣/٥ رقم ٣٠٤٤) والطبري في تفسيره (٦/ ٨٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٨٤-١٨٥ رقم ١٢٨٣٥) والواحدى في أسباب التزول (ص ١٤٠) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة به.
 وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس، وهو صحيح.
 قلت: وهو ثابت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه البخاري (٨/ ١١٩ رقم ٤٦٠٦) ومسلم (٤/ ٢٣١٢-٢٣١٣ رقم ٣٠١٧).

(٢) في «ر»: جماعة. وهو تصحيف عن الصواب.

(٣) في «ر»: متعمد.

(٤) الضاري من الجوارح: المدرَّب على الصيد. لسان العرب (ضرى).

علمكم الله ﴿ قال مجاهد: الجوارح هي من الطير والكلاب. قال محمد: ﴿مكَلِّين﴾ نصب على الحال^(١)؛ يقال: رجل مُكَلَّب وكَلَّاب؛ إذا كان صاحب صيد بالكلاب^(٢)؛ المعنى: وأحل لكم صيد ما علمتم؛ وهذا من الاختصار [إذ كان في الكلام ما]^(٣) يدل عليه. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْحِسَابِ ﴿ قال السدي: (٧٩ ل) يعني: كأنه قد جاء الحساب.

﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ يعني: ذبائحهم ﴿وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ المحصنات ها هنا: الحرائر، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ يعني: الصداق إذا [سمى]^(٤) لها، ولا بأس أن يدخل عليها قبل أن يعطيها إياه.

﴿محصنين غير مسافحين﴾ يعني: ناكحين غير زانين ﴿ولا متخذي أخدان﴾ يعني: الخليل والخليلة في السر.

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ قال قتادة: لما نزل تحليل نساء أهل الكتاب؛ ذكر لنا أن رجالاً قالوا: كيف نتزوج نساء على غير ديننا؟ فأنزل الله: ﴿ومن يكفر بالإيمان...﴾ الآية.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى

(١) وفيه تفصيل نحوي ينظر من: البحر المحيط (٢٩/٣)، الدر المصون (٢/٤٨٩).

(٢) قال الزجاج: (رجل مُكَلَّب - يعني بالتشديد - ومُكَلَّب - يعني من: أكل، وكلاب - يعني: بتضعيف اللام - أي: صاحب كلاب. الدر المصون (٢/٤٨٩)، لسان العرب (كلب).

(٣) بياض في الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾ الآية.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء: «أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدها بوضوء. قالت: فأتيته بئاء [فيه ماء]»^(١) قدر مُدٌّ وثلاث (أو مُدٌّ وربيع)^(٢) فغسل يديه ثلاثاً قبل أن يدخلهما في الإناء، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وغسل ذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وما أدبر، ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما، وغسل رجليه [ثلاثاً]^(٣) قالت: فأتاني غلام من بني عبد المطلب -يعني: ابن عباس- فحدثه هذا الحديث، فقال: أبى الناس إلا الغسل، ولا أجد في كتاب الله إلا المسح»^(٤).

(١) في الأصل: بها ماء.

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٥٨/٦) والحميدي (١٦٣/١-١٦٤ رقم ٣٤٢) والدارقطني (٩٦/١) رقم ٥.

والبيهقي (٧٢/١) من طريق سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل به. وقال البيهقي: فهذا - إن صح - فيحتمل أن ابن عباس كان يرى القراءة بالخفض، وأنها تقتضي المسح، ثم لما بلغه أن النبي ﷺ تواعد على ترك غسلهما أو ترك شيء منهما ذهب إلى وجوب غسلهما، وقرأها نصباً، وقد روي عنه أنه قرأها نصباً.

وقد روى حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع دون قول ابن عباس، جماعة كثيرة.

وقد روي نحو قول ابن عباس هذا عن أنس وغيره، ذكرها ابن كثير في تفسيره (٢٥/٢) =

﴿وإن كنتم جنبًا فاطهروا﴾.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة (عن الحسن)^(١)، عن أبي هريرة قال: «تحت كل شعرة جنباً؛ فاغسلوا الشعر، وأنقوا البسر»^(٢).

= ثم قال: فهذه آثار غريبة جدًا، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض- يعني: قراءة من قرأ ﴿وأرجلكم﴾ -بالجر- إما على المجاورة وتناسب الكلام كما في قول العرب: جحر ضب خرب، وكقوله تعالى: ﴿عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ وهذا سائغ ذائع في لغة العرب شائع، ومنهم من قال هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان، قاله أبو عبد الله الشافعي رحمهما الله ومنهم من قال: هي دالة على مسح الرجلين، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة، وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً لا بد منه للأية والأحاديث التي نوردتها. ثم ذكر ابن كثير رحمهما الله الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه.

(١) سقط من «ر».

(٢) ورواه الحارث بن وحيه عن مالك بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً. خرجه أبو داود (٢٧١/١) رقم (٢٥٢) والترمذي (١٧٨/١) رقم (١٠٦) وابن ماجه (١٩٦/١) رقم (٥٩٧) والعقيلي في الضعفاء (٢١٦/١) وابن عدي والبيهقي في السنن (١٧٩، ١٧٥/١) وغيرهم.

وقال أبو داود: الحارث حديثه منكر، وهو ضعيف. وقال أبو حاتم نحوه، علل الحديث (٢٩/١) رقم (٥٣).

وقال الترمذي: حديث الحارث بن وحيه حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديثه، وهو شيخ ليس بذلك، وقد روى عنه غير واحد من الأئمة، وقد تفرد بهذا الحديث، عن مالك بن دينار.

وقال العقيلي: لا يتابع عليه، وله غير حديث منكر.

وقال البيهقي: تفرد به موصولاً الحارث بن وحيه، والحارث بن وحيه تكلموا فيه. وقال الشافعي: ليس بثابت. قال البيهقي: وأنكره غيره أيضاً من أهل العلم بالحديث: البخاري وأبو داود السجستاني وغيرهما، وإنما يروى عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن الحسن عن أبي هريرة موقوفاً. اهـ.

وقال الدارقطني في اللعل (١٠٤/٨): ورواه أبان العطار، عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ولا يصح مستنداً، والحارث بن وحيه من أهل البصرة ضعيف.

قال محمد: يقال: رجل جنب، وامرأة جنب، وكذلك في الثنية والجمع؛ هذا أفصح اللغات^(١).

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر...﴾ إلى قوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ قد مضى تفسيره في سورة النساء^(٢).

﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ أي: من ضيق.

﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ من الذنوب ﴿وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا؛ فتدخلوا الجنة.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٩) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١٠)

﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم؛ وتفسيره في سورة الأعراف^(٣).

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ بالعدل؛ وهي

(١) وقيل: ورد له جمع، وهو: أجناب وجُنُبون. ينظر لسان العرب مختار الصحاح (جنب).

(٢) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا...﴾ (النساء: ٤٣).

(٣) أي: قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم...﴾ الآية. (الأعراف: ١٧٢).

الشهادة تكون عند الرجل ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي: فإنه من التقوى .
﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ أي: وفي الوعد لهم مغفرة لذنوبهم . ﴿وأجر عظيم﴾ الجنة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

فِيمَا نَقُضُهُمْ بِيَعْقِبُهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ قال الحسن: «كان رسول الله ﷺ يبطن نخل مُحاصِرًا غطفان، وهو متقلد سيفه، فجاءه رجل كانت قريش قد بعثته ليفتك برسول الله؛ فقال: يا محمد، أرني سيفك هذا أنظر إليه، فقال: هاك . فأخذه؛ فجعل ينظر إلى السيف مرة، وإلى رسول الله مرة؛ فقال: أما تخافني يا محمد؟ قال: لا . فغمد سيفه، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالرحيل»^(١) .

(١) روى البخاري (٧/ ٤٩٠-٤٩١ رقم ٤١٣٦، ٤١٣٧، ٤٩٤/٧ رقم ٤١٣٩)، ومسلم (٤/

١٧٨٧-١٧٨٨ رقم ٨٤٣) عن جابر نحو هذه القصة .

﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ قال الحسن: فما ضمنوا عنهم من شيء قبلوه وفعلوه.

قال محمد: النقيب في اللغة هو كالأمين وكالكفيل؛ يقال: نَقَّبَ الرجل على القوم يُنْقَبُ^(١). قال مجاهد: فأرسلهم موسى إلى الجبارين.

﴿وقال الله إني معكم﴾ على الشرط ﴿لئن أقمتُم الصلاة وآتيتُم الزكاة وآمتُم برسلي وعزرتُموهم﴾ أي: نصرتموهم ﴿وأقرضتُم الله قرضاً حسناً﴾ يعني: الصدقة والنفقة في الحق ﴿لأكفروا عنكم سيئاتكم﴾.

(٨٠ ل) قال محمد: العزr في اللغة معناه: الرد^(٢) فتأويل: ﴿وعزرتُموهم﴾: نصرتموهم؛ بأن رددتُم عنهم أعداءهم. وتقول أيضاً: عزرت فلاناً؛ إذا أدَّبْتُهُ، ومعناه: فعلت به ما يردعه عن القبيح^(٣).

قال مجاهد: فلما أرسل موسى من كل سبط نقيباً إلى الجبارين وجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم، ثم يلقيهم إلقاء، فرجع النقباء كلهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع بن نون وكالوب؛ فإنهما أمرا الأسباط بقتال الجبارين ومجاهدتهم؛ فعصوهما.

﴿فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل﴾ يعني: قصد الطريق ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ (أي: فبنقضهم ميثاقهم)^(٤) ﴿لعناهم﴾ يعني باللعن: المسخ؛

(١) نَقَابَةٌ، فهو نَقِيبٌ، والجمع: نَقَبَاء. لسان العرب (نقب).

(٢) يقال: عَزَرَهُ يَغْزِرُهُ عَزْراً؛ أي: رَدَّهُ ومنعه. لسان العرب (عزر).

(٣) ومنه أخذ التعزير، الذي هو تأديب لا يبلغ الحد الشرعي. لسان العرب، المعجم الوسيط (عزر).

(٤) سقط من «ر».

فجعل منهم قردة وخنازير مسخوا في زمان داود قردة، وفي زمان عيسى خنازير ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ وهو ما حرفوا من كتاب الله.

﴿ونسوا حظًا مما ذكروا به﴾ أي: نسوا كتاب الله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده.

﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم﴾ يعني: من آمن منهم. قال محمد: الخائنة والخيانة واحدة، وقد يجوز أن تكون الخائنة صفة للرجل؛ كما يقال: رجل طاغية، وراوية للحديث^(١).
﴿فاعف عنهم واصفح﴾ وهذا منسوخ^(٢).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَعَسَوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٤﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى غير المذكورة، ينظر: إعراب القرآن (١/٤٨٧) مجمع البيان (٢/ ١٧٢) الدر المنصون (٢/٥٠١-٥٠٢).

(٢) قيل: نسخ بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ إلى قوله: ﴿وهم صاغرون﴾ (التوبة: ٢٩) وانظر الناسخ والمنسوخ (٤١).

يَهْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمَّهُ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ أي: كما أخذنا ميثاق اليهود
﴿فنسوا حظًا مما ذكروا به﴾ هي مثل الأولى.

﴿فأغرنا بينهم العداوة﴾ أي: ألقينا بينهم العداوة ﴿والبغضاء﴾ قال
الحسن: يعني به: عامتهم.

قال محمد: ﴿أغرنا﴾ حقيقته في اللغة: ألصقنا^(١)، وتأويل العداوة
والبغضاء؛ أي: صاروا فرقًا؛ يكفر بعضهم بعضًا.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ قال قتادة: هو محمد.

﴿يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ يعني: ما حرفوه منه
وأنفقوا الحق فيه^(٢).

﴿ويعفو عن كثير﴾ مما كان حرم عليهم؛ أي: يحله لهم.

﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ يعني: القرآن ﴿يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبيل السلام﴾ والسلام هو الله؛ كقولهم: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ فَأَجَبَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَقَدْ أُوتِيَ بِلِ

(١) وهو مأخوذ من الغراء؛ يقال: غري به يغري غري وغراء أي: تعلق به ولزمه؛ كأنه ألصق به
بالغراء. لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (غري).

(٢) في «ر»: وأخبر الله نبيه.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ قالت اليهود لأنفسها، وقالت النصارى لأنفسها.

قال الحسن: يقولون: قُرُنَا من الله وَحُبُّه إيانا كقُرْب الولد من والده، وكحب الوالد ولده؛ ليس على حد ما قالت النصارى لعيسى قال الله للنبي: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فجعل منكم القردة والخنازير، لو كان لكم هذا القرب، وهذه المحبة ما عذبكم!

﴿بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ للكافرين.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ وهو محمد ﴿يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا﴾ لثلاث تقولوا ﴿يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير﴾ (يشير) ^(١) بالجنة ﴿ونذير﴾ ينذر من النار.

قال قتادة: ذكر لنا أن الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة، أو ما شاء الله من ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ

وَجَعَلَكُمْ مِلُوكًا ۖ وَإِنَّكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقُولُ أَذْخَلُوا الْأَرْضَ
الْمُقَدَّسَةَ إِلَيَّ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ
إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا
دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَذْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابُ
فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

﴿واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء
وجعلكم ملوكاً﴾ تفسير مجاهد: جعل لكم أزواجاً وخدماء [ويؤنث] (١). قال
الكلبي: وكان منهم في حياة موسى ﷺ اثنان وسبعون نبياً.

قوله: ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ يعني: ما ظلل عليهم من
الغمام، وأنزل عليهم من المن والسلوى (وأشبهه ذلك) (٢) مما أوتوا.
﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ يعني: التي بورك فيها، وهي [الشام] (٣)
﴿التي كتب الله لكم﴾ أن تدخلوها.

﴿ولا تترددوا على أدباركم فتنقلبوا﴾ (٨١) إلى الآخرة ﴿خاسرين﴾
﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين...﴾ إلى قوله: ﴿فلا تأس على القوم
الفاسقين﴾ قال الكلبي: كانوا بجبال أريحا من الأردن فَجَبْنِ القوم أن
يدخلوها؛ فأرسلوا جواسيس من كل سبط رجلاً؛ ليأتوهم بخبر الأرض
المقدسة، فدخل الاثنا عشر؛ فمكثوا بها أربعين ليلة ثم خرجوا، فصدق اثنان

(١) يياض بالأصل. والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وكذب عشرة، فقالت العشرة: رأينا أرضًا تأكل أهلها، ورأينا بها حصونًا منيعة، ورأينا رجالًا جبابرة، ينبغي للرجل منهم مائة منا، فجبنت بنو إسرائيل فقالوا: والله لن ندخلها حتى يخرجوا منها؛ فإن يخرجوا منها فإنا داخلون.

قال رجلان أحدهما: يوشع بن نون، والآخر: كالوب؛ وهما اللذان قال الله: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ بمخافتهما الله: نحن أعلم بالقوم من هؤلاء؛ إن القوم قد ملئوا منا رعبًا.

﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.

﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَوْ نَدَخَلُهَا أَبدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

﴿قالوا يا موسى﴾ أي كذب منا عشرة ويصدق اثنان؟! ﴿إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها...﴾ الآية، وكان موسى ﷺ (حديدًا) (١) فقال: ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي: وأخي لا يملك إلا نفسه ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ يعني: قومه.

قال الله لموسى إذ سميتهم فاسقين: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس﴾ فلا تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ فتاهوا

(١) في «ر»: حزينا.

أربعين سنة.

قال الكلبي: لما قالوا: إنا لن ندخلها أبداً، قال الله: فإنها محرمة عليهم أبداً، وهم مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة. قال: فلم يدخلها أحد ممن كان مع موسى، هلكوا (أجمعون) ^(١) في التيه إلا رجلين: يوشع بن نون، وكالوب، وأنزل عليهم في تلك الأربعين سنة المن والسلوى، وثياباً لا تخرق ولا تدنس تشب ^(٢) مع الصغير، وخفافاً ^(٣) لا تخرق، فكان لهم ذلك في تيههم؛ حتى دخلوا أريحا.

قال يحيى: دخلها أبناؤهم، ويوشع بن نون وكالوب.

قال مجاهد: ومعنى «يتيهون في الأرض» كانوا يصبحون حيث يمسون، ويمسون حيث يصبحون، وفي تيههم ذلك ضرب لهم موسى الحجر.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِذَى إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَبُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ هَذَا الْقَرَابِ فَأُورِى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

(١) في «ر»: أجمعين.

(٢) أي: تكبر وتطول.

(٣) واحداً: خف.

﴿واتل عليهم﴾ اقرأ عليهم ﴿نبأ ابني آدم﴾ أي: خبرهما ﴿إذ قربا قربانًا...﴾ الآية.

قال الكلبي: كانت حواء تلد في [كل] ^(١) بطن اثنين: غلامًا وجارية؛ فولدت في أول بطن قابيل وأخته، وفي البطن الثاني هابيل وأخته؛ فلما أدركوا ^(٢)، أمر آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل، وهابيل أخت قابيل؛ فقال آدم لامرأته الذي أمر به، فذكرته لابنيها فرضي هابيل بالذي أمر به وسخط قابيل لأن أخته كانت أحسنهما؛ فقال: ما أمر الله بهذا قط، ولكن هذا عن أمرك يا آدم! قال آدم: فقربا قربانكما؛ فأيكما كان أحق بها، أنزل الله نازًا من السماء فأكلت القربان. فرضيا بذلك؛ فعمد هابيل، وكان صاحب ماشية إلى خير غذاء غنمه وزيد ولبن، وكان قابيل زراعا فأخذ من ثمر زرعه، ثم صعدا الجبل وآدم معهما، فوضعا القربان على الجبل فدعا آدم ربه، وقال قابيل في نفسه: ما أدري أيقبل مني أم لا؟ لا ينكح هابيل أختي أبدًا، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتجنبت قربان قابيل؛ لأنه لم يكن زاكي القلب، فنزلوا من الجبل [فانطلق قابيل إلى هابيل وهو في غنمه فقال: لأقتلك] ^(٣) قال: لم؟ قال: لأن الله تقبل منك، ورد علي قرباني، [وتنكح أختي الحسنی، وأنكح أختك القبيحة] ^(٣) ويتحدث الناس بعد اليوم أنك خير مني. فقال له هابيل: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ (٨٢ل) ﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمك وإثمك﴾ قال قتادة: يعني: بإثمك: قتلي، وإثمك: الذي مضى؛ يعني: من قبل قتلي.

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) أي: بلغوا سن الزواج.

(٣) بياض بالأصل. والمثبت من «ر».

﴿فطوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ قال مجاهد: يعني: فشجّعته نفسه فقتله
﴿فأصبح من الخاسرين﴾ الذين خسروا الجنة.

يحيى: عن خالد، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ
لَكُمْ ابْنِي آدَمَ مَثَلًا؛ فَخُذُوا بِخَيْرِهِمَا، وَدَعُوا شَرَّهُمَا»^(١).

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية.

قال الكلبي: وكان قتله عشية، وغدا إليه غدوة لينظر ما فعل؛ فإذا هو
بغراب حي يحثي التراب على غراب ميت، فقال: «يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ
مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوَارِي سَوْءَ أَخِي» كما يوارى هذا الغراب سوء أخيه!!
فدعا بالويل، وأصبح من النادمين.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ
فَسَادَ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ
فِي الْأَرْضِ لَمُتْرِفُونَ﴾

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد
في الأرض﴾ يعني: ما تستوجب به القتل ﴿فكأنما قتل الناس جميعًا ومن
أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾ قال الحسن: من إحيائها أن ينجيها من

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٨٧) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (٦/١٩٩) - عن
معمر عن الحسن به.

ورواه الطبري (٦/١٩٩) من طريق ابن المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن.
وروى الطبري في تفسيره (٦/١٩٩) عن سليمان التيمي قال: قلت لبكر بن عبد الله: أما
بلغك أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - ضَرَبَ لَكُمْ ابْنِي آدَمَ مَثَلًا، فَخُذُوا خَيْرَهُمَا،
وَدَعُوا شَرَّهُمَا؟ قال: بلى.

الْقَوْد^(١)، فيعضو عنها، أو يُقَادِيها من العدوان، وينجّيها من الغرق، ومن الحرق، ومن السَّبْع، وأفضل إحيائها أن ينجيها من كفرها وضلاتها.

قال محمد: ذكر بعض المفسرين في قوله: ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ أي: يعذب كما يعذب قاتل الناس جميعاً. ومن أحيائها أُجِرَ في إحيائها؛ كما يؤجر من أحيأ الناس جميعاً.

يحيى: عن المُعَلَّى، عن سماك بن حرب، عن قابوس بن المخارق، عن أبيه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أريت إن عرض لي رجل يريد نفسي ومالي، فكيف أصنع به؟ قال: تناشده بالله. قال: نشدته بالله فلم ينته. قال: استغدي^(٢) عليه السلطان. قال: ليس بحضرتنا سلطان. قال: استعنْ عليه بالمسلمين. قال: نحن بَقْلَةٌ من الأرض ليس قربنا أحدٌ. قال: فجاهده دون مالك حتى تمنعه، أو تكتب في شهداء الآخرة^(٣)».

(١) أي: من القصاص. لسان العرب (قود).

(٢) في «ر»: اسْتَغْدِيْ.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٩٤/٥-٢٩٥) وابن أبي شيبة في مسنده (٩/٢ رقم ٥٢٤) ومسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٢١١/٤) رقم ٤٣٣٢/١- وإسحاق بن راهويه في مسنده وإبراهيم الحربي في غريب الحديث- كما في نصب الراية (٣٤٩/٤)- والنسائي (١٢٩/٧ رقم ٤٠٩٢) والطبراني في المعجم الكبير (٣١٣/٢٠-٣١٥ رقم ٧٤٦-٧٤٩) وابن قانع في معجم الصحابة (١٣٣/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٦٣٥ رقم ٦٣٢٩) والبيهقي في سننه (٨/٣٣٦)، والمزي في تهذيبه (٢٣/٣٣١-٣٣٢) من طرق عن سماك بن حرب به.

ورواه الحربي في غريب الحديث- كما في نصب الراية (٣٤٩/٤)- من طريق سفيان الثوري عن سماك، عن قابوس «أن رجلاً أتى النبي... الحديث، لم يقل فيه: «عن أبيه». قال الدارقطني في العلل: هذا حديث يرويه سماك بن حرب، واختلف عليه، فرواه عمار بن زريق وأبو الأحوص وأيوب بن جابر والوليد بن أبي ثور عن سماك عن قابوس عن أبيه، ورواه الثوري وحمام بن سلمة عن سماك عن قابوس مرسلاً لم يقلوا عن أبيه، والمسنَد أصح. اهـ. نقلته من نصب الراية (٣٤٩/٤).

﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لُمُسْرِفُونَ﴾ لمشركون؛ يعني: من لم يؤمن منهم.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...﴾ الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: «أن ناسًا من عُكَلٍ وعرينة قدموا على النبي المدينة وأسلموا، واستوخموا المدينة^(١)، فأمرهم رسول الله أن يخرجوا في إبل من إبل الصدقة؛ فيشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا حتى صحوا؛ فقتلوا راعي رسول الله، واستاقوا الإبل، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث رسول الله في طلبهم، فأُتِيَ بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم^(٢)، وتركهم في الحرة^(٣) حتى ماتوا^(٤)».

(١) أي: استقلوها ولم يوافق هواؤها طابعهم. لسان العرب، القاموس (وخم).

(٢) أي: فقاها بمسمار أو حديدة مُخَمَّة. لسان العرب (سمل).

(٣) الحرة هي كل أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت. والمراد هنا: موضع بظاهر المدينة تحت واقم، وبها كانت وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية. ينظر لسان العرب، المختار، المعجم الوسيط (حرر).

(٤) رواه البخاري (٥٢٤/٧) رقم ٤١٩٢، ١٨٨/١٠ - ١٨٩ رقم ٥٧٢٧، ومسلم (٣/١٢٩٨) رقم ١٣/١٦٧١ من طريق سعيد - وهو ابن أبي عروبة - به. ولهذا الحديث طرق عن قتادة، وله طرق كثيرة عن أنس أيضًا.

قال قتادة: وكان هذا من قبل أن تنزل الحدود.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة؛ «أنه لما جيء بهم؛ فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية»^(١).

قال يحيى: سألت الجهم بن وژاد الكوفي عن قوله: ﴿من خلاف﴾ فقال: يده اليمنى ورجله اليسرى.

وقال ابن عباس: ومعنى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ (أن يعجزوا فلا يقدر عليهم)^(٢).

﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم...﴾ الآية.

قال قتادة: نزلت في أهل الشرك خاصة.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ قال قتادة: يعني: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَاتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمَعَهُمْ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ^(٣٧) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ

= قال ابن كثير في تفسيره (٥/٢): وقد روى قصة العرنين من حديث جماعة من الصحابة منهم: جابر، وعائشة، وغير واحد، وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدًا، فرحمه الله وأثابه.

(١) رواه عبد الرزاق - كما في تفسير ابن كثير (٤٩/٢) - عن إبراهيم بن محمد الأسلمي به.

(٢) هكذا في الأصل، «و».

اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾
﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ قال الحسن: كلما
رفعتمهم بمسها حتى يصيروا إلى أعلاها أعيدها فيها.

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ هي في قراءة ابن مسعود: «فاقطعوا
أيمانهما» ﴿جزاء بما كسبا﴾ (ل ٨٣) بما عملا ﴿نكالا من الله﴾ يعني: عقوبة.
يحيى: عن المعلّى، عن عبد الرحمن بن آدم، عن محمد بن المنكدر
قال: «قطع رسول الله يد سارق من الكوع وحسّمها»^(١).

يحيى: عن النضر بن مَعْبُد^(٢)، عن أبي قلابة قال: «مرّ على أبي الدرداء
برجل قد أخذ في حدّ فسبوه، فقال: لا تسبوه! ولكن احمداوا الله الذي
نجاكم»^(٣).

﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحُجُوبٍ الْكَفَرِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ
وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

(١) أي: كواها؛ لتلا يسيل منها الدم. لسان العرب (حسم).

(٢) في «ر»: النضر بن سعيد.

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/ ١٨٠) رقم ٢٠٢٦٧ وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٥)
والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٠-٢٩١) رقم ٦٦٩١ من طريق أبي قلابة.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم المنافقون يقول: لا يحزنك كفرهم، فإن ذلك لا يضرّك، إنما ضره عليهم.

ثم قال: ﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون﴾ أي: يقول الذين لم يأتوك ﴿إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته﴾ يعني: ضلّالته. إلى قوله: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ يعني: الجزية.

قال قتادة: وكان هذا في قتيل من بني قريظة، قتلته النضير، وكان قتيلاً عمداً، وكان النضير إذا قتلت من قريظة قتيلاً لم يعطوهم القود^(١) ويعطوهم الدية، وإذا قتلت قريظة من النضير قتيلاً لم يرضوا دون القود؛ فكانوا على ذلك حتى قدم نبي الله المدينة بأثر قتلهم؛ فأرادوا أن يرفعوا ذلك إليه ليحكم بينهم، فقال لهم رجل من المنافقين: إن قتلكم قتيلاً عمداً، وإنكم متى ترفعوه إلى محمد أخشى عليكم القود؛ فإن قبل منكم الدية وإلا فكونوا منه على حذر، فأنزل الله هذه الآية.

﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرِفُوا شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَكَيفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

(١) القود: القصاص . لسان العرب (قود).

ثم قال: ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ يعني: [اليهود]^(١) والسحت الرشا^(٢).

﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم...﴾ الآية. قال قتادة: رُخص له في هذه الآية أن يحكم بينهم، أو يعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بعد؛ فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٣) فنسخت هذه الآية الآية الأولى^(٤).

قال محمد: معنى قوله: ﴿سماعون للكذب﴾ أي: قائلون له، ومعنى ﴿من بعد مواضعه﴾ من بعد أن وضعه الله موضعه؛ فأحلّ حلاله، وحرّم حرامه.

﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله...﴾ الآية. قال قتادة: يعني: عندهم بيان ما تشاجروا^(٥) فيه من شأن قتيلهم؛ أي: إن في التوراة أن النفس بالنفس.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا

(١) يياض بالأصل، والمثبت من قوله.

(٢) الرشا: جمع رشوة، وهي ما يعطى لقضاء حاجة أو مصلحة، أو ما يعطى لإحفاق باطل وإبطال حق. لسان العرب، المعجم الوسيط (رشو).

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٤١، ٤٢).

وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة؛ وهو مروي عن عطاء وسعيد بن جبير والزهرى وغيرهم، قال الطبري في تفسيره (٢٤٦/٦): وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال إن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ. اهـ. وقال ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٧٨): وهو الصحيح.

(٥) تشاجروا: اختلفوا وتنازعوا. لسان العرب (شجر).

تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ أَي: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الْمُسْلِمُونَ ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: الرَّبَّانِيُّونَ: فَقَهَاءُ الْيَهُودِ، وَالْأَحْبَارُ: عُلَمَاؤُهُمْ. قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقِيلَ: الرَّبَّانِيُّونَ: الْعُبَادُ.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى أَهْلِهَا مَنْ كَانُوا ﴿وَإِخْشَوْنَ﴾ فِي تَرْكِ إِقَامَتِهَا.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا وَيَقْرَ بِهِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ يَرِيدُ: التَّوْرَةَ ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ وَهَذِهِ الْآيَةُ مَفْرُوضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ؛ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَخْهُ بِالْقُرْآنِ فَهُوَ ثَابِتٌ يُعْمَلُ بِهِ ^(١). ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي: كَفَّارَةٌ لِذَنْبِهِ.

يَحْيَى: عَنِ الْمُعَلَّى، عَنْ أَبَانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾

(١) مسألة متى يكون شرع من كان قبلنا شرعاً لنا مبسوطاً في كتب الأصول، تراجع في محلها.

قال: هو الرجل تُكسر سُنُّه، أو يجرح في جسده؛ فيعفو فيُحط عنه من خطاياه بقدر ما عفا عنه؛ إن كان نصف الدية فنصف خطاياه، وإن كان ربع الدية فربع خطاياه، وإن كان ثلث (٨٤ل) الدية فثلث خطاياه، وإن كانت الدية كلها فخطاياه كلها^(١).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَإِنِّي أَنزَلْتُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾
﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم...﴾ إلى قوله: ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ الفسقُ ها هنا: الشرك.

قال محمد: ومعنى ﴿قفينا﴾: أتبعنا، والمصدر منه: تقفية^(٢).

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْفِقُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَآخَذْتَهُمْ أَن يَقُولُوا لَكَ اللَّهُ إِلَيْنَا فَنَلْحِقَنَّكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٩﴾﴾
﴿الجهلَّة يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣-٦٤) - من طريق المعلى - وهو ابن هلال - به.

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قفو).

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿وَمَهِيْمًا عَلَيْهِ﴾ قال عبد الله بن الزبير: المَهْيَمُ: القاضي على ما قبله من الكتب.

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ قال قتادة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة؛ أحل الله فيها ما شاء، وحرم ما شاء ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: ملّة واحدة ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾ فيما أعطاكم من الكتاب والسنة.

﴿وَاحْذَرِهِمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾ أي: يصدوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني: اليهود، عن بعض ما أنزل الله إليك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ فيقتلوهم ويجليهم وتؤخذ منهم الجزية بالصغار^(١) والذل.

﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ يعني: اليهود وغيرهم من الكفار. ثم قال عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وهو ما خالف كتاب الله وحكمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَنَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ أي: في الدين ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ في الدين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

(١) أي: الذلّة والمهانة. لسان العرب (صفر).

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: المنافقين ﴿يسارعون فيهم﴾ في أهل الكتاب؛ أي: يوافقونهم في السر ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ فينصروا علينا؛ فنكون قد (أخذنا)^(١) بيننا وبينهم مودة. قال الله: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...﴾ الآية.

قال الكلبي: فجاء الله بالفتح؛ فنصر نبيه، وجاء أمر الله من عنده بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وسبى ذراريهم^(٢)؛ فندم المنافقون حتى ظهر نفاقهم، وأجلّي أهل وُدّهم عن أرضهم، فعند ذلك قال الذين آمنوا بعضهم لبعض: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم...﴾ الآية.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَتَذَكَّرُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقُوَّةٍ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُونَهُ أَذَلُّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٦٠﴾ يَتْلُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْخُذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا ذِينَهُمْ هُزُومًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أُولِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَلِمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هو كقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٣).

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...﴾ الآية. قال الكلبي: بلغنا «أن

(١) في «ر»: اتخذنا.

(٢) أي: سبي نسائهم وصغارهم. لسان العرب (فزر).

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

عبد الله بن سلام ورهطاً^(١) من مسلمي أهل الكتاب أتوا النبي عند صلاة الظهر، فقالوا: يا رسول الله، بيوتنا قاصية^(٢)، ولا نجد متحدثاً دون المسجد، وإن قومنا لما رأونا أننا قد صدقنا الله ورسوله وتركناهم ودينتهم أظهروا لنا العداوة، وأقسموا ألا يخالطونا ولا يجالسونا، فشق ذلك علينا. فبينما هم [كذلك]^(٣) يشكون ذلك إلى النبي؛ إذ نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فلما اقترأها رسول الله، قالوا: رضينا بالله وبرسوله والمؤمنين أولياء، وأذن بلال بالصلاة فخرج رسول الله ﷺ والناس يصلون بين قائم وراكم وساجد، وإذا هو بمسكين يسأل، فدعاه رسول الله؛ فقال له: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم. قال: ماذا؟ قال: خاتم من فضة. قال: من أعطاك؟ قال: ذلك الرجل القائم، فإذا هو علي. قال: على أي حال أعطاك؟ قال: أعطانيه وهو راكم [فزعموا أن]^(٤) رسول الله كبر عند ذلك^(٥).

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَافَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنِّي إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْفَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَوَاءً السَّبِيلِ﴾ (٦٠) ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ قال [الكلبي]^(٤): كان إذا

(١) أي: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة والجمع: أرهط وأرهاط. لسان العرب (رهط).

(٢) أي: بعيدة. لسان العرب (قصو).

(٣) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٢٢-٣٢٣) لابن مردويه.

نادى منادى رسول الله للصلاة، قالت اليهود والمشركون: قد قاموا لا قاموا. وإذا ركعوا وسجدوا (استهزءوا) ^(١) بهم وضحكوا؛ فقال الله لنيبه: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تقفون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾، أي: بفسقكم نقمتم ذلك علينا، ثم قال: ﴿هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ [يعني: ثواباً] ^(٢) ﴿عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ قال الحسن: يقول: جعل الله ذلك منهم (ل) (٨٥) بما عبدوا الطاغوت؛ يعني: الشيطان.

﴿أولئك شرّ مكاناً﴾ في الآخرة ﴿وأضلّ عن سواء السبيل﴾ يعني: عن قصد طريق الهدى.

قال محمد: وقيل: إن ﴿عبد الطاغوت﴾ نسق ^(٣) على قوله: ﴿لعنه الله وغضب عليه﴾ ^(٤).

﴿وَإِذَا جَاءَ وَكْمَ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلْنَا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَالَهُ أَتَقُولُوا يَكْفُرُونَ ۖ وَرَوَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۖ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَازِلَتِ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ وَالْقَيْمَنَ بَيْنَهُمُ الْعُدَاةُ

(١) في «ر»: استهزاء.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٣) أي: عطف.

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى: ينظر إعراب القرآن (١/٥٠٧)، مجمع البيان (٢/٢١٥)، البحر المحيط (٣/٥١٩-٥٢٠).

وَالْبَعْضَ إِلَى يَوْمِ الْيَمِّنَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَمِعُونَ فِي الْأَرْضِ فِسَادًا
وَأَلَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾

﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ قال الكلبي: هؤلاء منافقو أهل الكتاب، كانوا إذا دخلوا على رسول الله، قالوا: آمنا، وقد دخلوا حين دخلوا على النبي كفارًا، وخرجوا من عنده وهم كفارٌ ولم يتنفعوا بما سمعوا منه بشيء؛ وهم من اليهود.

قال: ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ كانوا يكتمون دين اليهودية ﴿وترى كثيرًا منهم﴾ يعني: اليهود ﴿يسارعون في الإثم والعدوان﴾ يعني: المعصية والظلم ﴿وأكلهم السحت﴾ قال الحسن: [هو] ^(١) أخذ الرشوة على الحكم ﴿لبس ما كانوا يعملون﴾ يعني: حُكْمُهُمْ ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار...﴾ إلى قوله: ﴿لبس ما كانوا يصنعون﴾ أي: حين يسارعون في الإثم والعدوان، وأكلهم السحت، وبس ما صنع الربانيون والأحبار حين لم ينهوهم عن ذلك.

﴿وقالت اليهود يذ الله مغلولاً﴾ قال الكلبي: كانوا من أخصب ^(٢) الناس وأكثرهم خيرًا، فلما عصوا الله، وبدلوا نعمة الله كفرًا - كف الله عنهم بعض الذي كان بسط لهم؛ فعند ذلك قالت اليهود: كف الله يده عنا، فهي مغلولَةٌ؛ أي: لا يسطها علينا.

قال الله: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا﴾ بما قالوا بل يدها مبسوطتان يتفق كيف يشاء وليزيدن كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا ﴿وهم اليهود.

(١) في الأصل: فهو. والمثبت من «ر».

(٢) أي: من أكثرهم نماء وبركة ورغد عيش. لسان العرب (خصب).

قال قتادة: حملهم حسدُ محمدٍ والعرب على أن كفروا به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم.

﴿كلما أوقدوا نارًا للحرب﴾ لحرب رسول الله ﴿أطفأها الله﴾ يعني: أذلهم الله، ونصره عليهم.

﴿ويسعون في الأرض فسادًا﴾ أي: يدعون فيها إلى خلاف دين الله، وهم يعلمون ذلك.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا﴾ قال قتادة: يقول: لو آمنوا بما أنزل الله واتقوا ما حرّم عليهم ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم...﴾ الآية.

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾.

قال قتادة: يعني: لأعطيهم السماء مطرها^(١)، والأرض نباتها. وإقامتهم التوراة والإنجيل: أن يؤمنوا بمحمد؛ لأنهم قد أمروا بذلك.

قوله: ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ أي: متبعة؛ يعني: من آمن من أهل الكتاب برسول الله، وبما جاء به ﴿وكثير منهم ساء ما﴾ بش ما ﴿يعملون﴾ يعني: من ثبت منهم على اليهودية والنصرانية.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

(١) في «ر»: قطرها.

يَعِصْلُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَئِيْدَتُ كَثِيْرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِقَاتُ مِنَ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...﴾ الآية.

يحيى: عن أبي أمية، عن الحسن «أن رسول الله ﷺ شكى إلى ربه من قومه؛ فقال: يا رب، إن قومي قد خوفوني، فأعطني من قبلك آية أعلم أن لا مخافة عليّ. فأوحى الله إليه أن يأتي وادي كذا فيه شجرة كذا، [فليدع^(١)] غصنا منها يأت، فانطلق إلى الوادي، فدعا غصنا منها فجاء يخط في الأرض خطأ^(٢) حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله أن يحبسه، ثم قال: ارجع كما جئت. فرجع؛ فقال رسول الله: علمت يا رب أن لا مخافة عليّ^(٣).
﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابثون والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ يعني: من آمن منهم بمحمد، ودخل في دينه وشريعته.

قال محمد: اختلف القول في رفع ﴿الصابثون﴾ والأجود أنه محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء، المعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا - فلا خوف عليهم، (٨٦ل) والصابثون والنصارى

(١) في الأصل: فيدع. والمثبت من «ر» وهو الصواب.

(٢) أي: يحفر الأرض ويشقها. ينظر لسان العرب (خطط).

(٣) لم أقف عليه بهذا السياق.

كذلك أيضًا^(١).

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِعَصِيٍّ بِمَا يَصْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ قد مضى تفسير أخذ الميثاق عليهم في سورة آل عمران^(٢).

﴿وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ يعني به: أوائلهم.

﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ تفسير الحسن: وحسبوا ألا يتلوا في الدين يجاهدون فيه، وتفرض عليهم الطاعة بمحمد.

﴿فعموا وصموا﴾ يعني: عن الهدى ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ أي: جعل لهم متاباً، فاستغفروهم بمحمد ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ يعني: من كفر منهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِثُ تِلْكَ

(١) وفي أقوال نحوية أخرى تنظر من إعراب القرآن (١/٥٠٩-٥١٠)، مجمع البيان (٢/٢٢٤-٢٢٥)، البحر المحيط (٣/٥٣١).

(٢) انظر الكلام عليه في تفسير الآية (٨٣) سورة البقرة، والآيتين (٨١، ١٨٧) من سورة آل عمران.

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَفْوَراً رَحِيماً ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا صِدْقُهُ كَآنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ قال قتادة: قالوا: عيسى إله، وأمه إله، والله إله. قال الله: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾.

قوله: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام﴾ أي: فكيف يكونان إلهين، وهما مخلوقان يأكلان الطعام؟!

﴿انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عنها؟ يعني: عن الآيات.

قال محمد: فُعِيل من أبنية المبالغة^(١)، وقوله: ﴿صديقة﴾ أي: مبالغة في الصدق.

وقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ قيل: إنه من الاختصار^(٢) والكناية، ونُبّه بأكل الطعام على عاقبته؛ وهو الحَدَثُ^(٣)، والله أعلم.

(١) أي: من أوزان صيغ المبالغة، وهي أبنية معروفة يقاس عليها ومن صيغها: فَعُول، فَعَال، فُعِيل، وفُعَال، فَعِل، فُعِل... إلخ.

(٢) أي: اختصر ما يحدث بعد الأكل من إخراج الفضلات في صورة براز أو بول.

(٣) وهو البول أو البراز.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۖ﴾ (٧٧) لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَدَيْسُقُونَ ﴿٨١﴾ ﴿يَا أَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ وَالْغُلُوّ: مجاوزة الحق.

﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ يعني: اليهود.
 ﴿وأضلوا كثيرا﴾ يعني: من اتبعهم ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ يعني: عن قصد طريق الهدى.

﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾
 قال قتادة: يعني: في زمان داود وعيسى ابن مريم؛ مسخوا في زمان داود قردة حين أكلوا الحيتان، ومسخوا في زمان عيسى خنازير ﴿ترى كثيرا منهم﴾ يعني: من لم يؤمن ﴿يتولون الذين كفروا﴾ يتولون مشركي العرب، [وهم الذين كذبوا]^(١) ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ لأن سخط الله عليهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «رو».

أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا فَصَدَرُوا بِذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا
وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿لنجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ يعني: مشركي العرب؛ وهم الذين كانوا بحضرة النبي من المشركين يومئذ ﴿ولنجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا-إنا نصارى﴾ يعني: من آمن منهم. ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا يعني: الذين آمنوا منهم ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله، والإيمان بالله.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَقُصُّ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوَّيْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ محمد ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع...﴾ إلى قوله: ﴿مع الشاهدين﴾ أي: مع من شهد بما جاء به محمد أنه حق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَلَبْتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِنَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم...﴾ إلى قوله:

«الذي أنتم به مؤمنون» تفسير الحسن: «أن ثلاثة نفر من أصحاب النبي جعل أحدهم على نفسه ألا يغشى النساء^(١) أبداً، وجعل أحدهم على نفسه لا يفطر نهائاً أبداً، وجعل أحدهم على نفسه لا ينام ليلاً أبداً! فكان عثمان بن مظعون ممن جعل على نفسه ألا يغشى النساء؛ وكانت امراته تأتي أزواج النبي في شارة^(٢) حسنة وريح طيبة؛ فلما جعل عثمان على نفسه ما جعل، أتتهن في غير تلك الشارة؛ فأنكرن عليها؛ فقالت: إنما تصنع المرأة لزوجها؛ وإن فلاناً وفلاناً جعلوا على أنفسهم كذا وكذا! فلما جاء رسول الله ذكرن ذلك له، فغضب وبعث إليهم، فقال: ألم أحدث عنكم بكذا وكذا؟ قالوا: بلى. قال: لكني أنا أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأغشى النساء وأدع؛ فمن رغب عن ستي فليس مني (٨٧ ل) فاستغفر القوم من ذلك، وراجعوا أمرهم الأول»^(٣).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتَهُمْ بِإِعْطَاءِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرتُهُ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

«لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم» تفسير الحسن وقادة: قالوا: هو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كذلك، فلا

(١) أي: الوطء والجماع. لسان العرب (غشى).

(٢) أي: علامة وهيئة. لسان العرب (شير).

(٣) روى البخاري (٥/٩-٦ رقم ٥٠٦٣) ومسلم (٢/١٠٢٠ رقم ١٤٠١) عن أنس نحو هذه القصة، دون تسمية عثمان بن مظعون.

وورد تسمية عثمان بن مظعون في عدة روايات، انظر الدر المنثور (٢/٣٣٧-٣٤٠).

يكون كما حلفت عليه ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان﴾ أي: ما حلفت فيه متعمدين.

﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ قال مجاهد: أوسط ما تطعم أهلك: أشبعه ﴿أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ فإن شاء أعتق رقبة كبيرة، وإن شاء صغيرة. وكل شيء في القرآن (أو) فهو فيه مخير؛ يفعل أي ذلك شاء ﴿فمن لم يجد﴾ أي: فمن لم يجد من هذه الثلاثة الأشياء من: الطعام، أو الكسوة، أو العتق ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ قال قتادة: وهي في قراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) ^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ يعني: القمار كله ﴿والأنصاب﴾ وهي أصنامهم التي كانوا يعبدون من دون الله ﴿والأزلام﴾ القِداح ^(٢) وهي السهام. قال قتادة: كان الرجل إذا أراد سفرًا أخذ قِدَحَيْنِ؛ فقال: هذا يأمره بالخروج وهو مصيب في سفره خيرًا، ويأخذ قِدَحًا آخر، فيقول: هذا يأمره بالمكوث، وليس بمصيب في سفره خيرًا، مكتوبٌ عليهما هذا، والمنيع ^(٣) بينهما، فأيهما خرج عمل به، فَنَهَى عن ذلك.

(١) وهي قراءة أبي، والنخعي. ينظر: البحر المحيط (١٢/٤) معاني القرآن للفراء (١/٣١٨).
(٢) مفردها: قِدَح، وهو قطعة من الخشب تُعْرَضُ قليلًا وتسوى، وتخط فيها حروز بعدد معين. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (قدح).
(٣) هو اسم سهم من سهام الأزلام لا يأمره بالخروج، ولا بالمكوث. ينظر: لسان العرب (منع).

قال محمد: المنيع: سهم ليس عليه كتاب؛ فإذا خرج أعاد الضرب.
يقال: يسرت، إذا ضربت بالقداح، والضارب بها: ياسر^(١) [والجميع: يُسر وأيسار]^(٢).

قوله: ﴿رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾
فجاء تحريم الخمر في هذه الآية قليلها وكثيرها، ما أسكر منها وما لم يُسكر.
قال محمد: الرّجس في اللغة: اسم لكل ما استقذر^(٣)، ويقال: رجس الرجل يرجس^(٤)؛ إذا عمل عملاً قبيحاً.

يحيى: عن محمد بن أبي حميد، عن محمد بن المُنْكَدَر قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر، ثم لم يسكّرْ أعرض الله عنه أربعين ليلةً، ومن شرب الخمر ثم سكر لم يقبل الله منه صَرْفًا ولا عَذْلًا»^(٥) أربعين ليلة؛ فإن مات فيها مات كعابد الأوثان، وكان حقًا على الله أن يسقيه يوم القيامة من طينة الخَبَالِ. قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار في النار: القيح والدم»^(٦).

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (يسر).

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (رجس).

(٤) يقال منه: رَجَسَ يَرْجِسُ رَجْسًا وَرَجَاسَةً فهو رَجِسٌ، وهي رَجَسَةٌ، ويقال: رَجَسَ يَرْجِسُ رَجَاسَةً. لسان العرب (رجس).

(٥) الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة.

ينظر لسان العرب (صرف، عدل) النهاية في غريب الحديث (٢٤/٣).

(٦) لم أجد من هذا الطريق المرسل، ورواه مسلم (١٥٨٧/٣) رقم ٢٠٠٢ عن جابر مختصرًا.

ورواه الإمام أحمد (١٧٦/٢، ١٨٩) والنسائي (٧٢٠/٨) رقم ٥٦٨٦ وابن ماجه (٢/

١١٢١-١١٢٠ رقم ٣٣٧٧) وابن حبان (١٨٠/١٢) رقم ٥٣٥٧ والحاكم (١٤٥/٤-١٤٦)

عن عبد الله بن عمرو بنحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ

٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا﴾ يعني: شربوا من الخمر قبل أن تُحَرِّم.

قال الحسن: لما نزل تحريم الخمر، قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم وقد أخبر الله أنها رجس؟ فأنزل الله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح﴾ [ثم] ^(١) ﴿فيما طعموا إذا ما اتقوا﴾ شربها ﴿وآمنوا﴾ (من غير أن يعلموا) ^(٢) بتحريمها ﴿وعملوا الصالحات ثم اتقوا﴾ شربها ﴿وأحسنوا﴾ العمل بعد تحريمها فلم يشربوها؛ فمن فعل ذلك فهو محسن ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين يأخذون بالسنّة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَهُمُ اللَّهُ إِشْرَاقَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْنَلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَلَّوْهُ مِنكُمْ مُّتَعِدًّا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعِيرِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا يَدُوقُ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْقُصْهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله﴾ ليختبرنكم الله ﴿بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ تفسير مجاهد قال: رماحكم أو نبالكم؛ تنال كبير الصيد

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: أي صدقوا.

وصغيره، تناله أيديكم أخذًا ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ قال الحسن: يقول: فمن اعتدى بعد التحريم وصاد وهو محرم فله عذاب أليم. قال مجاهد: إن قتله ناسيًا لإحرامه غير متعمد لقتله فعلية الجزاء، وإن قتله متعمدًا وهو ذاك لإحرامه فله عذاب أليم، وليس عليه جزاء.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم...﴾ الآية، كان الحسن يقول: حكم (٨٨ل) الحكمين ماضٍ أبدًا، وقد يحكم الحكمان بما حكم به رسول الله، ولكن لا بد من أن يحكما. قال قتادة: وإذا كان صيدًا لا يبلغ النعم، حكمًا طعامًا أو صومًا، ويحكمان عليه في الخطأ والعمد.

﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي: عقوبة فعله ﴿عفا الله عما سلف﴾ قبل التحريم ﴿ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ قال مجاهد: إن عاد لم يحكم عليه، الله ينتقم منه. وقال سعيد بن جبير: بل يحكم عليه أبدًا.

﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما ذمت حرماً وأنقوا الله الذي إليه تحشرون ﴿١٦﴾ جعل الله لكم آية الحرام فيما للناس والشهرة الحرام والهدى والقائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم ﴿١٧﴾﴾

قوله: ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ قال الحسن: لا بأس أن يصيد المحرم الحيتان ﴿وطعامه﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: ما ألقى البحر من حوت ميت فهو طعامه ﴿متاعًا لكم﴾ بلاغًا لكم ﴿وللسيارة﴾ يعني: المسافرين،

وهو ما يتزودّه الناس من صالح السمك في أسفارهم.

قال محمد: ﴿متاعاً لكم﴾ مصدر؛ أي: متعتكم به متاعاً^(١).

﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾.

﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد﴾ قال قتادة: كانت هذه في الجاهلية حواجز^(٢)، كان الرجل لو جرّ

كل جريرة^(٣)، ثم لجأ إلى الحرم لم يتناول، وكان الرجل لو لقي الهدي مقلداً وهو يأكل

[القضب]^(٤) من الجوع لم يمسه، وكان الرجل إذا أراد البيت الحرام تقلّد قلادة من شعر^(٥)، حتى يبلغ مكة، وإذا أراد أن يصدر^(٦) من مكة تقلّد قلادة

من لحاء السمر^(٧) أو من الإذخر^(٨)، فممنعته حتى يأتي أهله.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَسُ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرُهُ

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٢/٢)، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (٣٠٥/١).

(٢) حواجز: أي: موانع. لسان العرب (حجز).

(٣) أي: كل ذنب وإثم. لسان العرب (جر).

(٤) في الأصل: (العصب) والقضب هو شجر ترعاه الإبل، فإذا شبت منه هجرته حيناً، لأنه يضرها ويورثها السعال. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (قضب).

(٥) أي: مصنوعة من شعر.

(٦) يرجع ويخرج. لسان العرب (صدر).

(٧) اللحاء هو قشر الشجر، والشمر: ضرب من شجر الطلح، واحده: سَمرة. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (لحو) و(سمر).

(٨) الإذخر: هو حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَّف بها البيوت فوق الخشب.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣٣/١).

الْخَبِيثَاتُ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْخُذِ الْأَلْبَسَ لَكُمْ تَقْلُحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلُكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَآكَرَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن أراد أن ينتقم منه . ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ .

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ يعني: الحلال والحرام ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ كثرة الحرام .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبذل لكم عفا الله عنها﴾ قال الحسن: «سألوا رسول الله ﷺ عن أمور الجاهلية التي قد عفا الله عنها فأكثرُوا؛ حتى غضب رسول الله غضباً شديداً، فقال: سلوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به إلى يوم القيامة»^(١).

﴿قد سألتها قومٌ من قبلكم﴾ قُبِيتَ لهم ﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾ يعني: أهل الكتاب . [حدثنا يحيى]^(١)، وبلغني أنها في قراءة أبي بن كعب: قد سألتها قوم من قبلكم [فبيته لهم]^(٢) فأصبحوا بها [كافرين]^(٢).

قوله: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ إلى

(١) رواه مسلم (١٨٣٤/٣) رقم ١٣٧/٢٣٥٩ عن أنس بنحوه.

(٢) طمس من الأصل، والمثبت من «ر».

قوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني: لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرم عليهم.
قال قتادة: كانت البحيرة من الإبل؛ كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن،
نظر إلى البطن الخامس؛ فإن كان ذكرًا أكله الرجال دون النساء، وإن كانت
ميتة اشترك فيها الرجال والنساء، وإن كانت أنثى نحرها أذننها؛ أي: شقوها،
وتركت فلا يشرب لها لبن، ولا يُجْزُّ لها وَبَرٌّ، ولا يُركب لها ظَهْر.
والسائبة: كانوا يسيبون ما بدا لهم من أموالهم، فلا يمنع من ماء ولا
مرعى.

والوصيلة من الغنم: كانوا إذا نتجت الشاة سبعة أبطن، نظروا إلى البطن
السابع، فإن كان ذكرًا ذُبِحَ، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت ميتة اشترك
فيها الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت، وإن جاءت بذكر وأنثى قيل:
وصلت أخاها فمنعته الذبح.
وكان الحام إذا ركب [من ولده عشرة قيل^(١)] حمى ظهره فلا (يُزَمُّ)^(٢) ولا
يخطم ولا يركب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أَوَّلُ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْهِمْ
أَنفُسُكُمْ لَا يَصْرِكُمْ مَن صَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعَكُمْ جَمِيعًا فَيُنِزِّلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: إذا لم يقبل منكم.

(١) طمس بالأصل، والمثبت من «ر». ينظر: مختار الصحاح، لسان العرب (حمى).

(٢) أي: لا يوضع له زمام يزمه.

﴿لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم﴾ ليس هذا في ضلال الكفر (ل٨٩) ولكن في الضلال عن الحق في الإسلام.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن: «أن هذه الآية قرئت عند عبد الله ابن مسعود، فقال: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم»^(١).

قال محمد: المعنى: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، وإذا قلت: عليك فلاناً، فالمعنى: الزم فلاناً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا شَرِي بَيْنَنَا وَلَوْ كُنَّا ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ عَزَّ عَلَىٰ أَنْهُمَا اسْتَحْقَاقًا إِنَّمَا فَاخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٧﴾ ذَلِكَ أدْفَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَحَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْدِي بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ إلى قوله: ﴿وآخران من غيركم﴾.

قال يحيى: فيها تقديم؛ يقول: يا أيها الذين آمنوا إذا حضر أحدكم الموت

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٢٧) رقم (٦٩٢٢) والطبري في تفسيره (٧/٩٦) من طريق أبي العالية عن ابن مسعود.

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٧٢) نسبته إلى عبد بن حميد ونعيم بن حماد في الفتن وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

فأشهدوا ذوي عدلٍ منكم .

قال محمد: ﴿شهادة بينكم﴾ رفع بالابتداء والخبر ﴿اثنان﴾ المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين^(١) .

قال الحسن: يعني: من المسلمين من العشيرة، لأن العشيرة أعلم بالرجل وبولده وماله، وأجدر ألا ينسوا ما يشهدون عليه، فإن لم يكن من العشيرة أحدٌ فأخران من غير العشيرة ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فإن شهدا وهما عدلان مضت شهادتهما وإن ارتب^(٢) في شهادتهما حُبساً بعد صلاة العصر، وفيها تقديم ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ [صلاة العصر]^(٣) إن ارتبتم . قال الحسن: ولو كانا من غير أهل [الصلاة]^(٤) ما حلّفا دبر الصلاة ﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربي ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين﴾ .

فتمضي شهادتهما ﴿فإن عثر﴾ يعني: اطلع ﴿على أنهما استحقا إثماً﴾ أي: شهدا بزور ﴿فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ يعني: الورثة ﴿الأوليان فيقسمان بالله...﴾ الآية .

قال محمد: المعنى: فليقم الأوليان من الذين استحق عليهم الوصية^(٥) .

(١) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر في: إعراب القرآن (١/٥٢٥)، مجمع البيان (٢/٢٥٥) البحر المحيط (٤/٣٩) .

(٢) أي: شك . لسان العرب (ريب) وفي «ر»: ارتبتم .

(٣) سقط من الأصل . والمثبت من «ر» .

(٤) في الأصل: الكتاب . والمثبت من «ر» .

(٥) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من إعراب القرآن (١/٥٢٦ - ٥٢٧)، مجمع البيان (٢/٢٥٧ - ٢٥٨)، البحر المحيط (٤/٤٥ - ٤٦) .

﴿ذلك أدنى﴾ أجدر ﴿أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ قال الحسن: فأراد الله أن ينكل الشهود بعضهم ببعض.

قال يحيى: ولم تكن عند الحسن منسوخة، وبعضهم يقول: هي منسوخة^(١) ولا يحلف الشاهدان اليوم؛ إن كانا عدلين جازت شهادتهما، وإن لم يكونا عدلين لم تجز شهادتهما؛ قال الله: ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنْ^(٢)﴾. وقال في سورة الطلاق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلٍ مِّنْكُمْ^(٣)﴾ ولم يجعل على الشاهد أن يحلف.

قوله: ﴿واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يعني: الذين يموتون على شركهم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ^(١٩٩)﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي أَمَرْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْكَسَمَةَ وَالْأَيْمَانَ بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرِجُ الْمَوْتُ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَ بِالْيَمِينِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ^(٢٠٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ^(٢٠١) إِذْ

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ (٤٤)، نواسخ القرآن (٣٨٣ - ٣٨٥).

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) الطلاق: ٢.

قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَقَطِّعَ مِنْهَا قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا﴾ قال مجاهد: تنزع أفئدتهم فلا يعلمون، ثم تردّ إليهم فيعلمون.

﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ أي: يقوله يوم القيامة.

﴿اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ آيدتك﴾ أعنتك.

﴿بروح القدس﴾ يعني: جبريل ﴿تكلم الناس في المهد﴾ يعني: حجر أمه ﴿وكهلاً﴾ أي: كبيراً ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ يعني: كشبه الطير ﴿وتبرئ الأكمه﴾ يعني: الأعمى [الذي تلده] (١) أمه وهو مضموم العينين (٢).

﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك...﴾ إلى قوله: ﴿وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي﴾ يعني: وخيّه إلى عيسى يأمرهم أن يتبعوه ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ قال الحسن: يقولون: هل ربك فاعل، وهو كلام العرب: ما أستطيع ذلك؛ أي: ما أنا بفاعل ذلك (٣).

يحيى: عن عثمان، عن أبي الأشهب، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: «هم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك، ولكن قالوا:

(١) في الأصل: لا يرى إذ تلده. والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب (كمه).

(٣) وقيل: استطاع بمعنى أطاع، والمراد: هل يطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ أي: هل يطيعك ربك إن سأله؟ وإليه ذهب السدي. ينظر تفسير الطبري (١٢٩/٧) -

هل تستطيع ربك، أي: هل تقدر على هذا منه؟^(١)
﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ (ل ٩٠) قاله عيسى ﴿قالوا نريد أن نأكل
منها وتطمئن قلوبنا﴾ أي: تسكن؛ إذا نظرنا إلى المائدة.
﴿ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ أنها نزلت من عند
الله.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا
وَأَآخِرِنَا وَمَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ
بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً
لأولنا وآخرنا﴾ قال قتادة: أرادوا أن تكون لعقبهم^(٢) من بعدهم.

قال محمد: ومعنى ﴿عيداً﴾: مَجْمَعاً^(٣)، و﴿مائدة﴾ الأصل فيها من
قولك: مادني؛ أي: أعطاني؛ فكانها تميد الآكلين؛ أي: تعطيهم^(٤).

﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ على شرط ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني
أعذبه﴾ في الدنيا... الآية، قال ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء
غير اللحم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤٣/٤) رقم ٧٠١٤ من طريق القاسم بن محمد به.
ورواه الطبري في تفسيره (١٢٩/٧) من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٩/٢) نسبه إلى: ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ
وابن مردويه.

(٢) أي: لأولادهم وأولاد أولادهم. لسان العرب (عقب).

(٣) ولها معان أخرى تنظر من تفسير الطبري (١٣٢/٧-١٣٣).

(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (ميد).

قال قتادة: وذكر لنا أنهم لما صنعوا في المائدة ما صنعوا من الخيانة وغيرها، حوّلوا خنازير، وكانوا أمروا ألا يخونوا فيه، ولا يخبثوا، ولا يدخروا للغد، فخانوا وخبثوا وأدخروا.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۖ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ يعني: لبني إسرائيل خاصة ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقوله يوم القيامة.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ ينزه الله أن يكون قاله ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۖ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ وقد علم الله أنه لم يقله.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (وفاة الرفع إلى السماء) ^(١).

﴿كنت أنت الرقيب﴾ الحفيظ ﴿عليهم...﴾ ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾
 أي: في إقامتهم على كفرهم ﴿وإن تغفر لهم﴾ فبتوبة كانت منهم.
 ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ وهي تقرأ على وجه آخر
 ﴿يوم﴾ منونة^(١).

﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار... ذلك الفوز العظيم﴾ النجاة
 العظيمة ﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ أي: وملك ما فيهن ﴿وهو
 على كل شيء قدير﴾.



(١) قرأها الحسن بن عيَّاش الشامي والأعمش منونة على الرفع، وروي عن الأعمش أنه قرأها
 منونة على النصب، وقرأ الجمهور برفعه من غير تنوين، ونافع على نصبه من غير تنوين.
 ينظر: البحر المحيط (٦٣/٤)، الإعراب للنحاس (٥٣/٢)، الكشف (٣٧٥/٢)، الدر
 المصون (٦٥٩/٢)، السبعة (٢٥٠)، النشر (٢٥٦/٢).

تفسير سورة الأنعام

وهي مكية كلها. في قول قتادة وقال الكلبي: إلا ثلاث آيات مدنيات في آخرها قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم...﴾ إلى قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ مَاءٍ مِنْ عَيْنٍ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)﴾

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ الظلمات: الليل، والنور: ضوء النهار.

﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ عدلوا به أصنامهم التي عبدوها من دون الله .
﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني: آدم، ثم جعل نسله بعد من سلالة من ماء مهين ضعيف؛ يعني: النطفة ﴿ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده﴾ قال قتادة: ﴿ثم قضى أجلاً﴾ يعني: الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ ما بين الموت إلى البعث ﴿ثم أنتم تموتون﴾ تشكون في الساعة.

(١) وهي الآيات: (١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ يعني: القرآن، ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ يعني به: مشركي العرب.

﴿فقد كذبوا بالحق﴾ يعني: بالقرآن ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ يأتيهم علمه في الأرض، فيأخذهم الله فيدخلهم النار.

﴿إِن يَرَوْا كَمَ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَّكَوْا وَآرْسَنَّا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ وَدَرَاكًا وَجَعَلْنَا الْآلِهَةَ نَجْرَىٰ مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّيْنٌ ﴿٧﴾﴾

﴿كم أهلكنا﴾ عذبنا ﴿من قبلهم﴾ يعني: كفار مكة. إلى قوله: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يحذر مشركي العرب، ويخوفهم ما أهلك به الأمم حين كذبوا رسلهم ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم﴾ قرناً آخرين.

قال محمد: يقال: القرن: ثمانون سنة^(١).

﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس...﴾ الآية، قال الحسن: وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية: بكتاب يقرءونه وقالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من الله (ل ٩١) إلى كل رجل باسمه؛ أن آمن بمحمد؛ فإنه رسولي.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفُتِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُوتَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُوا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ

(١) ويقال: القرن مائة سنة، وهو المعروف، ويقال: ثلاثون سنة. وقيل غير ذلك.

ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه ملك﴾ أي: يأمرنا باتباعه.

قال الله: ﴿ولو أنزلنا ملكًا لقضي الأمر﴾ بعذابهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ لا يؤخرون بعد نزول الملك؛ لأن القوم إذا سألوا نبيهم الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا، أهلكهم الله.

﴿ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا﴾ أي: لجعلنا ذلك الملك في صورة آدمي وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴿أي: ولخلطنا عليهم ما يخلطون؛ لأنهم طلبوا أن يكون ملك مع آدمي.

قال محمد: وقيل: المعنى: لأضللناهم بما ضلوا به قبل أن يبعث الملك. ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: نزل بهم عقوبة استهزائهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَكِنْ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطِيعُ وَلَا يُطَعَّمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ وَأَنْ يَسْأَلَكَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُسْأَلَكَ بِشَيْءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُسْأَلَكَ بِشَيْءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُسْأَلَكَ بِشَيْءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ

﴿كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٥﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ﴾ كان عاقبتهم أن دَمَّرَ اللَّهُ عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: أوجبها.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: خسروها بمصيرهم إلى النار ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: من مات على كفره.

﴿قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَتُخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: خالقهما.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ يعني: من أمته.

﴿مَنْ يَصْرِفُ عَنْهُ يَوْمُنْذٌ﴾ يعني: من يصرف عنه عذابه ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَهْلُكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحِيدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمُ الْكِتَابُ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قهرهم بالموت، وبما شاء من أمره ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بخلقه.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ قال الكلبي: قال المشركون من أهل مكة للنبي: من يعلم أنك رسول الله فيشهد لك؟ فأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فهو شهيد أني رسوله.

﴿وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ أي: من بلغه القرآن.

قال مجاهد: يعني: من أسلم من العجم^(١) وغيرهم. ﴿أنتكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾ وهذا على الاستفهام؛ أي: قد شهدتم أن مع الله آلهة أخرى؟ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فيعبد معه الأوثان؛ أي: لا أحد أظلم منه ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٢٢ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ٢٣ ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ ٢٤

﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم﴾ يعني: أوثانهم. ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ يعني: معذرتهم ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ باعتذارهم بالكذب ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: الأوثان التي عبدوها ضلت عنهم؛ فلم تُغن عنهم شيئاً. قال محمد: من قرأ ﴿ربنا﴾ بالخفض، فهو على الثن والثناء^(٢)، ومن قرأ ﴿فتنتهم﴾ بالنصب، فهو خبر ﴿تكن﴾، والاسم ﴿إلا أن قالوا﴾^(٣).

(١) العجم: هم خلاف العرب، الواحد: عَجَمِي نطق بالعربية أو لم ينطق. ويقال لهم أيضاً: العجم، والواحد: أعجم.

ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (عجم).
(٢) قرأ بالخفض السبعة إلا حمزة والكسائي. وفي الآية أقوال نحوية أخرى ينظر: السبعة (٢٥٥)، التيسير (١٠٢)، النشر (٢٥٧/٢)، البحر المحيط (٩٥/٤).

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص ﴿فتنتهم﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. وفي الآية أقوال نحوية أخرى.

ينظر: السبعة (٢٥٥)، التيسير (١٠٢)، النشر (٢٥٧/٢)، البحر المحيط (٩٥/٤).

﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًا مَائِدًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾
 ﴿ومنها من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ لئلا يفقهوه^(١). ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ يعني: صمما عن الهدى.
 ﴿وإن يروا كل آية﴾ يعني: ما سألوا النبي ﷺ من الآيات.

﴿لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ ومجادلتهم أن ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ كذب الأولين وباطلهم؛ يعنون: القرآن.
 ﴿وهم ينهون عنه وينتون عنه﴾ قال الحسن: ينهون عن اتباع محمد، ويتباعدون عنه ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ بذلك ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يهلكون أنفسهم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ رَبَّنَا نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾
 ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدأ لهم﴾ في الآخرة ﴿ما كانوا يخشون من قبل﴾ إذ كانوا في الدنيا، وكانوا يكذبون بالبعث. قال بعضهم: نزلت في المنافقين ﴿ولو ردوا﴾ إلى الدنيا ﴿لعادوا لما نُهُوا عنه﴾ من التكذيب ﴿وإنهم

(١) أي: بحذف (لا) من الآية. ينظر: البحر المحيط (٩٥/٤).

لكاذبون ﴿ل(٩٢) أي: أنهم لم يكونوا ليؤمنوا؛ أخبر بعلمه فيهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَشْتًا قَالُوا يَحْسَرَتْنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُونُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقعوا على ربهم قال أليس هذا بالحق﴾ الذي كنتم تكذبون به إذ أنتم في الدنيا ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فآمنوا حين لم ينفعهم الإيمان.

﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا﴾ والتحسر: التندم ﴿على ما فرطنا فيها﴾ (في) ^(١) الساعة، إذ لم يؤمنوا بها ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء﴾ (بئس) ^(٢) ﴿ما يوزون﴾ يحملون ذنوبهم.

يحيى: عن صاحب له، عن إسماعيل بن أبي رافع ^(٣)، عن سعيد المقبري ^(٤)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكافر إذا خرج من قبره مثل ^(٥) له عمله في أقبح صورة رأها قط، أقبحه وجهًا، وأنته ريحًا، وأسوأه لفظًا؛ فيقول: من أنت؟ أعوذ بالله منك؛ فما رأيت أقبح منك وجهًا،

(١) في «ر»: من.

(٢) سقط من «ر».

(٣) كذا في الأصل و«ر»: إسماعيل بن أبي رافع. وأظن الصواب إسماعيل بن رافع، وهو أبو رافع القاصص المدني، وهو ضعيف، يروي عن سعيد المقبري، ترجمته في التهذيب (٣/ ٨٥-٩٠) والله أعلم.

(٤) في «ر»: عن أبي سعيد.

(٥) أي: صور.

ولا أنتن منك ربحاً، ولا أسوأ منك لفظاً. فيقول: أنتعجب من قبحي؟ فيقول: نعم، فيقول: أنا والله عملك الخبيث، وإنك كنت تركبني في الدنيا، وإني والله لأركبكن اليوم؛ فيركبه فلا يرى شيئاً يهوله ولا يروعه إلا قال: أبشراً^(١) يا عدو الله، أنت الذي تراد وأنت الذي تُغنى. وهو قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم...﴾ الآية^(٢).

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتَتْ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ﴾ أي: أنَّ أهل الدنيا أهل لعب ولهو. ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ إنك ساحرٌ، وإنك شاعرٌ، وإنك كاهنٌ، وإنك مجنونٌ.

قال الكلبي: شق عليه وحزن، فأخبره الله - عز وجل - أنهم لا يكذبونك، وقد عرفوا أنك صادق ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾. قال محمد: من قرأ ﴿لَا يُكْذِبُونَكَ﴾ بالتخفيف، فالمعنى: لا يلفونك كاذباً، ومن قرأ ﴿لَا يُكْذِبُونَكَ﴾ فالمعنى: لا ينسبونك إلى الكذب^(٣).

(١) تطلق البشري في اللغة على الأمر الحسن أو السيئ، فليست مقصورة على الحسن فحسب، ومن إطلاقتها على السيئ قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ (الانشقاق: ٢٤).

(٢) لم أقف عليه بهذا الإسناد، والله أعلم.

(٣) قرأ بالتخفيف نافع والكسائي، وقرأ الباقر بالتشديد. ينظر: السبعة (٢٥٧)، النشر (٢/ ٢٥٨-٢٥٧).

وينظر في توجيه هاتين القراءتين: البحر (١١١/٤)، كشف المشكلات (١/ ٣٩٤).

﴿ولقد كذبت رسل من قبلك...﴾ إلى قوله: ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ أي: أنه سينصرك، ويظهر دينك، كما نصر الرسل الذين كذبوا من قبلك ﴿ولقد جاءك من نبا المرسلين﴾ من أخبار المرسلين أنهم قد نصروا بعد الأذى، وبعد الشدائد.

﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاطِلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ عنك، وتكذيبهم إياك.

﴿فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض﴾ أي: سرىا، فتدخل فيه ﴿أو سلما في السماء﴾ أي: إلى السماء^(١)، فترقى إليها ﴿فتأتيتهم بآية﴾ وهذا حين سألوا الآية.

قال محمد: المعنى: فإن استطعت أن تفعل هذا فافعل؛ اختصر (فافعل) إذ كان في الكلام ما يدل عليه.

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني: المؤمنين ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ قال الحسن: يعني بالموتى: المشركين.

وقوله: ﴿يبعثهم الله﴾ يعني: من يَمُنُّ الله عليهم بالإيمان؟ فيحييهم من شركهم ﴿ثم إليه يرجعون﴾ يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ

(١) أي: أن (في) في الآية بمعنى (إلى). وانظر في دلالة (في) على معنى (إلى) عموما. مغني اللبيب (١/١٩٢).

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُفًّا وَبِكُمْ فِي
الْظُلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه﴾ على محمد ﴿آية﴾ ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

قوله: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد: [أي: أصناف] ^(١) مصنفه [تعرف] ^(٢) بأسمائها.

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ من آجالها وأعمالها وأرزاقها وآثارها؛ أي: أن ذلك كله مكتوب عند الله.

﴿والذين كذبوا بآياتنا صم﴾ عن الهدى؛ فلا يسمعون ﴿وبكم﴾ عنه؛ فلا ينطقون به ﴿في الظلمات﴾ يعني: الكفر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾
﴿قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ قال الحسن: يعني: في الدنيا بالاستئصال ﴿أو أتكم الساعة﴾ بالعذاب ﴿أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ أي: أنكم لا تدعون إلا الله؛ فتؤمنوا حيث لا يقبل الإيمان (٩٣) منكم؛ وقد قضى الله ألا يقبل الإيمان عند نزول العذاب.

﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ وهذه مشيئة القدرة، ولا

(١) طمس بالأصل. والمثبت من «ر». وينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٨/٣)، والطبري (٧/ ١٨٧).

يشاء أن يكشف عنهم عند نزول العذاب.

﴿وتنسون ما تشركون﴾ بالله من هذه الأوثان؛ فتعرضون عنها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا شَاؤْنَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ البأساء: اليأس؛ وهي الشدائد من الجدوبة، وشدة المعاش. والضراء يعني: الضر من الأمراض والأوجاع ﴿لعلهم يتضرعون فلولا﴾ يعني: فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أي: أنهم لم يتضرعوا ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ غلظت فلم يؤمنوا، وهذا الذي كان يصيب الأمم من البأساء والضراء إنما هو شيء يتلهم الله به قبل العذاب لعلهم يؤمنون؛ فإذا لم يؤمنوا أهلكهم الله.

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي: (كذبوا) ^(١) ما جاءتهم به الرسل.

﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ من الرزق ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ بما أعطوا ﴿أخذناهم بغتة﴾ يعني: بالعذاب فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ يياسون ﴿فقطع دابر﴾ أصل ﴿القوم الذين ظلموا﴾ أشركوا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ لَّهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَبُونَ ﴿٤٦﴾﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ

(١) في «رو»: تركوا.

بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ أَمَنَّ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم﴾ [فأصمها] ^(١) ﴿وأبصاركم﴾ فأعماها. ﴿وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾ أي: بما أذهب؛ يقول: ليس يفعل ذلك؛ حتى يزدّه عليكم إن شاء إلا هو ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ نينها ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي: يعرضون عنها. ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة﴾ أي: ليلاً ﴿أو جهرة﴾ نهازاً ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ يخوفهم العذاب؛ إن لم يؤمنوا.

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ يعني: بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار. ﴿قل لآ أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك﴾ إن أتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴿٥٠﴾ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وكي ولا شفيع لعالم ينفون ﴿٥١﴾ ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ أي: علم خزائن الله الذي فيه العذاب؛ لقولهم: ﴿اتنا بعذاب الله﴾ ^(٢).

﴿ولا أعلم الغيب﴾ فيأتيكم العذاب. ﴿ولا أقول إني ملك﴾ إنما أنا بشر، ولكني رسول يوحى إليّ. ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ أي: إنما أبلغ عن الله ما أمرني به.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سورة العنكبوت: ٢٩.

﴿قل هل يستوي الأعمى﴾ يعني: الذي لا يبصر ﴿والبصير﴾ الذي يبصر؛ هذا مثل المؤمن والكافر ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي: أنهما لا يستويان.

﴿وانذر به﴾ يعني: بالقرآن ﴿الذين يخافون﴾ يعني: يعلمون ﴿[أن يحشروا]﴾^(١) إلى ربهم ﴿يعني: المؤمنين؛ هذا مثل قوله: ﴿إنما تنذر به من اتبع الذكر﴾^(٢) إنما يقبل منك من آمن.

﴿ليس لهم من دونه﴾ أي: من دون الله ﴿ولي﴾ يمنعهم من عذابه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم؛ إن لم يكونوا مؤمنين. ﴿لعلهم﴾ لعل المشركين ﴿يتقون﴾ هذا فيؤمنوا.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وكذلك فتنا بعضهم ببعض يقولوا أهتولاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال الحسن: يعني: صلاة مكة؛ حين كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشيّة، قبل أن تفترض الصلوات الخمس.

قال قتادة: قال قائلون لرسول الله: إن سرك أن نتبعك، فاطرد عنا فلاناً وفلاناً وفلاناً - لأناس كانوا دونهم [في الدنيا]^(٣) ازدراهم المشركون فأنزل

(١) في الأصل: أنهم يحشرون.

(٢) سورة يس: ١١.

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» وفي تفسير الطبري بدل ما بين القوسين: (من ضعفاء المسلمين) ينظر: تفسير الطبري (٧/٢٠١).

اللَّهُ هذه الآية، ومعنى قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدون الله ورضاه.
 ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني:
 المؤمنين الذين قالت له قريش: اطردهم. قال: ﴿فَتَطْرَدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ
 الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن طردتهم.

قال محمد: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هو جواب ﴿وَلَا تَطْرُدْ﴾ وقوله:
 ﴿فَتَطْرَدُهُمْ﴾ هو جواب ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ يعني: الموحدين.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
 الرَّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلُونَ شَرَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنْتُمْ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ﴾^(٥٤) وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَيْسَ بِهَا سَبِيلٌ الْمُجْرِمِينَ^(٥٥)

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا...﴾ الآية، تفسير الكلبي: أن أبا طالب
 هو الذي قال للنبي: اطرد (٩٤ل) فلانًا وفلانًا وفلانًا، وأن ناسًا من أصحاب
 النبي قالوا: يا رسول الله، صدق عمك؛ فاطرد عنا سفلة الموالى، فعاتبهم
 الله في الآية الأولى، فجاءوا يعتذرون إلى رسول الله من سقطتهم، ويسألونه
 أن يعفو عنهم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ﴾ أمره الله أن يسلم عليهم.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ [قال
 قتادة: كل ذنب عمله عبد فهو بجهالة]^(٢).

(١) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/٥٤٩)، البحر (٤/١٣٨).

(٢) طمس بالأصل . والمثبت من «ر».

قال محمد: ومن قرأ: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه﴾ بفتح الألف^(١)، فالمعنى: وكتب أنه، ومن قرأ: ﴿فإنه غفور رحيم﴾ بكسر الألف^(٢)؛ فإنه على الاستئناف.

قوله: ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي: نبينها ﴿ولتستبين﴾ يا محمد ﴿سبيل المجرمين﴾ يعني: المشركين بالآيات التي بين الله فيها سبيل الهدى من سبيل الضلالة.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُ بِرَبِّهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِرَبِّهِ إِنَّ الْحَكْمَ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِي الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأوثان.

﴿قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ في عبادة الأوثان ﴿قد ضللت إذا﴾ إن اتبعت أهواءكم ﴿وما أنا من المهتدين﴾ قل إنني على بينة من ربي ﴿يعني: النبوة وكذبتم به﴾ بالقرآن.

﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب؛ لقولهم: ﴿عجل لنا قطناً﴾^(٣) يعني: عذابنا ﴿قبل يوم الحساب﴾^(٣)، ولقولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو

(١) قرأ بفتح الهمزة عاصم وابن عامر . ينظر: التيسير (١٠٢)، النشر (٢٥٨/٢)، وينظر التوجيه النحوي في: البحر (٤/١٤٠-١٤١)، إعراب القرآن (١/٥٥٠-٥٥١).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا وابن عامر ونافع. ينظر السبعة (٢٥٨)، النشر (٢٥٨/٢)، وينظر التوجيه النحوي في: مجمع البيان (٣٠٧/٢)، البحر (٤/١٤٠-١٤١).

(٣) سورة ص: ١٦ .

الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء»^(١) وأشبه ذلك .

«إن الحكم إلا لله» إن القضاء إلا لله «يقضي الحق»^(٢) وتقرأ أيضًا «يقص الحق» من القصص «وهو خير الفاصلين» بالحكم .

«قل لو أن عندي ما تستعجلون به» من عذاب الله «لقضي الأمر بيني وبينكم» يعني : الساعة ، فأتيتكم بالعذاب «والله أعلم بالظالمين» المعنى : وهو يعلم أنكم ظالمون ؛ أي : مشركون .

«وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^(٣)
 وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»^(٤)

«وعنده مفاتيح الغيب» يعني : خزان الغيب «لا يعلمها إلا هو» يعلم متى يأتيكم العذاب ؛ هذا تفسير الحسن «ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض» [في جوف الأرض]^(٥) «ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين» بين «وهو الذي يتوفاكم بالليل» يعني : النوم «ويعلم ما جرحتم بالنهار» ما علمتم بالنهار «ثم يبعثكم فيه» قال مجاهد : يعني : في النهار . «ليُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى» يعني : الساعة باختلاف الليل والنهار .

(١) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٢) هكذا وردت القراءة بالأصل و«ر» (يقضي) ، وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ونافعا وعاصما ، حيث قرءوا «يقص» .

ينظر : النشر (٢/٢٥٨) ، السبعة (٢٥٩) ، التيسير (١٠٣) .

(٣) سقطت من الأصل . والمثبت من «ر» .

﴿ثم إليه مرجعكم﴾ يوم القيامة ﴿ثم ينبتكم بما كنتم تعملون﴾ .
 ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رُسُلنا وهم لا يفرطون﴾ (٦١) ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ (٦٢) ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونهن نصرًا وخفية لين أنجنا من هؤلاء لتكونن من الشكرين﴾ (٦٣) ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ (٦٤) ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم سيعًا ويدبركم بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصره آيات لعلهم يفقهون﴾ (٦٥) ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾ (٦٦) ﴿لكل بئر مستقر وسوف تعلمون﴾ (٦٧)

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قهرهم بالموت، وبما شاء من أمره . ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ من الملائكة؛ يحفظون أعمال بني آدم ويكتبونها، ويحفظونه مما لم يُقدَّر له؛ حتى يأتي القدر ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ في أمر الله .

يحيى: وبلغنا أن لملك الموت أعوانًا من الملائكة هم الذين يسلون الروح من الجسد؛ حتى إذا [كانوا عند خروجهم جاء] ^(١) ملك الموت، وهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل الله .

﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ يعني: مالكمهم، والحق: اسم من أسماء الله ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ .

قال يحيى: سمعت بعض الكوفيين يقول: يفرغ الله من القضاء بين الخلق

(١) في الأصل: كان عند خروجه قبضه . والمثبت من «ر» .

إذا أخذ في حسابهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ يعني: كروب البر والبحر.
﴿تدعونه تضرعًا وخفية﴾ أي: سرًا بالتضرع ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الشدة
﴿لنكونن من الشاكرين﴾ يعني: المؤمنين.

﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب﴾ أي: كل كرب نجوئكم منه فهو الذي
أنجاكم منه ﴿ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من
فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾
(٩٥) تفسير الحسن في قوله: ﴿عذابًا من فوقكم﴾ فيحصبكم ^(١) بالحجارة
كما حصب قوم لوط، أو ببعض ما ينزل من العذاب ﴿أو من تحت أرجلكم﴾
أي: يخسف أو برحفة ﴿أو يلبسكم شيعًا﴾ يعني: اختلافًا.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ أي: فيقتل بعضكم بعضًا ﴿وكذب به قومك
وهو الحق﴾ يعني: القرآن ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم حتى
[أجازيكم] ^(٢) بها إنما أنا منذر، والله المجازي لكم بأعمالكم.
﴿ولكل نبيًا مستقر﴾ تفسير الحسن: يقول: لكل نبيًا مستقر عند الله خيره
وشره.

﴿وسوف تعلمون﴾ يوم القيامة؛ وهذا وعيد من الله للكفار؛ لأنهم كانوا لا
يقرون بالبعث.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٦﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ

(١) أي: يرميكم بالحصباء، وهي صفار الحجارة. لسان العرب (حصب).

(٢) في «الاصل»: يجازيكم. والمثبت من «ر».

حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذَكَرْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ قال مجاهد: يعني: يستهزئون بها ﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم^(١).

﴿وما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ نهي أن يقعد معهم، إلا أن ينسى فإذا ذكر فليقم.

﴿وما على الذين يتقون﴾ يعني: المؤمنين ﴿من حسابهم من شيء﴾ يعني: المؤمنين ليس عليهم من حساب المشركين؛ أي: إن قعدوا معهم ﴿ولكن ذكرى لعلمهم يتقون﴾ قال الكلبي: قال أصحاب رسول الله ﷺ: إنا كنا كلما استهزأ المشركون بكتاب الله قمنا وتركناهم لم ندخل المسجد ولم نطف بالبيت، فرخص الله للمؤمنين؛ فقال: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلمهم يتقون﴾ فكان على المسلمين أن يذكروهم ما استطاعوا.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ قال قتادة: وهذا مما نسخ (القتال)^(٢).

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٤٥).

(٢) ينظر الناسخ والمنسوخ (ص ٤٥) ونواسخ القرآن (ص ٣٩٠).

﴿وذكر به﴾ بالقرآن ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ يعني: أن تُسَلِّمَ ﴿بما كسبت﴾ عملت؛ أي: تُسَلِّمَ في النار ﴿ليس لها من دون الله ولي﴾ يمنعها منه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها عنده؛ وهذا الكافر.

﴿وإن تعدل كل عدل﴾ أي: تفتدي بكل فدية ﴿لا يؤخذ منها﴾ لا يقبل منها ﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ أسلموا في النار. ﴿بما كسبوا﴾ عملوا ﴿لهم شراب من حميم﴾ والحميم: الحار الذي قد انتهى حره ﴿وعذاب أليم﴾ موجه.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنِتُ أَلَهُ الْهُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا يُسَلِّمُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧١)
﴿قل أندعوا من دون الله﴾ يعني: نعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ وهي الأوثان.

﴿ونرد على أعقابنا﴾ أي: نرجع إلى الكفر ﴿بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾ أي: غلبت عليه ﴿حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنًا﴾ أي: كرجل ضل في أرض فلاة^(١)، له أصحاب كلهم يدعونه إلى الطريق فهو متحير؛ هذا مثل من ضل بعد الهدى، قال الله للنبي: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ وهو الذي أنت عليه.

﴿وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٧٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ

(١) أي: صحراء، والجمع. فَلَوَاتٌ، وَقَلَا. لسان العرب (فلو).

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٦﴾
 ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: للحق؛ يعني: الميعاد
 ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ يعني: يوم القيامة .

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ ينفخ فيه مَلَكٌ يقوم بين السماء والأرض، قال
 قتادة: من الصخرة من بيت المقدس، والصور: قَرْنٌ فيه أرواح الخلق؟ فينفخ
 فيه فيذهب كل روح إلى جسده، فيدخل فيه، ثم ينطلقون سراعاً إلى المنادى
 صاحب الصور إلى بيت المقدس ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السر،
 والشهادة: العلانية ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخير﴾ بأعمال العباد .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
 ﴿٧٧﴾ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا
 جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ
 الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ بِهَٰذَا رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
 ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّرُ إِلَيَّ بَرِّي
 ﴿٨١﴾ مِمَّا تَتَرَكُونَ ﴿٨٢﴾ إِلَيَّ وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي نَظَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ولما قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة﴾ قال قتادة: أبو إبراهيم
 اسمه: تارح^(١)

(١) وقيل: اسم أبيه آزر، وقيل: آزر هو تارح، وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري (٧/٢٤٢-٢٤٤).

قال يحيى: والمقراءة^(١) على هذا التفسير: ﴿آزُرُ﴾ بالرفع، وكذلك كان الحسن (ل٩٦) يقرؤها بالرفع^(٢) (آزُرُ) يقوله إبراهيم لأبيه^(٣).

قال محمد: قال أبو عبيد^(٤): مَقْرَأُ الحسن بالرفع؛ هو بمعنى (يا آزر). وقال الخليل^(٥): معنى (يا آزر) الشيء يُعَيِّرُهُ به؛ كأنه قال: يا مُعَوِّجُ، يا ضال^(٦).

قال يحيى: وكان بعضهم يقرؤها بالنصب^(٧)، ويقول: اسم أبيه: (آزر). ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت﴾ يعني: ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية.

تفسير قتادة قال: ذكر لنا أن إبراهيم قُرِّبَ به من جبار مترف؛ فجعل في سُرْبٍ، وجعل رزقه في أطراف أصابعه، فجعل لا يمص إضْبَعًا إلا وجد فيها

(١) أي: القراءة، فهو مصدر ميمي على وزن مَفْعَلَة.

(٢) وهي قراءة يعقوب، وعزيت إلى أبي وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم. ينظر: النشر (٢/٢٥٩)، المحتب (١/٢٢٣)، البحر المحيط (٤/١٦٤).

(٣) أي: على النداء، أي: يقول إبراهيم لأبيه: يا آزر.

(٤) أبو عبيد: هو أبو عبيد القاسم بن سلام؛ الإمام الجليل: توفي سنة ٢٢٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠ - ٥٠٩).

وفي «ر»: أبو عبيدة: وهو معمر بن المثنى البصري العلامة النحوي، ترجمته في تهذيب الكمال (٢٨/٣١٦ - ٣٢١).

(٥) هو الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥هـ) علامة العرب، وهو أشهر اللغويين والنحاة وأضع علمي المعاجم والعروض، وله المؤلفات السائرة ككتاب العين والعروض وغيرهما. ينظر الأعلام (٢/٣١٤).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٧/٢٤٣)، كشف المشكلات (١/٤٠٧).

وفي كتاب العين للخليل (٦/٣٨٢) آزر: اسم والد إبراهيم عليه السلام.

(٧) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢١١) البحر المحيط (٤/١٦٤)، النشر (٢/٢٥٩).

رزقًا، وإنه لما خرج من ذلك السُزْب أراه الله ملكوت السموات؛ أراه شمسًا وقمرًا ونجومًا وغيوبًا وخلقًا عظيمًا، وأراه ملكوت الأرض؛ فأراه جبالًا وبحارًا وأنهارًا وشجرًا، ومن كل الدواب وخلقًا عظيمًا.

﴿فلما جنَّ عليه الليل﴾ أي: [آواه]^(١).

قال محمد: يقال: جنَّ عليه الليل، وأجثَّ الليل؛ إذا أظلم حتى يستره بظلمته^(٢).

﴿رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ وأهمه^(٣) النظر^(٤) فراعى الكوكب حتى ذهب وغاب، قال: وأطلع القمر، وكان ليلة آخر الشهر ﴿فلما رأى القمر بازغًا﴾ أي: طالعا ﴿قال هذا ربي﴾ قال: فراعاه حتى غاب ﴿فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ قال: فازداد قريبًا من معرفة الله ﴿فلما رأى الشمس بازغًا﴾ [أي: طالعة]^(٥) ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾ أي: من القمر والكوكب. قال: فراعاه حتى غابت ﴿فلما أفلت﴾ ذهبت ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾.

﴿وَحَاجُّهُ قَوْمٌ قَالُوا أَتُحْكِمُ فِي آلِهَةٍ وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ

(١) في الأصل: أتاه. والمثبت من «ر».

(٢) يقال: جنَّ وأجثَّ، وأجثَّ، واستجثَّ بمعنى واحد؛ أي: استر، والمراد: استر بظلمة الليل.

ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جنن).

(٣) أي: أتعبه. لسان العرب (همم).

(٤) اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مقام مناظرة، والصحيح أنه مقام مناظرة. انظر تفسير القرطبي (٢٥/٧ - ٢٧) وتفسير ابن كثير (١٥١/٢ - ١٥٢) وأضواء البيان (١٨٠/٢).

(٥) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

يَشَاءُ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيفَ أَخَافُ مَا
 أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
 الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
 أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَذَلِكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
 دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداي ولا أخاف ما تشركون به﴾
 يعني: أصنامهم التي كانوا يعبدون.

قال محمد: ذكر أبو عبيد^(١)؛ أن نافعاً قرأ: ﴿أتحاجوني﴾ بتخفيف
 النون^(٢)، ومثله: ﴿قل أغفیر الله تأمروني أعبد﴾^(٣) قال: وقرأهما أهل العراق
 مثقلتين: (أتحاجوني، وتأمروني)^(٤).

قال أبو عبيد^(١): وكذلك القراءة عندنا بتثقيلهما^(٥)؛ لأن الأصل أن يكون^(٦)
 بنونين: نون الفعل^(٧)، ونون اسم الفاعل^(٨): فلما كُتِبَتْ في المصحف على

(١) في «ر»: أبو عبيدة.

(٢) وقراءة التخفيف هي قراءة نافع، وابن عامر؛ بخلاف عن هشام عنه. ينظر: السبعة (٢٦١)،
 النشر (٢٥٩/٢ - ٢٦٠)، التيسير (١٠٤).

(٣) سورة الزمر: ٦٤.

(٤) وقراء التشديد هي قراءة الباقيين (أي: باستثناء نافع وابن عامر) ينظر: السبعة (٢٦١)، النشر
 (٢٥٩/٢ - ٢٦٠)، التيسير (١٠٤).

(٥) أي: أتحاجوني، وتأمروني.

(٦) لعل الصواب (يكونا)، أو التقدير: يكون الفعل منهما.

(٧) أي: نون الرفع في الأمثلة الخمسة.

(٨) هذا اصطلاحه، ومصطلح النحاة (نون الوقاية) أو (نون العماد) ينظر: البحر (٤/١٦٩)، الدرر
 المصون (٣/١٠٨).

نون واحدة، لم يكن إلى الزيادة سبيل؛ فقلوا النون؛ لتكون المتروكة مدغمة. قال: وإنما كره التثقيل من كرهه - فيما نرى - للجمع بين الساكنين؛ وهي الواو والنون المدغمة فحذفوها^(١).

قوله: ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ قال قتادة: يعني: ملا ربي. ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ يعني: من هذه الأوثان ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ يعني: حجة ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أي: من عبد الله، و[من]^(٢) عبد الأوثان؟ ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يعني: يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم﴾ بشرك ﴿أولئك لهم الأمن﴾ يوم القيامة ﴿وهم مهتدون﴾ في الدنيا.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا يُسُفَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَاسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَأَجْنَاسَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ اللَّهُ بِهِنَّ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ إلى قوله: ﴿وكلاً فضلنا على العالمين﴾

(١) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٤١٠)، البحر (٤/ ١٦٩)، إعراب القرآن (١/ ٥٦٠).

(٢) ليست في الأصل ورة.

يعني: عالمي زمانهم ﴿واجتبناهم﴾ (استخلصناهم) ^(١) للنبوة.

﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم﴾ يعني: الفهم والعقل ﴿والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء﴾ قال الحسن: يعني: المشركين ﴿فقد وكلنا بها﴾ بالنبوة ﴿قومًا ليسوا بها بكافرين﴾ يعني: النبيين الذين ذكروا ^(٢): داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء المذكورين في الآية.

﴿أولئك الذين هدى الله﴾ يعني: النبيين الذين قص.

﴿فبهدهم اقتده﴾ يقوله لمحمد ﷺ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْمَلُونَهُ فَارْطَبْسُ تُبدونها وتُخفون كثيرًا وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٦﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ تفسير الحسن: هم اليهود [كانوا] ^(٣) يقولون: هؤلاء قوم أميون؛ يعنون: النبي ﷺ وأصحابه (ل ٩٧) فَأَلْبِسُوا ^(٤) عليهم؛ فقالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ فقد كانت الأنبياء تجيء من عند الله، فلم

(١) في «ر»: أخلصناهم.

(٢) في «ر»: ذكروا.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) أي: أدخلوا عليهم الشك والبطلان بإثارة الشبهات. لسان العرب (لبس).

تكن تجيء بالكتب؛ فمن أين جاء محمد بهذا الكتاب؟! قال الله لمحمد: قل لهم: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس﴾ يعني: لمن اهتدى به ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا﴾ والقراطيس: الكتب التي كتبوا بأيديهم بما حرفوا من التوراة.

﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ يقول: علمتم علمًا؛ فلم يصبر لكم علمًا؛ لتضييعكم إياه، ولا لآبائكم ﴿قل الله﴾ الذي أنزل الكتاب، الآية. وهذا قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب.

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يعني: القرآن ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿ولتنذر أم القرى﴾ يعني: ولتنذر أهل مكة ﴿ومن حولها﴾ يعني: سائر الأرض.

﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ قال قتادة: يحافظون على وضوئها ومواقيتها، وركوعها وسجودها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُنتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ يقول: لا أحد أظلم منه ﴿أو قال

أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴿ قال الحسن وقتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب .

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ... ﴾ الآية .

يحيى: أخبرني بعض الكوفيين عمن حدثه، عن أبي أمامة قال: «هذا عند الموت يقبضون [روح الكافر]^(١) (وَيَعْدُونَهُ)^(٢) بالنار، وَيُسَدَّدُ عليه، وإن رأيتم أنه يُهَوَّنُ عليه، ويقبضون روح المؤمن، وَيَعْدُونَهُ بالجنة وَيُهَوَّنُ عليه، وإن رأيتم أنه يُسَدَّدُ عليه».

﴿ولقد جتتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ يقول: خلقنا كل إنسان فرّداً، ويأتينا يوم القيامة فرّداً.

قال محمد: ﴿فرادى﴾ جمع فرّد؛ وكأنه جمع (فَرْدَان)؛ كما قالوا: كَسَلَان وكُسَالَى^(٣).

﴿وتركتكم ما خولناكم﴾ أي: ما أعطيناكم ﴿وراء ظهوركم﴾ يعني: في الدنيا.

﴿وما نرى معكم شفعاءكم﴾ يعني: ألّهتكم ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ أي: أنهم شركاء لله فيكم؛ فعبدتموهم من دون الله ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي: وضمّلكم الذي كان يواصل به بعضكم بعضاً على عبادة الأوثان؛

(١) في الأصل: روحه. والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: ويعذبونه.

(٣) قال الفراء: فرادى جمع فرّد، وفريد، وفرّد، وفَرْدَان. وقال ابن قتيبة: هو جمع فَرْدَان، كَسَكْرَان وسَكَازَى، وَعَجَلَان وَعَجَالَى. وقال قوم: هو جمع فريد كرديف ورْدَافِي، وأسير وأسَارَى؛ قاله الراغب الأصفهاني. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (فرد)، الدر المصون (١٢٤/٣).

هذا تفسير من قراها بالرفع، ومن قراها بالنصب فالمعنى: لقد تقطع ما بينكم من المواصله^(١).

﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أنها تشفع لكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ﴾ ٩٥ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٩٦ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ٩٨ ﴿

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى﴾ قال الحسن: يعني: ينفلق عن النبات.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ذلكم الله فأنت تؤفكون﴾ أي: فيكيف تصرف عقولكم؟! ﴿فالق الإصباح﴾ خالق الإصباح؛ يعني: الصبح حين يضيء وكان الحسن يقرؤها: (الأضباح) جمع: ضُبح^(٢).

﴿وجاعل الليل^(٣) سكتاً﴾ يسكن فيه الخلق ﴿والشمس والقمر حُسْبَانًا﴾

(١) قرأ بنصب ﴿بينكم﴾ نافع والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٢٦٣)، والتيسير (١٠٥)، والنشر (٢٦٠/٢). وينظر في توجيه هاتين القراءتين: ابن الشجري (٤٦/١)، (٢٥٧/٢ - ٢٥٩)، البحر (١٨٢/٤ - ١٨٣)، إعراب القرآن (١/٥٦٦)، الدر المنصور (١٢٦/٣).

(٢) قرأ الحسن وأبو رجا وعيسى بن عمر (الأضباح) جمع (ضُبح) وقرأ الجمهور ﴿الإصباح﴾، على كسر الهمزة، وهو المصدر. ينظر: البحر المحيط (١٨٥/٤)، الدر (١٣٢/٣).

(٣) قرأ الكوفيون ﴿جعل﴾ بفتح العين واللام من غير ألف وينصب اللام من ﴿الليل﴾ وقرأ الباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض ﴿الليل﴾. النشر (٢٦٠/٢) وإتحاف الفضلاء (٢٧٠).

قال الكلبي: يعني: حساب منازل الشمس والقمر، كل يوم بمنزل.
قال محمد: القراءة بالنصب: (والشمس والقمر)^(١)؛ أي: وجعل الشمس والقمر، ومن كلامهم: حُدَّ كل شيء بحُسابه؛ أي: بحسابه.

﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾ يعني: التي يُهْتَدَى بها منها.
﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿فمستقر ومستودع﴾ تفسير ابن عباس: المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب، وكان الحسن يقرؤها (فمستقر) بكسر القاف^(٢) (ومستودع) وتفسيرها: مستقر في [أجله]^(٣) ومستودع [في قبره]^(٤) (ل ٩٨) من يوم يوضع فيه إلى يوم يبعث.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مِثْلَهَا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهِ أَظْهَرُوا إِلَىٰ نَعْمِهِ إِذَا تَمَرَّتْ إِذَا تَمَرَّتْ لَكُمْ لِقَافٌ يَّوْمَ تَكُونُونَ﴾

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ يعني: النبات الذي ينبت ﴿فأخرجنا منه خضرًا نخرج منه حبًا متراكبًا﴾ أي: يركب بعضه بعضًا.

(١) وهي قراءة الجمهور، وتأويل النصب على المفعولية بتقدير الفعل (جعل) ينظر: البحر (٧/ ١٥)، الدر المصون (٣/ ١٣٤).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو؛ أي بكسر القاف، والباقون قرءوا بفتحها. أما ﴿مستودع﴾ فالكل قرءوه مفتوح الدال. وقد روى الأعرابي عن أبي عمرو بن العلاء كسرهما. ينظر: البحر (١٨٨/ ٤ - ١٨٩)، الدر المصون (٣/ ١٣٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وفي تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٩): مستقر في الأرحام.
(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمد: معنى (خضرًا) كمعنى أخضر .

﴿ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجناتٍ من أعنابٍ﴾ قال محمد: المعنى: أخرجنا من الماء خضرًا وجناتٍ .
﴿والزيتونَ والرمانَ﴾ .

قال يحيى: يعني: وأخرجنا الزيتون والرمان ﴿مشتبهًا وغير متشابه﴾ أي: مشتبهًا في طعمه ولونه، وغير متشابه ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ يعني: حين يكون غصًا ﴿وينعه﴾ أي: ونضجه ﴿إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾ قال الحسن: يقول: الذي أخرج من هذا الماء هذا النبات وهذا الخضر وهذه الجنات - قادرٌ على أن يُحيي الموتى .

قال محمد: القنوان: العذوق، واحدها: قنؤ، وجمع على لفظ تثنيته؛ غير أن الحركات تلزم نونه في الجمع، ومثله: صِنُو وصِنوان^(١) .

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَمْ يَبْنِ وَبَنَتِمْ يَغْيِرْ عَلَيَّ سُبْحَكُمُ وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَفَنُ يَكُونُ لَمْ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِيكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

(١) وفي (قنوان) لغات: قنوان بكسر القاف، وقنوان بضمها، وقنوان بفتحها، وثنيان، وثنيان. وهو من الألفاظ التي يأتي جمعها على لفظ تثنيته، وقد أورد السيوطي في المزمهر هذه الألفاظ.

ينظر: لسان العرب (قنؤ)، المزمهر (٨٨/٢)، البحر (١٨٩/٤ - ١٩٠)، الدر المصون (٣/١٣٩).

﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ يعني: الشياطين؛ يقول: جعلوا الشياطين شركاء لله؛ لأن الشياطين هي التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، ولم تدعهم الأوثان إلى عبادتها.

﴿وخلقهم﴾ أي: الله خلقهم ﴿وخرقوا له﴾ أي: اختلقوا له ﴿بنين وبنات﴾ قال محمد: المعنى: جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون.

﴿بديع السموات والأرض﴾ يعني: ابتدعهما على غير مثال ﴿أنى يكون له ولد﴾ من أين يكون له ولد؟! ﴿ولم تكن له صاحبة﴾

﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي: حفيظ لأعمال العباد ﴿لا تدركه الأبصار﴾ يعني: في الدنيا.

﴿وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف﴾ بخلقه فيما أعطاهم ﴿الخير﴾ بأعمالهم.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠٤) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَدُنْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) أَلَيْسَ مَا أُرْسِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسْئَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْئَلُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَٰك رَيْبٌ مِّنْهُمْ فَيَنْتَهُمُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿فمن أبصر﴾ [اهتدى] (١)

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿فلنفسه ومن عمي﴾ عن الهدى ﴿فعليلها﴾ فعلى نفسه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ أعمالكم حتى أجازيكم بها ﴿وكذلك نصرَف الآيات وليقولوا درست﴾ أي: قرأت وتعلّمت، وبعضهم يقرؤها (دارست) ^(١)؛ أي: قارأت أهل الكتابين.

﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك﴾ (يقول: ادعهم إلى) ^(٢) لا إله إلا الله ﴿وأعرض عن المشركين﴾ وهي منسوخة، نسختها القتال ^(٣) ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغَيْرِ علم﴾. قال يحيى: وهي تقرأ ﴿عَدْواً﴾ و﴿عَدْواً﴾ ^(٤) وهو من العدوان، والعدوان: الظلم.

﴿كذلك زينا لكل أمة﴾ أي: لأهل كل ملة ﴿عملهم﴾. قال الكلبي: قال المشركون: والله ليتبين محمدٌ عن سبِّ آلهتنا، أو لنسبِ زبّه؛ فنزلت هذه الآية.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٩﴾ وَتَقَلِّبُ آفِئَتَهُمْ وَأَنصَرَّهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَهُهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ

(١) قرأ ابن عامر (دَرَسَتْ)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (دارسَتْ)، وقرأ الباقون (دَرَسَتْ). ينظر: السبعة (٢٦٤)، التيسير (١٠٥)، النشر (٢/٢٦١).

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ التوبة: ٢٩.

(٤) قرأ الحسن وأبو رجاء ويعقوب وقتادة (عَدْواً)، على أنه مصدر للفعل (عدا) وقرأ ابن كثير في رواية - وهي قراءة أهل مكة فيما نقله النحاس -: (عَدْواً) بمعنى (أعداء) والباقون (عَدْواً) ينظر: الدر المصون (٣/١٥٣).

الَّذِينَ وَحَّشْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

﴿واقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ [بمبلغ أيمانهم] ^(١) ﴿لئن جاءتهم آية ليؤمننَّ بها﴾ قال الله لنبيه: ﴿قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم﴾ أي: ما يدريكم ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾.

قال محمد: تقرأ (إنها) بكسر الألف؛ على الابتداء، وتقرأ (أنها) بالفتح ^(٢)؛ بمعنى: لعلهم، ذكره أبو عبيد ^(٣).

﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ أي: نطبع عليها ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ يقول: لو جاءتهم الآية لم يؤمنوا؛ كما لم يؤمنوا قبل أن يجيئهم العذاب ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي: يترددون.

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً﴾ يعني: عياناً ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ قال الحسن: [هذا] ^(٤) حين قالوا: ابعث لنا موتانا نسألهم أحق ما تقول أم باطل؟ ولقولهم: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ ^(٥) ولقولهم: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ ^(٦) يقول: لو فعلنا هذا بهم [حين: يَرَوْنَهُ] ^(٧) (٩٩ ل) عياناً ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾

(١) في الأصل: مع أيمانهم. والمثبت من «ر».

(٢) قرأ العامة (أنها) بفتح الهمزة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسرها. ينظر: الدر المصون (٣/ ١٥٤).

(٣) مغني اللبيب (٥١/١).

(٤) في الأصل: هي. والمثبت من «ر».

(٥) سورة الفرقان: ٢١.

(٦) سورة الإسراء: ٩٢.

(٧) في الأصل: أي: يرون. والمثبت من «ر».

أي: لا يعلمون. وقوله: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني: من ثبت على الكفر منهم.
 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
 زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ
 أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾
 وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ﴿١﴾ قال الحسن: جعل الله أعداء الأنبياء
 ﴿شياطين الإنس﴾ وهم المشركون ﴿والجن﴾ أي: وشياطين الجن ﴿يوحى﴾
 بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴿٢﴾.

وهو ما توسوس الشياطين إلى بني آدم مما يصدونهم به.
 قال محمد: زُخْرَفَ الْقَوْلِ: ما زُيِّنَ منه ومُوَّهَ وَحُسِّنَ، وأصل الزخرف:
 الذهب^(١)، و(غرورا) مصدر؛ كأنه قال: يغرون غرورا^(٢).
 ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أي: لو شاء الله ما أوحى الشياطين إلى الإنس
 ﴿فذرهم وما يفترون﴾ ثم أمر بقتالهم بغد^(٣) ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا
 يؤمنون بالآخرة﴾ يعني: أفئدة المشركين تصغى إلى ما توحى إليها الشياطين
 ﴿وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون﴾ يعني: وليكتسبوا ما هم مكتسبون.
 قال محمد: الاختيار عند القراءة: (وليرضوه) (وليقتربوا) بتسكين اللام؛
 على أن اللام لام الأمر؛ والمعنى: التهديد والوعيد^(٤).

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (زخرف).

(٢) قيل: نصب على أنه حال، وقيل: على المفعول له. وفيه أقوال نحوية أخرى. ينظر الدر
 المصون (١٦١/٣).

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٤٦).

(٤) ينظر في ذلك: البحر (٢٠٨/٤ - ٢٠٩)، الدر (١٦٣/٣).

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾ أي: ميئاً، يبين فيه الهدى والضلالة، والحلال والحرام.

﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ يعني: أهل الدراسة من أهل الكتاب ﴿فلا تكونون من المُمْتَرِينَ﴾ يعني: الشاكِّين أن هذا القرآن من عند الله، وأنَّ أهل الدراسة من أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق.

﴿وتمَّت (كلمات)﴾^(١) ربك صدقاً وعدلاً ﴿قال قتادة﴾: يعني: صدقاً [فيما وعد] ^(٢) وعدلاً فيما حكم ﴿لا مبدل لكلماته﴾ فيما وعد .

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ لأن المشركين كانوا يدعونهم إلى عبادة الأوثان ﴿إن يتبعون﴾ بعبادتهم الأوثان ﴿إلا الظن﴾ يقول: ادَّعُوا أَنَّهُمْ آلِهَةٌ بظن منهم ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يعني: يكذبون. قال محمد: أصل (الخرص): الظن والحزر، ومنه قيل للحازر:

(١) هكذا في الأصل ﴿كلمات﴾ على الجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر، وقرأ الباقون ﴿كلمة﴾ على الإفراد. ينظر: البحر (٢٠٩/٤)، الدر (١٦٥/٣).

(٢) في الأصل: فيها. والمثبت من «ر».

(خارص^(١)).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فهو يعلم أنَّ محمداً على الهدى، وأنَّ المشركين ضلوا عن سبيله.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٧٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿١٨٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا تَرَوْا يُذَكِّرُ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَاسِقٌ وَلِئِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ آثَارَهُنَّ لِيُجَلِّيلُوكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمْتُمُوهُنَّ لَأَنْتُمْ لَمَشْرُكُونَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني: ما أذكرك ذكاته؛ وذلك أن مشركي العرب كانوا يأكلون الميتة والدمَّ والمنخقة والموقودة^(٢) والمرتدَّة والنطيحة وما أكل السبع؛ فحرَّم الله ذلك كله، إلا ما أدرك ذكاته.

﴿وما لكم ألا تأكلوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: فكلوه، فهو لكم حلال ﴿وقد فصل﴾ بين لكم ﴿ما حرَّم عليكم﴾ من الميتة والدم إلى آخر الآية ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ من تلك الأشياء التي حرَّم الله.

﴿وإن كثيراً يضلون بأهوائهم بغير علم﴾ أناههم من الله، ولا حجة؛ يعني: المشركين ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ يعني: الذين يتعدون أمر الله. ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ قال الحسن: يعني: علانيته وسره. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ يعني: يكتسبون.

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (خرص). وفي «ر»: خارص.

(٢) هي التي وَقُذَّتْ بالعصا حتى ماتت. لسان العرب (وقذ).

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسمُ الله عليه وإنه لفسق﴾ لشرك؛ يقول: إنَّ أكل الميتة على الاستحلال شرك.

﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ من المشركين ﴿ليجادلوكم﴾ تفسير مجاهد: قال: كان المشركون يجادلون المسلمين [في] ^(١) الذبيحة؛ فيقولون: أما ما ذبحتم (وقتلتهم) ^(٢) فتأكلونه، وأما ما قتل (ل) ^(٣) الله فلا تأكلونه، وأنتم بزعمكم تتبعون أمر الله؟! فأنزل الله: ﴿وإن أطعتموهم﴾ فاستحللتهم الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَتَكَبَّرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال الحسن: يعني: بالإسلام ﴿وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات﴾ يعني: ظلمات الكفر ﴿ليس بخارج منها﴾ أي: هو متحير فيها. ﴿هل يستويان مثلاً﴾ ^(٣) أي: أنهما لا يستويان.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) هود: ٢٤.

قال يحيى: بلغني أنها نزلت في عُمَرَ بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام، ثم هي عامة بعد.

﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾.

قال محمد: المعنى: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر. قال قتادة: ومعنى (أكابر): جبابرة.

﴿ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾ أنهم إنما يمكرون بأنفسهم.

قال محمد: المعنى: أن جزاء مكرهم راجع عليهم.

﴿سَيَصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ يعني: أشركوا ﴿صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ذلّة ﴿وعذابٌ شديدٌ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ يعني: يشركون.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ (١٢٦)﴾

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ أي: يوسع ﴿صدره للإسلام﴾ ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا﴾ الحرج والضيق معناهما واحد.

﴿كأنما يصعد في السماء﴾ أي: كأنما يكلف أن يصعد إلى السماء؛ يقول: يتقل عليه ما يُدعى إليه من الإيمان.

﴿كذلك يجعل الله الرجس﴾ يعني: رجاسة الكفر ﴿على الذين لا يؤمنون﴾.

﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾ (يعني: دين ربك مستقيماً)^(١) ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي: بينهاها ﴿لقوم يذكرون﴾ إنما يتذكر المؤمن.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٢٢٧) وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْيَحْيَى قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ^(٢٢٨) وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ^(٢٢٩) ﴿

﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ السلام هو الله، وداره الجنة.

﴿ويوم نحشرهم﴾ ^(٢) جميعاً ثم نقول ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ أي: كثر من أغويتم وأضللتهم ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ يعني: الذين أضلوا من الإنس ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم﴾ منزلكم ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ حكيم في أمره، عليم بخلقه.

قال محمد: جاء عن ابن عباس أنه قال: هذا الاستثناء لأهل الإيمان .
﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً﴾ قال الحسن: المشركون بعضهم أولياء بعض؛ كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

﴿يَمْعَشَرُ الْيَحْيَى وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَنُذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لَلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ

(١) سقط من «ر».

(٢) قرأ حفص وروح ﴿يحشرهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نحشرهم﴾ بالنون. النشر (٢/٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٢٧٢).

كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّكَ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ ﴿١٣٤﴾

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ يعني: من كفر منهم ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ (يعني: من الإنس)^(١) ولم يبعث الله نبيا من الجن، ولا من النساء.

﴿يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أنه قد جاءتنا الرسل في الدنيا.

قال الله: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ إذ كانوا فيها ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ في الآخرة ﴿أنهم كانوا كافرين﴾ في الدنيا ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ يقول: لم يهلك الله قوما من الأمم السالفة؛ حتى بعث إليهم رسولا.

قال محمد: ومعنى ﴿ذلك أن لم يكن﴾ ذلك لأنه لم يكن.

﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي: على قدر أعمالهم.

يحيى: عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي المتوكل الناجي^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد من أهل الجنة ليرفع (بصره فيلمع له)^(٣) برق يكاد يخطف بصره؛

(١) سقط من «ر».

(٢) أبو المتوكل الناجي هو علي بن داود، وقيل: ابن دؤاد، تابعي، مات سنة ١٠٢هـ، ترجمته في التهذيب (٤٢٥/٢٠ - ٤٢٦).

(٣) في «ر»: رأسه، فيرى نورًا لمع له.

فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول: أخي فلان كُتِّفَ في الدنيا نعمل جميعاً، وقد فضل عليّ هكذا! فيقال له: إنه كان أفضل منك عملاً، ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى^(١).

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بعذاب الاستئصال؛ يعني: المشركين ﴿وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا تَوْعِدُونَ لَاتٍ﴾ (١٠١) يعني: الساعة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بالذين تعجزون الله، فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم.

﴿قُلْ يَتَقَوِّمُ أَعْمَالُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٢٥) ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَيْنِ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٢٦) ﴿وَكَذَلِكَ زُفَّتْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْزِمُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٢٧)

﴿قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على كفركم؛ وهذا وعيد. ﴿إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ دار الآخرة، وعاقبتها الجنة ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: المشركون. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ مما خلق ﴿مِنْ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا...﴾ الآية

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣ رقم ١٠٠) عن إسماعيل بن مسلم العبدي، به.

تفسير قتادة: عمد ناس من أهل الضلالة فجزّءوا من حروثهم ومواشيهم (جزءاً لله) ^(١)، وجزءاً لشركائهم - يعني: أوثانهم - وكانوا إذا خالط شيء مما جزّءوا لله شيئاً مما جزّءوا لشركائهم - تركوه، وإذا خالط شيء مما جزّءوا لشركائهم شيئاً مما جزّءوا لله - رددوه إلى شركائهم، وإذا أصابتهم السنة ^(٢) [استعانوا] ^(٣) بما جزّءوا لله، ووفروا ما جزّءوا لشركائهم. قال الله ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ﴿يعني: الشياطين أمروهم بقتل أولادهم خِيَفَةَ الْغَيْلَةِ﴾ ^(٤) ﴿ليردوهم﴾ ﴿ليهلكوهم﴾ ﴿وليلبسوا عليهم﴾ وليخلطوا عليهم ﴿دينهم﴾ الذي أمرهم الله به؛ وهو الإسلام.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْثَلُ الَّذِي أَصْنَاكُمْ فَذَرْهُمْ وَلَا يَطْعَمُوا إِلَّا مِمَّا يَرْزُقُهُمْ وَإِنَّمَا حُرِّمَتْ ظُهُورُهُمْ وَأَمْنُهُمْ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَيَّجَرُ بِهِمَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ^(١٣٨) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مِّسَّةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَّجَرُ بِهِمَ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ^(١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ^(١٤٠)

﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾ حرام ﴿لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: الجذب والقحط. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (سنو)، (سته).

(٣) في «الأصل»: استغاثوا. والمثبت من «ر».

(٤) أي: الفقر والعوز. لسان العرب (عيل).

وهذا ما كان يأكل الرجال دون النساء ﴿وأنعام حُرِّمَتْ ظهورها﴾ وهو ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام؛ وقد مضى تفسير هذا ^(١) ﴿وأنعام لا يذكرون اسمَ الله عليها﴾ هو ما استحلوا من أكل الميتة ﴿افتراء عليه﴾ على الله؛ فإنهم زعموا أن الله أمرهم بهذا.

﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ كان ما ولد من تلك الأنعام من ذَكَرٍ يأكله الرجال دون النساء، وإذا كانت أنثى تُركت محرمة على الرجال والنساء، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء يأكلونها جميعاً.

قال محمد: من قرأ (خالصة لذكورنا) ^(٢) فكأنهم قالوا: جماعة ما في بطون هذه الأنعام من ذكور خالصة لذكورنا، ويرد [محرم] ^(٣) على لفظ (ما) لأن ما دُكِرَ مذكراً ^(٤).

﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي: بما زعموا أن الله أمرهم به ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً﴾ يعني: سفه الرأي.

﴿بغير علم﴾ أناهم من الله يأمرهم فيه بقتل أولادهم؛ وهي الموءودة؛ كانوا يدفنون بناتهم وهنَّ أحياء خشية الفاقة ^(٥)، ويقولون: إن الملائكة بنات الله، والله صاحب بنات؛ فألحقوا البنات به ﴿وحرّموا ما رزقهم الله﴾ يعني:

(١) أي: في قوله عز وجل: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ المائدة: ١٠٣.

(٢) وهي قراءة الجمهور. ينظر: الدر المصون (١٩٦/٣).

(٣) في الأصل: محرمًا. والمثبت من قرء.

(٤) وفي ذلك تفصيل واسع، ينظر الدر المصون (١٩٦/٣).

(٥) الفاقة: الفقر والحاجة. لسان العرب (فوق).

ما حَرَّمُوا مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴿افْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١١٦﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وهو الذي أنشأ﴾ أي: خلق ﴿جنانٍ معروشات وغير معروشات﴾ قال (مجاهد)^(١): العنب منه معروش وغير معروش ﴿والنخل والزرع مختلفًا أكله﴾ منه الجيد، ومنه الرديء ﴿والزيتون والرمان متشابهًا﴾ في المنظر وغير متشابه ﴿في المطعم﴾ كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ﴿قال الحسن: يعني: الزكاة المفروضة﴾ قال مجاهد: هو أن يأتوا منه عند حصاده، سوى الزكاة المفروضة^(٢).

﴿ولا تسرفوا﴾ لا تحرموا ما حَرَّمَ أهل الجاهلية من الحرث والأنعام. قوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشًا﴾ يقول: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا، تبعًا للكلام الأول: ﴿وهو الذي أنشأ جناتٍ﴾ والحمولة في تفسير الحسن وقتادة: الإبل والبقرة، والفرش: الغنم. ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمر الشيطان فيما حَرَّمَ عليهم من الأنعام والحرث.

﴿تَمَنِّيَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّا تَعْلَمُونَ حَرَّمَ أَمْرًا

(١) في «ر»: محمد.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

الْأُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبِيُّنِي بِعَلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٣﴾
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَلَكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ لَا
أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْسَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ
لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ
وَالْغَنَةِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٠٦﴾

﴿ثمانية أزواج﴾ أي: أصناف ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ ذكرنا
وأنثى، والواحد: زوج ﴿قل الذكركين حرم﴾ على الاستفهام.

(ل ١٠٢) ﴿أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من ذكر وأنثى؛
أي: أم كل ذلك حرم؟ فإنه لم يحرم منه شيئاً.

﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ أن الله حرم هذا؛ وهو ما حرموا من
الأنعام.

قال: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكركين حرم أم الأنثيين أمّا
اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من ذكر أو أنثى؛ أي: أم كل ذلك حرم؟ فإنه
لم يحرم منه شيئاً.

﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾ أي: أنكم لم تكونوا شهداء لهذا،

ولم يوصكم الله به؛ فسألهم النبي ﷺ فسكتوا ولم يجيبوه. وقالوا: يا محمد، فيم هذا التحريم الذي حرّمه آبائنا وآباؤهم قبلهم؟ فقال الله للنبي: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً﴾ يعني: سائلاً. فأما دمٌ في عرق أو مخالط لحماً [فلاً] ^(١) ﴿أو لحم خنزير فإنه رجسٌ أو فسقاً أهل لغير الله به﴾ وهو ما ذبحوا لأصنامهم؛ فيها تقديم ﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾ فإنه رجسٌ ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ﴾ فأكل من هذه الأشياء على الاضطرار منه ﴿فإن ربك غفورٌ رحيمٌ﴾. قد مضى تفسير ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ﴾ ^(٢).

﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفرٍ﴾ قال قتادة: يعني: البعير والنعامة ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا﴾ وهو المَبْعَرُ.

قال محمدٌ: الحوايا: المباعر، واحدها: حاويا وخويّة ^(٣).

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُمُ عَنِ الْقَوَّيرِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ^(١١٧) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُنَا إِنْ نَخْتَصِمَنَّ إِلَّا لَظَنٍّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ^(١١٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ^(١١٩) قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وفي تفسير ابن كثير (٣/٣٤٦): فلا بأس به.

(٢) عند تفسير الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

(٣) وقيل واحدها: حاويا. ينظر تفصيل الكلام في ذلك من: تفسير ابن كثير (٣/٣٤٩)، الدر المصون (٣/٢٠٨)، لسان العرب (حوى).

شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ لمن تاب من شركه، وقَبِلَ ما
أنزل الله ﴿ولا يُزِدُ بِأسْء﴾ أي: لا يصرف عذابه ﴿عن القوم المجرمين﴾
المشركين.

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبأونا ولا حرّمتنا من
شيء﴾ قال مشركو العرب: لو كره الله ما نحن عليه لحولنا عنه .
﴿هل عندكم من علم﴾ أن الذي أنتم عليه من الشرك أمرتكم به ﴿فتخرجوه
لنا إن تتبعون إلا الظن﴾ أي: هذا منكم ظن ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾
تكذبون ﴿قل فله الحجة البالغة﴾ فقد قامت عليكم ﴿قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون أن الله حرّم هذا﴾ يعني: ما حرّموا من الأنعام والحرمات ﴿فإن
شهدوا فلا تشهد معهم﴾ وإنما [هو سفه] ^(١) ولا يكون ذلك ﴿والذين لا
يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ عدلوا به الأصنام فعبدوها.

﴿قُلْ قَالُوا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا قَسَرْنَا بِهِ سُلُوكَنَا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَلَا تَقُولُوا أُولَٰئِكَ مِنَّا إِنَّمَا يَخُفُّ رِزْقُكُمْ وَإِنَّا هُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقُولُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَٰلِكُمْ وَصَنَعْنَا بِهِ لَكُمُ الْعَمَلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُمْ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ كَانَ مَقْصُودًا وَلَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا

(١) في الأصل: هذه صفة. والمثبت من «ر»

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعِدُ اللَّهُ أَوفَوْا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ وهذا ما حرم عليكم: ﴿ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ قال محمد: أي: وأوصاكم بالوالدين حسناً ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ أي: مخافة الفاقة ﴿نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش﴾ يعني: الزنا ﴿ما ظهر منها﴾ يعني: الزنا الظاهر ﴿وما بطن﴾ يعني: المَخَالَة^(١) في السر ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به﴾ أمركم به .

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ قد مضى تفسير هذا^(٢) .
﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ طاقتها ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ يعني: الشهادة ﴿ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا﴾ يعني: ما كان من الحق .

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾ يريد: الإسلام ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ﴾ اليهودية والنصرانية، وما كان من غير ملة الإسلام .

﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن﴾ قال قتادة: من أحسن في الدنيا تمت عليه النعمة في الآخرة ﴿وتفصيلاً﴾ يعني: تبيناً ﴿لكل شيء﴾ من الحلال والحرام، والهدى والضلال .

(١) يقال: خالهُ مُخَالَةً وِجْلاًلاً: أي: صادق. لسان العرب (خلل).

(٢) في سورة النساء، الآيات: ٢ ، ١٠ .

قال محمد: قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ معناه: تَمَامًا من الله على المحسنين؛ وهو الذي ذهب إليه قتادة (ل ١٠٣) (وتَمَامًا) منصوب على معنى التمام^(١)، وكذلك (تفصيلًا) أي: للتمام والتفصيل.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَلْقَاهُ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ۖ يَوْمَئِذٍ ۝١٥٦﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٧﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَنَافِلِينَ ۝١٥٨﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ۝١٥٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَوْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۚ قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ۝١٦٠﴾

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يعني: القرآن ﴿أن تقولوا يوم القيامة﴾ لثلاث تقولوا يوم القيامة: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وإن كنا عن دراستهم﴾ [قراءتهم]^(٢) ﴿لغافلين﴾.

﴿سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا﴾ أي: يصدون ﴿سوء العذاب﴾ أشده. ﴿هل ينظرون﴾ أي: ما ينظرون؛ يعني: المشركين ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ بالموت ﴿أو يأتي ربك﴾ وذلك يوم القيامة ﴿أو يأتي بعض آيات

(١) أي: منصوب على المصدر. وفيه أوجه إعرابية أخرى. ينظر: إعراب القرآن (١/ ٥٩٢ - ٥٩٣)، البحر المحيط (٤/ ٢٥٦ - ٢٥٧)، الدر المصون (٣/ ٢٢٠).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

ربك ﴿ يعني: طلوع الشمس من مغربها؛ في تفسير العامة ﴾ «يوم يأتي بعض آيات ربك ﴿ طلوع الشمس من مغربها ﴾ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» قال الكلبي: لا تُقبل التوبة يومئذٍ ممن لم يكن مؤمناً، ولا ممن كان يدعي الإيمان؛ إذا لم يكن مخلصاً.

يحيى: عن عثمان، عن نُعَيْم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا رآها الناس آمنوا، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١).

﴿ قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ كان المشركون ينتظرون بالنبي الموت، وكان النبي ينتظر بهم العذاب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا لَّسْتَ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْنَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يِثْلُهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ أخزاباً. قال قتادة: هم اليهود والنصارى والصابئون وغيرهم.

﴿ لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ﴾ قال محمد^(٢): قيل: إن هذه

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص ٦٣٠ رقم ١٠٣) وعنه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٦٣/٦ - ١٢٦٤ رقم ٧٠٤) من طريق يحيى بن سلام به.
ورواه البخاري (١٤٧/٨ رقم ٤٦٣٦) ومسلم (١٣٧/١ - ١٣٨ رقم ١٥٧) من طريق عن أبي هريرة.

(٢) في قوله: مجاهد.

الآية نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم.

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ هذه في المؤمنين، وكان هذا قبل أن تُنزل ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل...﴾ الآية (١).

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ (وهذه في المؤمنين أيضاً) (٢) السيئة ها هنا هي الأعمال السيئة ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾.

يحيى: عن أبي أمية، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال ربكم: إذا عمل عبدي حسنة فاكْتُبها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإن هم بها ولم يعملها فاكْتُبها له واحدة، وإن عمل سيئة فاكْتُبها بواحدة، وإن هم بها فتركها من أجلي فاكْتُبها بحسنة» (٣).

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رِزْقًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا زَيْدٌ وَارِدُكُمْ وَزِدَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَهُ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ أَلْفَرِضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَفَعُولٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٥﴾

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا﴾ قال محمد: (دينًا)

(١) سورة البقرة: ٢٦١ .

(٢) سقط من قوله .

(٣) رواه البخاري (٤٧٣/١٣) رقم (٧٥٠١) ومسلم (١١٧/١ - ١١٨) رقم (١٢٨) من طرق عن أبي هريرة .

منصوبٌ على التفسير^(١)، والقيم والمستقيم في معناهما واحد^(٢).

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قال قتادة: (نُسُكِي) يَغْنِي: حَجِّي وذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ قال محمد: الاختيار عند القراء في (مَحْيَايَ) بفتح الياء؛ لسكون الألف قبلها؛ لثلا يجتمع ساكنان، والأمر في الياء من (مَمَاتِي) [واسع]^(٣) في فتحها وتسكينها^(٤).

﴿قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذا جوابٌ من الله للمشركين، حيث دعوا النبي إلى أن يَعْبُدَ ما كان يَعْبُدُ آبَاؤُهُ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الوزرُ: الذنب؛ يقول: لا يحمل أحدٌ ذنبَ أحدٍ.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ قال محمد: المعنى: سكان الأرض؛ يخلف بعضهم بعضاً، واحدُهم: خليفة.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيما أعطاكم من الفضائل في [الدنيا]^(٥) ﴿لِيَلْبِسَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم.

﴿إِنْ رِبْكَ سَرِيعَ الْعِقَابِ﴾ إذا جاء الوقت الذي يريد أن يعذبهم فيه حين كذبوا رسله ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب من شركه وآمن بربه.



(١) وفيه أوجه إعرابية أخرى، ينظر: إعراب القرآن (١/٥٩٥)، البحر المحيط (٤/٢٦٢)، الدر المصون (٣/٢٢٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، المصباح المنير (قيم).

(٣) طمس في الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) قرأ بذلك السبعة إلا نافعا؛ فقد قرأ بإسكان الياء؛ أي من (محياي). وروى عنه الرجوع عن ذلك، وروى عنه (محياي) بكسر الياء. ينظر: السبعة (٢٧٥ - ٢٧٦)، التيسير (١٠٨ -

١٠٩)، النشر (٢/٢٦٧) الدر المصون (٣/٢٢٧).

(٥) في الأصل: الدين. والمثبت من «ر».

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا
إِلَّا (.....) (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَصَّ ١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ، وَذِكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَفْلَكْنَهَا فَجَاءَهَا بِأَسَافَةٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ
جَاءَهُمْ بِأَسَافَةٍ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾

(ل ١٠٤) قوله: ﴿الْمَصَّ﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسير ﴿الْمَصَّ﴾
وأشبه ذلك من حروف المعجم التي في أوائل السور، غير أن قوماً من السلف
كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.
﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن.

﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ أي: شك بأنه من عند الله.
قال محمد: أصل الحرج: الضيق، والشاك في الأمر يضيّق به صدره؛
فسمى الشك حرجاً ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ من النار ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يذكرون به
الآخرة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: الأوثان ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يعني:

(١) مطموس في الأصل، وسقط من قرأه.

قال القرطبي في تفسيره (٦٠/٧): وهي مكية إلا ثمان آيات وهي قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمُ
الْقَرْيَةَ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبِلَ فَوْقَهُمْ﴾.

أفلكم المتذكر ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ يعني: ما أهلك من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتنا﴾ يعني: ليلاً ﴿أوهم قائلون﴾ يعني: عند القائلة بالنهار ﴿فما كان دعواهم﴾ قولهم ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين .

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦) ﴿فَلَنَقْصَنَّ عَنْهُمْ بَعْلَرُ وَمَا كُنَّا عَنْهُمْ غَافِينَ﴾ (٧) ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن تَقَلَّتْ مَوْزِنُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) ﴿وَمَن خَفَّتْ مَوْزِنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (٩) ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١٠) ﴿فَلَنَقْصَنَ عَنْهُمْ﴾ أي: أعمالهم ﴿بعلم﴾ بها ﴿وما كنا غائبين﴾ عن أعمالهم .
﴿والوزن يومئذ الحق﴾ .

يحيى: عن حماد، عن ثابت البناني، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، ولو وضع في كفته السموات والأرض لو سبغتها؛ فتقول الملائكة: ربنا ما هذا؟ فيقول: أذن به لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك» (١).

(١) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٨ رقم ١٣٥٧) - ومن طريقه الآجري في الشريعة (٢٠٦/٢ رقم ٩٥٠) - عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد به .
ورواه الآجري (٢٠٦/٢ رقم ٩٤٩) من طريق معاذ العنبري عن حماد به .
ورواه ابن أبي الدنيا - كما في النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٣٠/٢) - عن أبي نصر التمار عن حماد به .
ورواه الحاكم (٥٨٦/٤) من طريق المسيب بن زهير، عن هبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان مرفوعاً .

﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ يعني: بعد الماضين ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ أقلكم من يؤمن.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْتُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَهُ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا يَنصُرُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مُدْحَوْرًا لَنْ نَبْعَثَ مِنْهُمُ لَأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال مجاهد: يعني: صورناكم في ظهر آدم.

﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قال الحسن: إن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنه خلق من نار السموم، وإن الملائكة خلقوا من النور، وإن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأمر إبليس أيضًا بالسجود له، فجمع المأمورين جميعًا.

﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك...﴾ الآية.

قال محمد: (ألا تسجد) معناه: أن تسجد، و(لا) مؤكدة^(١).

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢١٦ - ٢١٧): صح عن سلمان، وخرجه الحاكم مرفوعًا وصححه، ولكن الموقوف هو المشهور.
وقال في التخويف من النار (ص ١٨٥): قلت: المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله.
(١) أي: زائدة للتوكيد. وفيها أقوال أخر. ينظر: إعراب القرآن (١/٦٠١)، البحر (٤/٢٧٢ - ٢٧٣)، أمالي ابن الشجري (٢/٢٣١).

﴿قال أنظرنى﴾ أخرنى ﴿إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين﴾ فيها إضمار؛ أي: إلى يوم الوقت المعلوم ﴿قال فبما أغويتنى﴾ أضللتنى ﴿لأفعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي: فأصدهم عنه ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ يعني: من قَبْلِ الآخرة؛ فأخبرهم أنه لا بعث بعد الموت، ولا جنة ولا نار. ﴿ومن خلفهم﴾ يعني: من قبل الدنيا؛ فأزيناها في أعينهم، وأخبرهم أنه لا حساب عليهم في الآخرة، فيما صنعوا ﴿وعن أيمانهم﴾ أي: من قبل الخير؛ فأثبطهم^(١) عنه. ﴿وعن شمائلهم﴾ من قَبْلِ المعاصي؛ فأمرهم بها، ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ وكان ذلك ظناً منه، فكان الأمر على ما ظن ﴿قال اخرج منها مدهوفاً مدحوراً﴾ يعني: مذموماً مُبْعِداً.

قال محمد: تقول: ذامتُ الرجل؛ إذا بالغت في عيبه وذمه^(٢).

﴿وَبَكَدُمْ أَتَكُنَّ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ﴾ ١٩ ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾ ٢١ ﴿فَدَلَّهُمَا يَمُّرُودٌ قَلَمًا ذَاقًا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٢٢ ﴿فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٢٣ ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ٢٤ ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ٢٥ ﴿

(١) يقال: ثبطه عن الشيء: عوقه ويطأ به. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (ثبط).

(٢) لسان العرب (ذام).

﴿ويا آدمُ اسكن أنت وزوجك الجنة...﴾ الآية، قال ابن عباس: الشجرة: السنبلة. وقال قتادة: هي التين.

وقوله: ﴿فتكونا من الظالمين﴾ أي: لأنفسكما بخطيئكما ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبيد لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ وكانا كسيا الظفر.

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا﴾ لثلا تكونا ﴿ملكين﴾ من الملائكة ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ الذين لا يموتون ﴿وقاسمهما﴾ بالله.

قال قتادة: حلف لهما بالله، وقال لهما: خلقتُ قبلكما، وأنا أعلم منكما؛ فاتبعاني أرشدكما.

﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما﴾ قال محمد: قوله: ﴿فدلاهما بغرور﴾ المعني: دلاهما في المعصية؛ بأن غرهما، والسوءة: كناية عن الفرج ﴿وطفقا﴾ أي: جعلاً ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال مجاهد: يعني: [يرقعانه]^(١) (ل ١٠٥) كهينة الثوب ﴿وناداهما ربهما...﴾ الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «كان آدم رجلاً طوالاً، كأنه نخلة سحق كثير شعر الرأس؛ فلما وقع بما وقع به، بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك؛ فانطلق هارباً في الجنة؛ فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه؛ فقال لها:

(١) طمس في الأصل، والمثبت هو الأقرب إلى القراءة والمعنى. وينظر تفسير الطبري (٨/ ١٤٢).

(٢) طمس في الأصل، والحديث لأبي بن كعب سيد القراء، وفي إسناد هذا الحديث اختلاف يأتي بيانه.

أرسيليني، فقالت: لست بمرسلتك، فناداه ربه: يا آدم، أمني تفر؟ قال: يا رب إنني أستحييك»^(١).

(١) اختلف في إسناده هذا الحديث في رفعه ووقفه، وفي إثبات عتي بن ضمرة بين الحسن وأبي ابن كعب:

فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥٣/٦ رقم ٨٣٠٨) من طريق علي بن عاصم عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعاً.

ورواه ابن سعد (٣١/١) والحاكم (٢٦٢/٢) وابن عساكر في تاريخه (٤٠٥/٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عتي بن ضمرة عن أبي بن كعب مرفوعاً.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه ابن سعد (٣١/١) والحاكم (٥٤٣/٢ - ٥٤٤) من طريق عباد بن العوام، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عتي، عن أبي بن كعب موقوفاً.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الطبري في تفسيره (١٤٣/٨) من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي ابن كعب موقوفاً.

ورواه الطبري في تاريخه (١٦٠/١) وابن عساكر (٤٠٤/٧ - ٤٠٥) من طريق الحسن بن ذكوان عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعاً.

ورواه ابن سعد (١٣٢/١) من طريق إسحاق بن الربيع أبي حمزة العطار عن الحسن عن عتي عن أبي بن كعب موقوفاً.

ورواه الطبري في تفسيره (١٤٢/٨) من طريق حجاج عن أبي بكر عن الحسن عن أبي مرفوعاً.

وراه ابن عساكر (٤٠٥/٧) من طريق إبراهيم بن أبي يحيى عن الحسن عن أبي مرفوعاً.

ورواه الحاكم (٣٤٥/١) من طريق يزيد بن عبد الله بن الهاد عن الحسن عن أبي مرفوعاً.

قال ابن كثير في تفسيره (٢٠٦/٢): رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ مرفوعاً، والموقوف أصح إسناداً.

ورواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٦٣) من طريق شيان عن قتادة عن الحسن عن أبي مرفوعاً.

قلت: واختلف على شيان في إسناده أيضاً، فرواه ابن عساكر (٤٠٤/٧) من طريق محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة عن آدم بن أبي إياس، عن شيان عن قتادة عن أنس بن مالك.

ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢١٥ رقم ٣٠٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن ذكوان، عن الحسن، عن أبي بن كعب مرفوعاً.

﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ تكونون فيها. ﴿ومتاع﴾ يعني: متاع الدنيا تستمتعون به ﴿إلى حين﴾ إلى الموت.

﴿قال فيها﴾ يعني: الأرض ﴿تحبون﴾ أي: تولدون.

﴿وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يوم القيامة.

﴿يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّوْرِى سَوَءَ بَعْثِكُمْ وَرَشَاً اَلْتَقَوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِّنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٦٦﴾ يَبْنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَمُ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا اِنَّهُمْ يَرٰنَكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرٰوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ اَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٦٧﴾ وَاِذَا فَعَلُوْا فَحِشَةً قَالُوْا وَجَدْنَا عَلٰیهَا اٰبَاءَنَا وَاللّٰهُ اَمْرًا يَّهَا قُلْ اِنَّ اِلٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ اَنْقُولُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم﴾ يعني: الثياب ﴿وريشاً﴾ يعني: المتاع والمال.

﴿ولباس التقوى﴾ والرفع على معنى كلام مستقبل^(١)، ولباس التقوى: العفاف.

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ أي: لا يضلنكم.

﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ قال مجاهد: قبيله: الجن والشياطين.

﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ يعني: من الكفر والشرك ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾.

(١) أي: الرفع على الاستئناف. وفيه تفصيل نحوي ينظر من: إعراب القرآن (١/٦٠٦ - ٦٠٧)، البحر (٤/٢٨٣)، الدر (٣/٢٥٣).

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٦﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهِتَدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ بالعدل ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ قال
مجاهد: يعني: وأقيموا وجوهكم إلى الكعبة حيث صليتُم ﴿كما بدأكم
تعودون﴾.

يحيى: عن همام، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد،
عن جابر بن عبد الله، عن عبد الله بن أنيس قال: قال رسول الله ﷺ:
«يحشر الله العباد - أو قال: الناس - يوم القيامة خُفَاءَ عِزَّةٍ غُرْلًا بَهُمَا. قال:
قلت: ما بَهُمَا؟! قال: ليس معهم شيء»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (٤٩٥/٣) - ومن طريقه ابن حجر في تعلقيق التعليق (٣٥٥/٥) -
والبخاري في الأدب المفرد (٣٤٨ - ٣٤٩ ورقم ٩٧٠) وابن أبي شيبة في مسنده (٣٤٧/٢)
رقم ٨٥١) والحاثر بن أبي أسامة في مسنده - زوائده (٣٢ رقم ٣٩) - وابن أبي عاصم في
السنة (٢٢٥/١ رقم ٥١٤) وفي الأحاد والمثاني (٧٩/٤ - ٨٠ رقم ٢٠٣٤) والحاكم في
المستدرک (٤٣٧/٢ - ٤٣٨، ٥٧٤/٤ - ٥٧٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله
(٣٨٩/١ - ٣٩٢ رقم ٥٦٥، ٥٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٦/١ - ١٩٧
رقم ١٣١، ٢/٢ - ٢٩ رقم ٦٠٠) والضياء في المختارة (٢٥/٩ - ٢٦ رقم ١٠) وغيرهم
من طرق عن همام به.

ورواه الطبراني في الأوسط (٢٦٥/٨ - ٢٦٦ رقم ٨٥٩٣) من طريق داود بن الوازع
والخطيب في الرحلة (٣٢) من طريق عبد الوارث بن سعيد، كلاهما عن القاسم بن عبد
الواحد بنحوه.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال المنذري في الترغيب (٢٠٢/٤) رواه أحمد بإسناد حسن.

وقال ابن حجر في الفتح (٢١٠/١): إسناد حسن وقد اعتضد.

﴿يَبْنَى مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُبْرَأْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال الحسن: كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة؛ فأمر الله المسلمين؛ فقال: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد: أمرهم أن يلبسوا الثياب ﴿وكلوا شربوا﴾ يعني: الحلال ﴿ولا تسرفوا﴾ فتحرّموا ما أحلّ الله لكم؛ كما حرّم أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة، وغير ذلك مما حرّموا ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ يعني: الثياب؛ لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة.

﴿والطيبات من الرزق﴾ ما حرّموا من أنعامهم، وغير ذلك.

﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ وقد خالطهم المشركون فيها في الدنيا وهي للذين آمنوا ﴿خالصة يوم القيامة﴾ دون المشركين.

قال محمد: من قرأ ﴿خالصة﴾ بالرفع^(١)، فهو على أنه خبرٌ بعد

= ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١/١٠٤ - ١٠٥ رقم ١٥٦) وتام الرازي في فوائده (١/٣٦٤ - ٣٦٥ رقم ٩٢٨) من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر بنحوه.

قال ابن حجر في الفتح (١/٢٠٩): وإسناده صالح، وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في الرحلة من طريق أبي الجارود العنسي - وهو بالنون الساكنة - عن جابر قال: بلغني حديث في القصص ... فذكر الحديث نحوه، وفي إسناده ضعيف. اهـ

(١) وهي قراءة نافع من السبعة. ينظر السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/٢٦٩).

خبر^(١)؛ المعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة. ومن قرأ بالنصب^(٢)، فعلى الحال^(٣).

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيها بالأمر والنهي ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون الذين قبلوا ذلك عن الله.

﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ قال الحسن: يعني: الزنا سره وعلايته.

﴿والإثم﴾ يعني: المعاصي ﴿والبغي بغير الحق﴾ يعني: الظلم ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حجة؛ يعني: أوثانهم التي عبدوا من دون الله.

﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ زعموا أن الله أمرهم بعبادتها بغير علم جاءهم من الله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْقَىٰ مَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمَا يَأْتِيَنِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَتْلَوْنَ نَصِيحَتَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلَوَاتُ عَلَيْنَا

(١) ينظر: إعراب القرآن (١/٦٠٩)، الكتاب (١/٢٦٢).

(٢) وهي قراءة الباقيين؛ أي السبعة إلا نافعاً. ينظر: السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/٢٦٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٤/٢٩١ - ٢٩٢)، الدر المصون (٣/٢٦٠).

وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿ولكل أمة أجل...﴾ الآية، يعني: أن القوم إذا كذبوا رسلهم، فجاء الوقت الذي يأتيهم فيه العذاب ﴿فإنهم لا يستأخرون﴾ عن العذاب ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ عنه.

﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ قال مجاهد: يعني: ينالهم ما كُتِبَ عليهم. ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ يعني: الملائكة ﴿يتوفونهم﴾ قال الحسن: هذه وفاة [أهل] (١) النار ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ (ل ١٠٦) يعني: شركاؤكم ﴿قالوا: ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا﴾ في الدنيا ﴿كافرين﴾.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُولَنَّهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتَنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُوْلَاهُمْ لِأُخْرَيْنَهُمْ مِمَّا كَانَتْ لَكُمُ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قال ادخلوا في أمم﴾ أي: مع (٢) أمم ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ ﴿قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا﴾ كل أمة تقوله أخراها لأولاها ﴿فاتنهم عذابا ضعفا من النار...﴾ الآية.

قال محمد: أي: عذابا مضاعفا، والضعف في كلام العرب على ضربين:

(١) طمس في الأصل، والمثبت الأقرب إلى الصواب والمعنى.

(٢) أي: أن ﴿في﴾ في قوله تعالى: ﴿ادخلوا في أمم﴾ للمعية لا للظرفية. ينظر: الدر المصون (٢٦٦/٣). وانظر في دلالة (في) على المعية معنى اللبيب (١/١٩١ - ١٩٢).

أحدهما: المثل، والآخر: أن يكون في معنى تضعيف الشيء^(١).

وقوله: ﴿ولكن لا تعلمون﴾ أي: أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ فَجَرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِشْتُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ﴾ يعني: لأعمالهم ولا لأزواحهم ﴿أبواب السماء﴾.

يحيى: عن حماد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن أبي موسى الأشعري قال: «تخرج روح المؤمن^(٢) أطيب من ريح المسك؛ فتصعد به الملائكة الذين توفقوه؛ فتلقاه ملائكة آخرون دون السماء؛ فيقولون: مَنْ هذا؟ فيقولون: هذا فلان كان يعمل كَيْثَ وَكَيْثَ - لمحاسن عمله. فيقولون: مرحباً بكم وبه؛ فيقبضونه فيضعّدون به من بابه الذي كان يضعّد منه عمله (فيشرق)^(٣) في السموات؛ حتى ينتهي إلى العرش، وله بُرْهَانٌ كِبْرَهَانٌ

(١) ينظر لسان العرب (ضعف).

(٢) زاد بعدها في الأصل: من

(٣) كذا في الأصل، وفي مصنف ابن أبي شيبة: فيشرق وجهه.

الشَّمْسِ، وتخرج روح الكافر أنتن من الجيفة؛ فتضعُ به الملائكة الذين توفُّوه، فتلقاهُم ملائكة آخرون من دون السماء، فيقولون مَنْ هذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان كان يعمل كَيْثَ وكَيْثَ - لمساوئِ عمله. فيقولون: لا مرحبًا به، ردوه»^(١).

قال ابن عباس: «فَيُرَدُّ إلى وادٍ يقال له: بَرَهُوت أسفل الثرى من الأرضين السَّبع». من حديث يحيى بن محمد.

وقوله: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجمل في سم الخياط﴾ يعني: ثقب الإبرة^(٢). وسُئِلَ ابْنُ مسعود عن الجَمَل. فقال: هو زوج الناقة.

﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ أي: فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ يعني: ما يغشاهم من النار.

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ﴾ يعني: العداوة والحسد.

﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ يعنون: الإيمان.

﴿لقد جاءت رسلُ ربنا بالحق﴾ في الدنيا.

﴿وَنَادَىٰ أَحَبُّ الْجَنَّةِ أَحَبُّ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) رواه أبو داود الطيالسي - كما في كتاب الروح (١٠٤) - عن حماد بن سلمة به. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٧/٣ - ٢٥٨ - رقم ٣، ٨/٢٠٣ رقم ٥) من طريق زائدة عن عاصم به.

ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١١٤٩/٦) رقم (٢١٦٣) من طريق أبي عوانة عن عاصم.

(٢) ويجمع (سَم) على (سُموم)، وسينه مُثَلَّثَةٌ. ينظر لسان العرب (سمم).

وَيَبْتَغُوا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَاوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ وهم مشرفون عليهم؛ لأن الجنة في السماء، والنار في الأرض.

﴿فأذن مؤذن بينهم...﴾ الآية. أي: نادى منادٍ.

﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ إذ كانوا في الدنيا ﴿ويغفونها عوجًا﴾ ييغون سبيل الله عوجًا.

﴿وبينهما﴾ بين الجنة والنار ﴿حجاب﴾ وهو الأعراف.

﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلًّا بسيماهم﴾ تفسير قتادة: يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم، وأهل النار بسواد وجوههم.

﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ قال الله: ﴿لم يدخلوها﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها، وهذا طمع يقين.

قال قتادة: ذُكِرَ لنا أَنَّ ابن عباس قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فلم تفضل حسناتهم على سيئاتهم، ولا سيئاتهم على حسناتهم، فَحُسِبُوا هنالك.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول الله ﷺ: «أصحاب الأعراف هم قوم غزوا بغير إذن آبائهم فاستشهدوا، فحُسِبُوا عن الجنة؛ لمعصيتهم آباءهم، وعن النار بشهادتهم»^(١).

(١) إبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي، متروك، وثقه الشافعي رحمه الله ولم أجد =

يحيى: عن أبي أمية، عن المتلمس السدوسي، عن إسحاق بن عبد الله ابن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدًا جَبَلَ يَحْبُنَا وَنُحِبُّهُ، وَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُمَثَّلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يُخْبَسُ عَلَيْهِ أَقْوَامٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِمَاهُمْ هُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

قال محمد: وكل مرتفع عند العرب أعراف^(٢).

﴿وَأَدَّى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا بِرُؤُوسِهِمْ يَسْمِعُهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٨) ﴿أَهْتَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (١٩) ﴿وَأَدَّى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْهَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٠) ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَيْلًا وَعَرِثُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِیْمٌ نَسَنَسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا

= الحديث من هذا الوجه، وعزاه ابن كثير في تفسيره (٢/٢١٦) لابن مردويه من طريق سعيد ابن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة.

وعزاه السيوطي في الدر (٣/٩٧) لأبي الشيخ وابن مردويه.

وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعاً وعن بعض التابعين مرسلًا، ذكرها السيوطي في الدر المشور (٣/٩٦ - ٩٧) وذكر بعضها ابن كثير في تفسيره (٢/٢١٦) ثم قال: والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصارها أن تكون موقوفة.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث أظنه هو أبو يعقوب القرشي الهاشمي، روى عن النبي ﷺ مرسلًا، ترجمته في التهذيب (٢/٤٤٢ - ٤٤٤).

وروى البخاري (٦/٩٨ رقم ٢٨٨٩) ومسلم (٢/١٠١١ رقم ١٣٩٣) واللفظ له عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدًا جَبَلَ يَحْبُنَا وَنُحِبُّهُ».

ورواه مسلم (٢/١٠١١ رقم ١٣٩٢) عن أبي حميد الساعدي.

(٢) وواحد (الأعراف): (عُزْفٌ)، وهو كل مرتفع من أرض وغيرها، استعارة من عُزْف الديك، وعُزْف الفرس، كأنه عرف بارتفاعه دون الأشياء المنخفضة؛ فإنها مجهولة غالبًا. ينظر: لسان العرب (عرف)، الدر المصون (٣/٢٧٤).

﴿كَأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ﴾ ﴿٥١﴾

﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ وأصحاب الأعراف ها هنا ملائكة ﴿رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ في الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ (ل ١٠٧) عن عبادة الله. ﴿أهؤلاء﴾ يعنون: أهل الجنة ﴿الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ ثم انقطع كلام الملائكة، وقال الله لهم: ﴿ادخلوا الجنة...﴾ الآية.

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ يعنون: الطعام.

﴿فاليوم ننساهم﴾ أي: نتركهم في النار؛ كما تركوا ﴿لقاء يومهم هذا﴾ فلم يؤمنوا به؛ أي: في الدنيا ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ مُّهِدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِي نَسِوهُ مِن قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَّنَا مِن شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ يعني: بينا فيه الحلال والحرام، والامر والنهي، والوعيد والأحكام ﴿هل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ قال قتادة: يعني: الجزء به في الآخرة.

﴿يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه﴾ تركوه ﴿من قبل﴾ في الدنيا ولم يؤمنوا به ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ إذ كنا في الدنيا، فآمنوا حيث لم ينفعهم الإيمان ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ ألا نُعَذَّب. ﴿أو نُرد﴾ إلى

الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَثَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا سَفْنُهُ لِبَلَوِّ مَتْنٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: بأن الليل يأتي على النهار، فيغطيه ويذهبه
﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ أي: وخلق النجوم جاريات مجاريهن.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: سرًا ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يعني: بعد ما بُعِثَ النبي، واستجيب له ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وهو الذي يرسل الرياح نَشْرًا﴾^(١) بين يدي رحمته ﴿أي: يبسطها بين يدي المطر.

قال محمد: القراءة على هذا التفسير (نَشْرًا) بفتح النون، والمعنى: متشرة

(١) هكذا وردت في الأصل: (نَشْرًا) وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ عاصم ﴿نَشْرًا﴾ وروى عنه أنه قرأها (نَشْرًا) بفتح الباء وسكون الشين. ينظر: الدر المنصور (٣/ ٢٨٥)، السبعة (٢٨٣)، التيسير (١١٠)، النشر (٢/ ٢٧٠).

نُشْرًا، ومن قرأ (نُشْرًا)^(١) بضم النون، فهو جمعُ: (نُشور)^(٢)؛ وهي التي تنشر السحاب.

﴿حتى إذا أَقْلَت سحابًا ثَقَالًا﴾ الثقال: التي فيها الماء ﴿سَقْنَاهُ لِيَلِدَ مِيتَ﴾ يعني: ليس فيه نبات.

﴿وَالْبَلَدُ [الطيب]﴾^(٣) يخرج نباته بإذن ربه... تفسير الكلبي: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والمنافق؛ البلد الطيب مثل المؤمن يعمل ما عمل من شيء ابتغاء وجه الله ﴿والذي خبث﴾ مثل المنافق لا يعطي شيئًا ولا يعمل له ﴿إلا نكدًا﴾ أي: ليست له فيه حسنة ﴿كذلك نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبينها ﴿لقوم يشكرون﴾ يؤمنون.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إِنْ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَتُبْلَغَكُمْ وَرَسُولِي رَفِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلَاكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعملون﴾

(١) قرأ ﴿نُشْرًا﴾ بضميتين ابن كثير وأبو عمرو ونافع، وقرأ (نُشْرًا) بضم النون وإسكان الشين ابن عامر. ينظر: السبعة (٢٨٣)، التيسير (١١٠)، النشر (٢٧٠/٢).

(٢) وقيل: جمع (ناشر) كشاهد وشهد، ونازل ونُزل. ورد ذلك عن أبي علي الفارسي. ينظر: لسان العرب (نشر)، كشف المشكلات (٤٥٩/١).

(٣) سقط من الأصل.

قال الحسن: يقول: أعلم من الله أنه مهلككم ومُعَذِّبكم؛ إن لم تؤمنوا.

﴿أو عجبتم أن جاءكم ذِكْرٌ﴾ أي: ﴿من ربكم على رجلٍ منكم﴾
على لسان رجلٍ منكم ﴿لينذركم ولتتقوا ولعلكم تُرحمون﴾ إن أمتم، و(لعل)
من الله واجبة.

﴿إنهم كانوا قومًا عَمِينَ﴾ عَمُوا عَنْ الْحَقِّ.

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ
رَّبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ
لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْعَةً
فَأَذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَنَحْدُمُ وَنَذَرَ مَا
كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَصَدَّقْنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ
عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا
نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجَبْتَهُ وَالَّذِينَ
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وإلى عاد﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد ﴿أخاهم هودًا﴾ أخوهم في النسب،
وليس بأخيهم في الدين.

﴿قال الملا﴾ [الذين كفروا] ^(١) من قومه ﴿يعني: الرؤساء﴾ ﴿إننا لنراك في

(١) سقطت من الأصل.

سفاقة ﴿أني: من الرأي﴾ وإنا لنظنك من الكاذبين ﴿كان تكذيبهم إياه بالظن .
﴿وأنا لكم ناصح﴾ أدعوكم إلى ما ينفعكم ﴿أمين﴾ على ما جئتمكم به من
عند الله .

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ يعني: استخلفكم في
الأرض بعدهم ﴿وزادكم في الخلق بصطة﴾ يعني: الأجسام والقوة التي
أعطاهم .

﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس﴾ أي: عذاب .
﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: أن عذاب الله نازل بكم .
﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا﴾ أي: أضلهم .

﴿وإلى ثمود آتاهم صليحاً قال ينقور أعبدوا الله ما لكم من إله غيري قد
جاءكم بحنة من ربكم هذيه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله
ولا تمسوها بسوى فيأخذكم عذاب أليم ﴿٧٦﴾ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبوأكم في الأرض تنمذون من سهولها قصوراً وتنحئون الجبال ييوتا فأذكروا
مآلآة الله ولا تعنوا في الأرض مفسدين ﴿٧٧﴾ قال الملأ الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لئن آمن منهم أنتم لمثلنا أرسل من ربهم قالوا إنا بما
أرسل بهم مؤمنون ﴿٧٨﴾ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كفرون ﴿٧٩﴾
فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ آفَتَنَا بِمَا نَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ فَأَخَذَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٨١﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُرُوا
لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ التَّصْوِيعَ ﴿٨٢﴾

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: لا تعقروها .

﴿وبوأكم في الأرض﴾ أسكنكم .

﴿ولا تعثوا﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة^(١) .

﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ يعني: استكبروا .

﴿فأخذتهم الرجفة﴾ قال الحسن: تحركت بهم الأرض ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أي: قد هلكوا .

قال محمد: الجنوم أضله في كلام العرب: البروك على الركب^(٢) .

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا

كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظُرُونَ ﴿٨٢﴾

فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَاهُ إِلَّا أَمْرًا أَنْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا

كَفَيْكَ كَانَتْ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

﴿إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتزهون عن أعمالكم، فلا يعملون ما

تعملون ﴿إلا أمراته كانت من الغابرين﴾ يعني: من الباقين في عذاب الله .

(ل ١٠٨) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني: الحجارة التي رُمي بها من كان

خارجاً من المدينة في حوائجهم وأسفارهم .

(١) البقرة: ٦٠ .

(٢) قال أبو عبيد: الجنوم للناس والطيور كالبروك للإبل . ينظر: لسان العرب (جثم)، الدر المنصور (٢٩٦/٣) .

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْعُورُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْإِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَكَرْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعُوبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْأَعْدَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَمْسَسْهُمْ فِيهَا إِلَٰهٌ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنَّهُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٢﴾ فَلَوْلَآ عَنْهُمْ وَقَالَ يَبْعُورُوا لَقَدْ أَهْلَقْنَاهُمْ رَسُولَكُمْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ نَكَيْفَ ءَامَنَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَسِعَ رَبُّنَا أَيُّ مَلَأَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ .

﴿رَبُّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ أَيُّ : اخْكُم .

قال قتادة : وإذا دعا النبي ربه أن يحكم بينه وبين قومه ، جاءهم العذاب .

﴿كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ يعني : يقيموا .

﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن ؛ أَي : لا أحزن عليهم .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ

﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ

فَأَخَذْتَهُمْ بَعَثَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ﴾ يعني : الجوع والفقر . ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ يعني :

الأمراض والشدائد . ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ أَي : مكان البأساء والضراء

﴿الحسنة﴾ يعني : الرخاء والعافية . ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ أَي : كثروا . ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ

آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ فلم يكن شيء ؛ يعنون : ما كان يَعِدُ النبي به قومه من

العذاب إن لم يؤمنوا .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَقْبَلُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيْنًا وَهُمْ

نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا

مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَكُن لِّلَّذِينَ يَرْتُكُونَ

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطِيعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٦﴾
 ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ قال قتادة: يقول: لأعطيهم
 السماء قطرها، والأرض نباتها.

﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ يعني: ليلاً .
 وقوله: ﴿ضحى﴾ يعني: نهارة ﴿وهم يلعبون﴾ .
 قال محمد: يقال لكل من كان في عمل لا يجدي وفي ضلال: إنما أنت
 لاعب؛ أي: في غير ما يجدي عليك .
 ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ يعني: عذابه .
 ﴿أو لم نهده﴾^(١) أي: نبين، وتقرأ ﴿يهده﴾ بين الله .
 ﴿لللذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ يعني: الذين أهلكوا من الأمم
 السالفة .

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
 بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ
 لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢٠﴾
 قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
 ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٢٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ

(١) هكذا في الأصل بنون العظمة وهي قراءة مجاهد، وقرأ الجمهور ﴿يهده﴾ . ينظر: البحر
 المحيط (٤/٣٥٢)، الدر المنثور (٣/٣١٠).

هَذَا سَجِيرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٧﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَجِيرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٨﴾ ﴿وما وَجَدْنَا لأكثرهم من عهدٍ﴾ يعني: الميثاق الذي أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي صُلْبِ
آدَمَ.

﴿فظلموا بها﴾ أي: جحدوا أن تكون من عند الله .
﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ وكان بنو إسرائيل في أيديهم بمنزلة أهل
الجزية فينا .

﴿ونزع يده﴾ أي: أخرجها من جَنِبِ قَمِيصِهِ .
قال الكلبي: بلغنا أن موسى قال: يا فرعونُ، ما هذه بيدي؟ قال: هي
عصى؛ فألقاها موسى، فإذا هي ثعبانٌ مَبِينٌ قد ملأت الدار من عِظْمِهَا، ثُمَّ
أَهْوَتْ إِلَى فرعون لتبتلعه، فنَادَى: يا مُوسَى، يا موسى، فَأَخَذَ موسى بِذَنَبِهَا؛
فإذا هي عَصَى بيده؛ فقال فرعونُ: يا موسى، هل من آيَةٍ غَيْرِ هَذِهِ؟ قال:
نَعَمْ. قال: ما هِيَ؟ قال: فَأَخْرَجَ موسى يَدَهُ فَقَالَ: ما هذه يا فرعونُ؟ قال:
هذه يَدُكَ، فأدخلها موسى فِي جَنَبِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا فإذا هي بِيضَاءَ لِلنَّاطِرِينَ،
أي: تَغْشَى البَصَرِ مِنْ بِياضِهَا.

﴿قالوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي: أَخْزَهُ وَأَخَاهُ ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾
يَخْشَرُونَ السَّحَرَةَ؛ فَإِنَّمَا هُوَ سَاجِرٌ، وَلَيْسَ سِخْرُهُ بِالَّذِي يَغْلِبُ سَحَرَتَكَ .

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَئِنْ أَلْمَقْتُمْ لَأَمَّا أَنْ تُلَاقُوا بِمُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلَاقُوا بِمُوسَى وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٢٠﴾
قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْبَهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٢١﴾

وَأَرْجَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَدِينٍ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا رَبُّنَا الْعَلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ ءَمِنْتُ أَنْ مَادَّنْ لَكُمْ إِنْ هَٰذَا لَكُرٌّ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْصِيَنَّكُمْ أجمعين ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنفَعُ مِنَّا إِلَّا أَتَ ءَأَمَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴿قَالُوا إِنْ لَنَا لَأَجْرًا﴾ يعنون: العطية .

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ يعني: في المنزلة .

﴿وَاسْتَزْبِهِهُمْ﴾ أي: أخافوهم .

﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ فخيل إلى موسى أنَّ حبالهم وعصيتهم حيات، فألقى موسى عصاه؛ فإذا هي أعظم من حياتهم، ثم رقوا فازدادت حبالهم وعصيتهم عظمًا في أغْيِ النَّاسِ، وجعلت عصا موسى تعظم وهم يرقون حتى أنفدوا سحرهم، فلم يبق منه شيء، وعظمت عصا موسى حتى سدَّت الأفق، ثم فتحت فاهها، فابتلعت ما ألقوا، ثم أخذ موسى عصاه بيده، فإذا حبالهم وعصيتهم قد ذهبت؛ وذلك قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ^(١) أي: ما يكذبون. ﴿فوقع الحق﴾ فظهر.

قال الكلبي: وقال السحرة بعضهم لبعض: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا .

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ أَي: خروا؛ قُبِيتْ فرعون، وخلقى سبيل موسى ولم يعرض له.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (١٠٩) قلت: يا موسى، اذهب فاصنع شيئاً؛ فإذا صنعت ذلك دعانا فرعون فصدقنا مقالتك.

﴿لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أَي: لتخرجوني وقومي بسحركم وسحر موسى .
﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ مِنْ خِلَافِ﴾ الْيَدِ الْيُمْنَى، وَالرَّجُلَ الْيُسْرَى.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾
قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَلَسْتَحْيَ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١١٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٨﴾ قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يُهْلِكَ عَذُوبَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾

﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ فِرْعَوْنُ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَعْلَمَ مُوسَى أَنَّهُ
مُهْلِكُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَأَنَّهُ سَيُورِثُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَرْضَ بَعْدَهُمْ ﴿وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ يَرِيدُ: الْجَنَّةَ.

﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يَقُولُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ
لِمُوسَى؛ يَعْنُونَ: مَا كَانَ يَصْنَعُ بِهِمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ فَإِذَا
جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا

طَارَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ يَا مُوسَى ﴿١٣٩﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ مَائِدَتِ الْمُفْضَلَةِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٤١﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِغْوِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٤٢﴾ فَأَنْقَضْنَا بِنَهُمْ فَأَعْرَفْتَهُمْ فِي آيَةِ بَأْسِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٣﴾ وَأَوْزَنَّا آلَ فِرْعَوْنَ الْأَثِيمِ كَانُوا يَسْتَعْصِمُونَ مَشْرُوكَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا بِعَرِشَتِهِ ﴿١٤٤﴾

﴿ولقد أخذنا آلَ فرعونَ بالسنين ونقص من الثمرات﴾ فأجذبت أرضهم، وهلك مواشيهم، ونقصت ثمارهم؛ فقالوا: هذا مما سحرنا به هذا الرجل . ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ العافية والرخاء ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: لنا جاءت، ونحن أحق بها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: شدة ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ قالوا: إنما أصابنا هذا من شؤم موسى ومن معه، قال الله: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ يعني: عملهم هو محفوظ عليهم؛ حتى يجازيهم به .

قال محمد: المعنى: ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم به في الدنيا؛ وهو معنى قول يحيى .

﴿وقالوا مهما تأتنا به﴾ أي: ما تأتنا به: مهما و(ما) بمعنى واجد^(١) .

(١) ينظر: الكتاب (١/٤٣٣)، حروف المعاني (٢٠)، الجني الداني (٦٠٩ - ٦١٣) .

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان...﴾ الآية.

تفسير قتادة: الطوفان: الماء أرسله الله عليهم؛ حتى قاموا فيه قيامًا، فدَعَوْا موسى، فدعا ربه فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم، فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل عامة حروثهم وثمارهم، فدَعَوْا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم ثم عادوا لشر ما بحضرتهم، فأرسل الله عليهم القُمَّل وهو الذبي^(١)؛ فأكل ما أبقي الجراد من حُرُوثِهِمْ ولحسته، فدَعَوْا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم؛ فأرسل الله عليهم الضفادع؛ حتى ملأ بها فرشَهُمْ وأفنيتهم فدَعَوْا موسى؛ فدعا ربه فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم؛ فأرسل الله عليهم الدَّمَ فجعلوا لا يغترفون من مائهم إلا دَمًا أَخْمَرَ؛ حتى لقد ذُكِرَ لنا أن فرعون جمع رجلين أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي على إناء واحد؛ فكان الذي يلي الإسرائيلي ماء، والذي يلي القبطي دَمًا، فدعوا موسى؛ فدعا ربه فكشف عنهم.

﴿آيات مفصلات﴾ كان العذاب يأتيهم، فيكونون ثمانية أيام بلياليهن بين كل عذابين شهرٌ.

﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ يعني: العذاب.

﴿إلى أجلٍ هم بالغوه﴾ إلى يَوْمٍ غَرَّقَهم الله في اليمِّ ﴿إذا هم ينكتون﴾.

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ يعني: أبناء بني إسرائيل ﴿مشارك الأرض ومغاريها التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام؛ في تفسير الحسن.

﴿وتمت كلمة ربك الحسنی﴾ يعني: ظهور قوم موسى على فرعون؛ في

(١) والذبي هو الجراد الصفار الذي لا أجنة له. وبه قال مجاهد وعكرمة وقاتدة. ينظر تفسير ابن كثير (٣/٤٦١).

تفسير مجاهد ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ يَتَّشُونَ .
 ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى
 اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَبٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَنُطِلُّ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
 ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا نِسَاءَ كُومٍ فِي ذَٰلِكُمْ بِبَلَاءِ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٍ ﴿١٤١﴾
 ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ مَثَبٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: مُفْسَد .

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِّمَّقَتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
 مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٦﴾ وَلَمَّا جَاءَ
 مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ
 فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَخَّلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
 صَوِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ وهي: ذو القعدة وعشر ذي
 الحجة .

قال الكلبي: إن موسى لما قطع البحر ببني إسرائيل، وغرق الله آل فرعون -
 قالت بنو إسرائيل لموسى: يا موسى، اتنا بكتاب من ربنا كما وعدتنا،
 وزعمت أنك تأتينا به إلى شهر، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً لينطلقوا
 معه، فلما تجهّزوا قال الله: يا موسى، أخير قومك أنك لن تأتيتهم أربعين
 ليلة. وذلك حين تمت بعشر، فلما خرج موسى بالسبعين أمرهم أن ينتظروه

في أسفل الجبل (ل ١١٠) وصعد موسى الجبل، فكلّمه الله أربعين يومًا وأربعين ليلة، وكتب له فيها الألواح، ثم إن بني إسرائيل عدّوا عشرين يومًا وعشرين ليلة؛ فقالوا: قد أخلفنا موسى الوعدًا وجعل لهم السامري العجل؛ فعبدوه.

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا...﴾ الآية، قال الحسن: لما كلمه ربه، دخل قلب موسى من السرور من كلام الله ما لم يصل إلى قلبه مثله قط، فدعّث موسى نفسه إلى أن يسأل ربه أن يُريَه نفسه؛ ولو كان فيما عَهِدَ إليه قبل ذلك أنه لا يُرى، لم يسأل ربه بما يعلم أنه لا يعطيه إياه.

﴿فقال رب أرني أنظر إليك﴾ فقال الله: ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكًا﴾ قال قتادة: تفتّت الجبل بعضه على بعض.

قال محمد: وقيل: جعله دكًا؛ أي: ألصقه بالأرض؛ يقال: ناقه دكًا؛ إذا لم يكن لها سنام^(١). وقيل في قوله: ﴿تجلّى﴾ أي: ظهر، أو ظهر من أمره ما شاء ﴿وخر موسى صعقًا﴾ أي: سقط ميتًا.

قال محمد: وقيل: (صعقًا): مغشيًا عليه ﴿فلما أفاق﴾ يعني: ردّ الله إليه حياته.

﴿قال سبحانه تبت إليك﴾ أي: من قولي: أنظر إليك ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ يعني: المصدّقين بأنك لا تُرى في الدنيا.

﴿قَالَ يٰمُوسَىٰ آصْطَفَيْتَكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَةٍ فَخُذْ مَا آتَيْنٰكَ وَكُن مِّنَ

الشَّكِرِينَ ﴿١٤١﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودُ وَآمُرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَاوِرِيكَو دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٢﴾
 ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك﴾ اخترتك .

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ أي : تبيناً لكل ما أمروا به ، ونهوا عنه .

﴿فخذها بقوة﴾ أي : بجذء ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ أي : بما أمرهم الله به ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يعني : فرعون وقومه ؛ وهي مثل قوله : كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴿١﴾ .

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٣﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ قال الحسن : يقول : سأصرفهم عنها ؛ حتى لا يؤمنوا بها ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ يعني : الكفر ﴿يتخذوه سبيلاً﴾ أخبر بعلمه فيهم ؛ أنهم لا يؤمنون أبداً .

﴿وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مَوْعِنًا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ مُلْكِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ يعني: حين ذهب للميعاد ﴿من حلّهم﴾ من حلّي قوم فرعون ﴿عجلاً جسداً له خوار﴾ صوت.
قال قتادة: جعل يخور خوار البقرة. وتفسير اتخاذهم العجل مذكور في سورة طه^(١).

قال محمد: الجسد في اللغة: هو الذي لا يعقل ولا يميز، ومعنى الجسد ها هنا: الجثة. وتقرأ ﴿من حلّهم﴾ و﴿حلّهم﴾، فالحلّي بفتح الحاء: اسم لما يتحسّن به من الذهب والفضة، ومن قرأها بضم الحاء فهو جمع (حلّي)^(٢).
﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ يعني: العجل.

﴿ولا يهديهم سبيلاً﴾ أي: طريقاً ﴿اتخذوه﴾ أي: اتخذوه إلهاً.
﴿وكانوا ظالمين﴾ لأنفسهم ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي: ندموا ﴿ورأوا﴾ أنهم قد ضلوا... الآية. قالوا ذلك لما صنع موسى بالعجل ما صنع، وطلبوا التوبة، وأبى الله أن يقبل منهم، إلا أن يقتلوا أنفسهم؛ وقد مضى تفسير هذا في سورة البقرة^(٣).

قال محمد: يقال للنادم على ما فعل: قد سَقِطَ في يده، وأسَقِطَ في يده^(٤).

(١) طه: ٨٨.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء، وقرأ الباقر بضمها، وكلهم كسر اللام وشدد الياء مكسورة سوى يعقوب. ينظر: النشر (٢/ ٢٧٢)، البحر المحيط (٣٩١/٤)، الدر المصون (٣٤٣/٣).

(٣) البقرة: ٥٤.

(٤) وهذا ما نقله الفراء والزجاج، وقال الفراء: سَقِطَ - أي: الثلاثي - أكثر وأجود. ينظر: لسان العرب (سقط)، الدر المصون (٣٤٥/٣).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفْتُمُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ أي: شديد الغضب.

﴿قال بشما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم﴾ قال محمد: يقال: عجلت الأمر إذا سبقته، وأعجلته: إذا استحثته^(١).

﴿قال ابن أم أم إن القوم استضعفوني﴾.

قال محمد: من قرأ (ابن أم) بالفتح^(٢)، فلكثرة استعمالهم هذا الاسم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوْرٌ رَحِيْمٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ وَفِي شُجْحِهَا هَدْيٌ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٨﴾ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشَّيْطَانُ بِنَا إِنَّ مِنْهُ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلَمَّا نَسُوا مَا كُنُوا عَمِلِينَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَذَلَّلَ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا هَالِكِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

(١) ينظر: لسان العرب (عجل)، الدر المصون (٣/٣٤٧).

(٢) قرأ الأخوان وأبو بكر وابن عامر بكسر الميم، والباقون بفتحها. ينظر: السبعة (٢٩٥)، التيسير (١١٣) النشر (٢/٢٧٢) الدر المصون (٣/٢٤٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سِينَالَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ﴾ يعني: الجزية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ الكاذبين الذين زعموا أن العجل إلههم ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: سكن ﴿أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نَسْخَتِهَا﴾ يعني: الكتاب الذي نُسِخَتْ منه التوراة.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا...﴾ الآية.

قال محمد: من كلام العرب: اخترتك (ل) (١١١) القوم؛ أي: من القوم^(١).

قال الكلبي: إن السبعين قالوا لموسى حين كلمه ربه: يا موسى لنا عليك حق كنا أصحابك ولم نختلف، ولم نصنع الذي صنع قومنا؛ فأرانا الله جهرة كما رأيته، فقال موسى: لا والله ما رأيته، ولقد أردته على ذلك فأبى وتجلى للجبل فكان دكا وهو أشد مني، وخررت صعقا، فلما أفقت سألت الله واعترفت بالخطيئة. فقالوا: إنا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة؛ فاحترقوا من آخرهم، فظن موسى أنهم إنما احترقوا بخطيئة أصحاب العجل، فقال موسى: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ يعني: أصحاب العجل ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ...﴾ إلى آخر الآية، ثم بعثهم الله من بعد موتهم.

﴿وَأَكْتُبُ لَكَ فِي هَذِهِ الذِّكْرِ حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُلْكُكَ قَالَ عَدَاوِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءٍ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِيلُ لَهُمُ

(١) وهذا ما يعرف في العربية باسم التضمين. ينظر: نتائج الفكر للسبيلي (٢٦٠).

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِنَّ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِنَّ
 فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّخِذُ النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْنَكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي
 يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ
 بِالْحَقِّ وَيَبْغُونَ بِالْكَافِرِ ﴿١٥٩﴾

﴿إنا هدنا إليك﴾ أي: تبتنا.

﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ يعني: أهلها. لما نزلت هذه الآية، تناول
 لها إبليس، وقال: أنا من ذلك الشيء، وطمع فيها أهل الكتابين، فقال الله:
 ﴿فسأكتبها﴾ يعني: فسأجعلها ﴿للذين يتقون﴾ الشرك ﴿ويؤتون الزكاة﴾
 التوحيد.

﴿ويحل لهم الطيبات﴾ يعني: الشحوم وكل ذي ظفر ﴿ويحرم عليهم
 الخبائث﴾ يعني: الحرام ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ ثقلهم؛ وهو ما كان حرم
 عليهم.

﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾ يعني: ما كان شدد عليهم فيه.

﴿وعزروه﴾ أي: عظموه ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي: عليه؛
 يعني: القرآن.

﴿يؤمن بالله وكلماته﴾ قال الحسن: يعني: وحيه الذي أنزل على محمد.
 ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ أي: جماعة ﴿يهدون بالحق﴾ أي: يدعون إليه

﴿وبه يعدلون﴾ يحكمون .

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشَرَ آسَابًا أُمًّا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ
أَضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَنْشَرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَزَلَّنا عَلَيْهِمُ السَّبَّ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا
هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ
لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٧﴾ قَبَّلَ الَّذِي ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي
قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾﴾
﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾ يعني: بني إسرائيل .

قال محمد: (الأسباط): القبائل، واحدها: سبط، والسبط في اللغة:
الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد^(١) .

﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن اضرب بعصاك الحجر . . .﴾ إلى
قوله: ﴿بما كانوا يظلمون﴾ وقد فسرنا أمرهم في سورة البقرة^(٢) .

﴿وَسَأَلْنَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذِ
تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ
بَلَّوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

(١) وقيل: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، والأسباط في ولد إسحاق كالقبائل في
ولد إسماعيل . ينظر الدر المصون (٣/٣٥٧) .

(٢) سورة البقرة، آية: ٦٠ وما بعدها .

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَزُ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
 أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت﴾ أي:

يعتدون .

﴿يوم سبتهم شرعاً﴾ أي: شوارع في الماء.

﴿كذلك نبلوهم﴾ أي: نبتليهم.

﴿وإذ قالت أمة منهم...﴾ الآية.

تفسير الكلبي: القرية: هي (أَيْلَة) وذكر لنا أنهم كانوا في زمان داود؛ وهو
 مكان من البحر تجتمع فيه الحيتان في شهر من السنة؛ كهية العيد، تأتيهم منه
 حتى لا يروا الماء، وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوم سبت؛ كما تأتيهم في
 ذلك الشهر، فإذا جاء السبت لم يمسا منها شيئاً، فعمد رجال من سفهاء تلك
 المدينة؛ فأخذوا الحيتان ليلة السبت ويوم السبت، فأكثروا منها وملأوها
 وباعوا، ولم تنزل بهم عقوبة فاستبشروا، وقالوا: إنا نرى السبت قد حلّ،
 وذهبت حرمة، إنما كان يعاقب به آباؤنا، فعملوا بذلك سنين؛ حتى أثروا
 منه، وتزوجوا النساء، واتخذوا الأموال، فمشى إليهم طوائف من صالحهم؛
 فقالوا: يا قوم، انتهكتم حرمة سببتكم، وعصيتم ربكم، وخالفتم سنة نبيكم،
 فانتهوا عن هذا العمل قبل أن ينزل بكم العذاب! قالوا: فلم تعظوننا إذ كنتم
 علمتم أن الله مهلكنا؟! وإن أطعتمونا لتفعلن كالذي فعلنا، فقد فعلنا منذ
 سنين فما زادنا الله به إلا خيراً. قالوا: ويلكم لا تغتروا ولا تأمنوا بأس الله

[...] ^(١) كأنه قد نزل بكم، قالوا ﴿لِمَ﴾ ^(٢) تعظون قومًا الله مهلكهم... ﴿الآية.

وفي غير تفسير الكلبي: صاروا ثلاث فرق: فرقة اجترأت على المعصية، وفرقة نهت، وفرقة كفّت؛ فلم تصنع ما صنعوا ولم تنههم وقالوا (ل ١١٢): للذين نهوا: ﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم﴾.

قال محمد: يجوز الرفع في ﴿معذرة﴾ على معنى: موعظتنا إياهم معذرة ^(٣).

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي: تركوا ما وُعظوا به.

﴿أخذناهم بعذابٍ بئيسٍ﴾ أي: شديد ﴿قردةً خاسئين﴾ أي: مُبْعِدِينَ.

قال قتادة: فصاروا قردةً تعاوى لها أذنان.

قال قتادة: وبلغنا أنه دُخِلَ على ابن عباس، وبين يديه المصحف، وهو يبكي وقد أتى على هذه الآية: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ فقال: قد علمت أن الله أهلك الذين أخذوا الحيتان، ونجّى الذين نهوهم، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوا ولم يواقعوا المعصية.

قال الحسن: وأي نهى يكون أشد من أنَّهم أثبتوا لهم الوعيد، وخوفهم العذاب، فقالوا: ﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا﴾.

(١) كلمة في الأصل لم استطع قراءتها.

(٢) في الأصل: (فلم).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (١/٦٤٥)، البحر (٤/٤١٢). وقراءة الرفع هي لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي. أما قراءة النصب؛ فهي قراءة حفص عن عاصم. ينظر: السبعة (٢٩٦)، التيسير (١١٤) النشر (٢/٢٧٢).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَيِّنَ عَلَيَّهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعِقَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمًا مِنْهُمْ الْمُضِلُّونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْعُدُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِنْهُمُ الْغَاوُونَ أَلَّا يَتَّخِذُوا عَلَى يَدَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارِ الْأَخِيرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأْذَنُ رَبُّكَ﴾ قال الحسن: يعني: أعلم ربك ﴿لِيُعْثَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ﴾ أي: يُؤْلِيهِمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: شدته.

قال قتادة: فبعث عليهم العرب، فهم منهم في عذابٍ بالجزية والذل.
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ قال الحسن: إذا أراد الله أن يعذب قومًا كان عذابه إياهم أسرع من الطرف.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ.

﴿وقطعناهم في الأرض﴾ أي: فرقناهم، قال مجاهد: يعني: اليهود ﴿منهم الصالحون﴾ يعني: المؤمنين ﴿ومنهم دون ذلك﴾ يعني: كفارًا ﴿وبلوناهم﴾ اختبرناهم ﴿بالحسنات والسيئات﴾ يعني: بالشدة والرخاء ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى الإيمان ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ قال مجاهد: الخلف: النصارى بعد اليهود.

قال محمد: ذكر قطرب أنه يقال: خَلَفُ سَوْءٍ، وخلف صدق، وخَلَفُ

سَوْءٌ وَخَلَفَ صِدْقٍ بِتَسْكِينِ اللّامِ وَفَتْحِهَا فِي الْحَالِينَ^(١). وَأَنْشُدْ بَيْتَ حَسَّانِ ابْنِ ثَابِتٍ:

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى [عَلَيْهِمْ]^(٢) وَخَلَفْنَا
لَاؤُلْنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٍ^(٣)
وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَنَّ الْاِخْتِيَارَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ يَوْضَعَ الْخَلْفُ - بِتَسْكِينِ
الْلامِ - مَوْضِعُ الدُّمِّ، وَالْخَلْفُ - بِالْفَتْحِ - مَوْضِعُ الْمَدْحِ^(٤).
﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ
يَأْخُذُوهُ﴾

قال مجاهد: يعني: ما أشرف لهم في اليوم من حلالٍ أو حرامٍ أخذوه،
وَيَتِمُّونَ الْمَغْفِرَةَ، وَإِنْ يَجِدُوا الْغَدَّ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ يقول: قرءوا ما فيه، في هذا الكتاب؛ بخلاف ما يقولون
وما يعملون ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يدرسون ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قال
مجاهد: يعني: من آمن من اليهود والنصارى.

﴿وَإِذْ نَنْقُصُ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٧٦) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
غَافِلِينَ (٧٧) أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

(١) وفي ذلك خلاف مشهور بين اللغويين. ينظر لسان العرب (خلف).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من ديوان حسان بن ثابت (٢٤١).

(٣) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوان حسان بن ثابت (٢٤١)، تفسير الطبري (٢٠٩/١٣)،
البحر المحيط (٤١٥/٤).

(٤) وهذا قول الفراء أيضاً، ينظر: لسان العرب (خلف)، الدر المصون (٣٦٦/٣).

الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٧﴾
 ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ أي: رفعناه؛ وقد مضى تفسير رفع
 الجبل فوقهم في سورة البقرة^(١).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٢)﴾... إلى قوله:
 ﴿شَهِدْنَا﴾ تفسير ابن عباس قال: «أهبط الله آدم بالهند، ثم مسح ظهره؛
 فأخرج منه كل نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾
 قالوا: بلى شهدنا؛ فقال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا. قال الحسن: ثم
 أعادهم في صلب آدم ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: لثلاثا تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
 هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وجدناهم
 على مَلَّةٍ فاتبعناهم».

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
 الضَّالِّينَ ﴿١٧٨﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ
 الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
 بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾ سَلَّمَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
 وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ ﴿١٨٠﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيكَ هُمْ
 الْخَاسِرُونَ ﴿١٨١﴾

(١) سورة البقرة: ٩٣.

(٢) هكذا في الأصل ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقر
 ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بالإنفراد، ينظر: النشر (٢٧٣/٢)، البحر المحيط (٤٢٠/٤)، الدر المنصور
 (٣٦٩/٣).

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾.

قال مجاهد: هو بلعان بن بعران - وبعضهم يسميه: بلعم - آتاه الله علماً فتركه.

﴿فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ أي: كفر.

قال محمد: يقال: أتبع الرجل إذا لحقته، وتبعته إذا سرت في أثره^(١).
﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي: بآياتنا ﴿لكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي: ركن إلى الدنيا ﴿وأتبع هواه﴾ أي: أبى أن يصحب الهدى.

﴿فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه﴾ (ل ١١٣) أي: تطرده^(٢) ﴿يلهث أو تركه يلهث﴾ تفسير الكلبي، قال: هو ضالٌ على كل حالٍ؛ وعظته أو تركته.
قال محمد: قيل: ضرب الله مثلاً لتارك أمره أحسن مثلاً، فقال عز وجل: مثله كمثل الكلب لاهثاً - واختصر (لاهثاً) - ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تركه يلهث﴾ ولهثانه: اضطراب لسانه وضوته الذي يردد عند ذلك؛ كأنه معى^(٣) أو عطشان؛ وإذا كان الكلب بهذه الحال، فهي أحسن أحواله.

﴿سواء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ قال محمد: المعنى: سواء مثلاً مثل القوم^(٤).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِئِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا

(١) وفيه أقوال أخر، ينظر: لسان العرب (تبع)، الدر المصون (٣/ ٣٧٢).

(٢) يقال: حمل عليه ونحوه: كَرَّ. لسان العرب (حمل).

(٣) أي: متعب تعباً شديداً، وهو اسم مفعول من الرباعي (أعيا) ينظر لسان العرب (ععى).

(٤) وفي ذلك استطراد نحوي واسع، ينظر من: إعراب القرآن (١/ ٦٥٢)، المقتضب (٢/ ١٥٠)، البحر المحيط (٤/ ٤٢٥).

يَبْصُرُونَ بِهَا وَلَكُم مَّا كَانَ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيرا﴾ من الإنس والجن لهم قلوب لا يفقهون بها ﴿الهدى﴾ ولهم أغين لا يبصرون بها ﴿الهدى﴾ ولهم آذان لا يسمعون بها ﴿الهدى﴾ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴿من الأنعام﴾ فيما تعبدوا به ﴿أولئك هم الغافلون﴾ عن الآخرة.
﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

يحيى: عن خدائش، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسما مائة غير واحد؛ من أحصاها دخل الجنة»^(١).

قال محمد: (معنى أحصاها): حفظها. وقيل: المعنى أقر لله بها وتعبد^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد (٥٠٣/٢) وابن ماجه (١٢٦٩/٢) رقم ٣٨٦٠ من طريق محمد بن عمرو به.

ورواه البخاري (٢١٨/١١) رقم ٦٤١٠ ومسلم (٢٠٦٢/٤) رقم ٢٦٧٧ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

ورواه مسلم (٢٠٦٣/٤) رقم ٢٦٧٧ من طريق ابن سيرين وهمام بن منبه عن أبي هريرة. وقد جمع الحافظ أبو نعيم الأصبهاني طرق هذا الحديث في جزء، وقد طبع والحمد لله.

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٢٢٨ / ١١ - ٢٢٩) قال الخطابي: الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوها:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيا، يريد أنه لا يقتصر على بعضها، لكن يدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها؛ فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

ثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة؛ كقوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ ومنه حديث =

﴿وذروا^(١) الذين يلحدون في أسمائه﴾ أي: يميلون؛ فسموا مكان الله: اللات، ومكان العزيز: العزى.

﴿وذروا﴾ في هذا الموضع منسوخ، نسخه القتال^(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِنَا سَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٦﴾ وَأُمْلِ لَهُمْ إِنَّا كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٧٣﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا إِصْحَاهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٧٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكُوتِ السَّكَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا هَادِي لَمْ يَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾
﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ أي: يحكمون.

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «هذه لكم، وقد أعطى الله القوم بين أيديكم مثلها»^(٣)؛ يعني: قوله: ﴿وممن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾.

= «استقيموا ولن تحصوا» أي: لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال: «الرزاق» وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بالإحصاء: الإحاطة بمعانيها، من قول العرب: فلان ذو حصة أي: ذو عقل ومعرفة. انتهى ملخصاً. اهـ.

قلت: وراجع باقي هذا البحث في فتح الباري.

(١) في الأصل: (وذروا) على الأفراد.

(٢) هو قول عبد الرحمن بن زيد، وتعبه الطبري فقال في تفسيره (١٣٤/٩): ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ؛ لأن قوله: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ ليس بأمر من الله لنبيه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم. اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٣/٣): والجمهور على أن هذه الآية محكمة لأنها خارجة مخرج التهديد. اهـ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٣٥/٩).

وعزه السيوطي في الدر المشور (١٦٢/٣) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون...﴾ إلى قوله: ﴿متين﴾ هو كقوله: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة...﴾ (١) الآية.

ومعنى ﴿أملئ لهم﴾: أطيل لهم، ومعنى (كيدي متين): عذابي شديد. ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾ وهذا جوابٌ من الله للمشركين؛ لقولهم للنبي إنه مجنون^(٢) يقول: لو تفكروا، لعلموا أنه ليس بمجنون. ﴿إن هو إلا نذير﴾ ينذر من عذاب الله ﴿مبين﴾ يبين عن الله.

﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات﴾ يعني: ملك السموات والأرض ما أراهم الله من آياته فيهما ﴿وما خلق الله من شيء﴾ وإلى ما خلق من شيء مما يرونه فيتفكروا، فيعلموا أن الذي خلق السموات والأرض وما بينهما قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ فيبادروا التوبة قبل الموت ﴿فبأي حديث بعده﴾ بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ يصدقون.

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَفَّيَّ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ متى قيامها؟

قال محمد: وقيل: المعنى: متى يبعثها؛ لأنها جارية إلى حد، ويقال: رسا الشيء يرسو؛ إذا ثبت (٣).

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) والآيات في ذلك كثيرة؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: [الحجر: ٦]، [الصافات: ٣٦]، [الذاريات: ٥٢]... إلخ.

(٣) لسان العرب (رسو).

﴿لَا يَجْلِيهَا﴾ لا يظهرها ﴿لوقتها﴾ في وقتها ﴿إلا هو ثقلت في السموات والأرض﴾ قال الحسن: يعني: على السموات والأرض، حتى تشققت لها السموات، وانتشرت النجوم، وذهبت جبال الأرض وبحارها.
﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقوم الساعة والرجلان قد نشرتا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه؛ حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فما تصل حتى تقوم الساعة»^(١).

﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ تفسير قتادة: قالت قريش: يا محمد، أسير إلينا أمر الساعة؛ لما بيننا وبينك من القرابة، فقال الله: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ هي في هذا التفسير مقدمة يسألونك عنها كأنك حفي^(٢).

قال محمد: وقيل: المعنى: كأنك مغني بطلب علمها؛ يقال: حفيث بالأمر أحفي به حفاوة؛ إذا عنيت به^(٣).

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَى السُّوءُ مِنِّي أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

(ل ١١٤) ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إنما

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٤/ ٧٧٤ رقم ٣٨٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

ورواه البخاري (١١/ ٣٦٠ رقم ٦٥٠٦) ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٤) من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٢) المعنى أن (عنها) في الآية مقدمة في التفسير، والتقدير: يسألونك عنها كأنك حفي.

(٣) ويقال: حَفَوْتُ وَحَفَيْتُ. لسان العرب (حفو) و(حفي).

ذلك بما شاء الله ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ أي: لو أطلعني على أكثر مما أطلعني عليه من الغيب لكان أكثر لخيري عنده، ولم يُطلعني على علم الساعة متى قيامها ﴿وما مسني سوء﴾ هذا جواب لقول المشركين: إنه مجنون، فقال الله له قُلْ: ﴿وما مسني سوء...﴾ الآية.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَبْلًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَبْلًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿وجعل منها زوجها﴾ يعني: حواء؛ خلقها من ضلع آدم القُصْبِيّ الْيُسْرَى ﴿فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً...﴾ إلى قوله: ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ تفسير الكلبي: حملت حملاً خفيفاً - يعني: حواء - فمرت به - أي: قامت به وقعدت - ثم أتاها الشيطان في غير صورته؛ فقال: يا حواء، ما هذا في بطنك؟ فقالت: لا أدري. قال: لعله بهيمة من هذه البهائم، فقالت: ما أدري. فأعرض عنها؛ حتى إذا أثقلت أتاها، فقال لها: كيف تجدينك يا حواء؟ قالت: إني لأخاف أن يكون الذي خوَّفْتَنِي، ما أستطيع القيام إذا قعدت. قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنساناً مثلك أو مثل آدم، أَسْمَيْتَهُ بي؟ قالت: نعم، فانصرف عنها وقالت لآدم: إن الذي في بطني أخشى أن يكون بهيمة من هذه البهائم، وإني لأجد له ثقلاً، ولقد خفت أن يكون كما قال، فلم يكن لآدم ولا لحواء همٌّ

غيره حتى وضعت؛ فذلك قوله: ﴿دَعُوا اللَّهَ رِبِّهَما لئن آتَيْتَنا صالِحًا﴾ أي: إنسانًا ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ كان هذا دعاءهما قبل أن تلد، فلما ولدت أتاهما إبليس، فقال: ألا تسمينه بي؟ كما وعدتني؟ قالت: وما اسمك؟ قال: عبد الحارث، فسمته عبد الحارث؛ فمات.

قال الله: ﴿فلما أتاهما صالِحًا جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال قتادة: فكان شركًا في طاعتها لإبليس في تسميتهما إياه: عبد الحارث، ولم يكن شركًا في عبادة^(١).

(١) وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: «عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم» رواه الطبري وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٥): وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن عليه السلام أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية. اهـ

وروى نحو قول الكلبي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وجماعة كثيرة، وذكره كثير من المفسرين، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٣٧٥ - ٣٧٦): وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم» ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله، ومنها: ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضًا، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله ﷺ: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: «فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم» وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدّث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ ثم قال فذكر آدم وحواء أولًا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح...﴾ الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظرنا في القرآن، والله أعلم. اهـ.

وقال بهذا القول العلامة ابن القيم في «البيان في أقسام القرآن» (ص ١٦٥).

وقال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/٣٠٥): في هذه الآية الكريمة وجهان من =

ثم انقطعت قصّة آدم وحواء .

﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ يعني : المشركين من بني آدم .

﴿أشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلَقون﴾ يعني : الأوثان ؛ كقوله :
﴿تعبدون ما تنحتون﴾ ^(١) بأيديكم .

﴿ولا يستطيعون لهم نصراً...﴾ الآية .

يقول : ولا تنصر الأوثان أنفسها ، ولا من عبدها .

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ ^(١٩٣) إِنَّ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ ^(١٩٤) أَلَمْ يَأْتِ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَبَدُ يَتَّبِعُونَ بَآءَ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصِيرُونَ
بَآءَ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بَآءَ قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ ^(١٩٥) إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ

= التفسير معروفان عند العلماء ، والقرآن يشهد لأحدهما :

الأول : حواء كانت لا يعيش لها ولد ، فحملت ، فجاءها الشيطان ، فقال لها : سمي هذا الولد
عبد الحارث فإنه يعيش . والحارث من أسماء الشيطان ، فسمته عبد الحارث فقال تعالى :
﴿فلما أتاهما صالحاً﴾ أي ولداً إنساناً ذكراً جعلاً له شركاء بتسميته عبد الحارث ، وقد جاء
بنحو هذا حديث مرفوع ، وهو معلول كما أوضحه ابن كثير في تفسيره .

الوجه الثاني : أن معنى الآية أنه لما أتى آدم وحواء صالحاً كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما ،
واسند فعل الذرية إلى آدم وحواء ؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال : ﴿ولقد خلقناكم ثم
صورناكم﴾ أي : بتصويرنا لأبيكم آدم ؛ لأنه أصلهم بدليل قوله بعده : ﴿ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم﴾ ، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده : ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾
أشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلَقون﴾ ، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون
من بني آدم ، لا آدم وحواء ، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه ، وممن ذهب
إليه الحسن البصري ، واختاره ابن كثير - والعلم عند الله تعالى .

(١) الصّافات : ٩٥ .

الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٦٦﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ أخبر بعلمه فيهم .

﴿إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم﴾ أي : مخلوقون ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ أنهم آلهة ﴿الهم أرجل...﴾ إلى قوله : ﴿يسمعون بها﴾ أي : أنه ليس لهم شيء من هذا ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ يعني : أوثانكم ﴿ثم كيدون فلا تنظرون﴾ أي : اجهدوا عليّ جهدكم .
﴿إن وليي الله﴾ .

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يُصَرُّونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَكْنَهُمْ يُظْهَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦٨﴾ خُذِ الْعَقَا وَأَمْرًا بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَلِخَوَانِهِمْ يَعْمُدُونَ فِي الْغَى ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَرٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتَنَبَئْهَا قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون﴾ أي : سمع قبول ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ يعني : وهم لا يبصرون بقلوبهم .

﴿خذ العفو﴾ قال مجاهد: يقول: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير [تحسُّس] ^(١).

قال محمد: العفو في كلام العرب: ما أتى بغير كُلفٍ ^(٢).

﴿وأمر بالعرف﴾ بالمعروف ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ يعني: المشركين. وقوله: ﴿أعرض﴾ منسوخ، نسخه القتال ^(٣).

﴿وإما يترغبك من الشيطان نزغ﴾ قال الحسن: النزغ: الوسوسة.

قال محمد: وأصل النزغ: الحركة؛ تقول: قد نزغته؛ إذا حرَّكته ^(٤).

﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ قال الحسن: طائف من الطوفان؛ أي: يطوف عليهم بوساوسه؛ يأمرهم بالمعصية ﴿فإذا هم مبصرون﴾ أي: تائبون من المعصية ﴿وإخوانهم﴾ يعني: إخوان المشركين من الشياطين ﴿يمدونهم﴾ (ل ١١٥) أي: يزيدونهم ﴿في الغي﴾ ثم لا يقصرون ﴿في هلكتهم﴾.

قال محمد: هو من المدد الذي يمدونهم ﴿في الغي﴾: بأسباب الغي، يقال: [مددته] ^(٥) بالسلاح، وأمددته بكذا؛ لما يمد به. ولبعضهم يذكر الأموات:

(١) في «ر»: تجسَّس بالجيم المعجمة. وهما بمعنى واحد.

(٢) لسان العرب (عفو).

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/٣٠٨) وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة. اهـ وقال القرطبي في تفسيره (٧: ٣٤٧): وقال مجاهد وقتادة هي محكمة. وهو الصحيح. اهـ. وانظر تفسير الطبري (٩/١٥٤) ونواسخ القرآن (٤٠٦).

(٤) لسان العرب (نزغ).

(٥) في الأصل: أمددته - بهمزة التعدية، والمراد أن (مدَّ) و(أمدَّ) بمعنى. ينظر: لسان العرب (مدد).

نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يثوب إلينا منهم أحد^(١).
 ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا أَيُّ: هلا جئت بها من عندك. قال
 الله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ﴾
 يعني: القرآن.

قال محمد: واحد البصائر: بصيرة؛ وهي كلمة: تتصرف على وجوه،
 وأصلها بيان الشيء وظهوره^(٢).
 ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قال الحسن: كانوا يتكلمون في
 الصلاة حتى نزلت هذه الآية.

﴿وَإِذْكَ رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾ أي: مخافة منه.
 ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ يعني: العشيات. وهذا حين
 كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشيّة قبل أن تفرض الصلوات
 الخمس.

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن الله، وعن دينه.
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.



(١) البيت من بحر البسيط ولم أجد له نِسْبَةً . ينظر: ديوان الحماسة (١/٣٦٩).

(٢) وأطلق على القرآن (بصائر) إما مبالغة، وإما لأنه سبب البصائر، وإما على حذف مضاف،
 أي: ذو بصائر. ينظر: لسان العرب (بصر)، الدر المصون (٣/٣٩١).

تفسير سورة الأنفال وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول...﴾ الآية.

قال الكلبي: «بلغنا أن رسول الله ﷺ لما صاف^(١) المشركين يوم بدر، قال - ليحرض الناس على القتال - : إن الله وعدني أن يفتح لي بدرًا، وأن يغنمني عسكرهم؛ فمن قتل قتيلاً، فله كذا وكذا من غنيمتهم - إن شاء الله . فلما توافدوا أدخل الله في قلوب المشركين الرعب فانهمزوا، فأتبعهم سرعان^(٢) من الناس؛ فقتلوا سبعين، وغنموا العسكر وما فيه، وأقام وجوه الناس مع رسول الله في مصافه، فلم يشد عنه منهم أحد، ثم قام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري من بني سلمة، فكلّم رسول الله، فقال: يا رسول الله، إنك وعدت من قتل قتيلاً أو أسر أسيراً من غنيمة القوم الذي وعدتهم، وإنا قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين. ثم قام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، إنه ما منعنا أن نطلب كما طلب هؤلاء زهادة في الأجر، ولا جُبْنٌ عن العَدُو، ولكننا خفنا أن نعري صفك فتعطف عليك خيل المشركين. فأعرض عنهما رسول الله. ثم قال أبو اليسر مثل كلامه الأول، وعاد سعد فتكلم مثل كلامه الأول. وقال: يا رسول الله، الأسارى والقتلى كثير، والغنيمة قليلة، وإن تُعطِ هؤلاء

(١) أي: وقفوا صفوفاً مستعدين للقتال، ينظر لسان العرب (صفف).

(٢) سرعان الناس: أوائلهم المستبقون إلى الأمر، ينظر لسان العرب (سرع).

الذي ذكرت لهم، لم يبق لسائر أصحابك كبير شيء. فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ فقسمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار^(١).

قال قتادة: والأنفال: الغنائم. ومعنى قوله: ﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يقول: ذلك كله لله، وجعل حكمه إلى رسوله.

قال محمد: واحد الأنفال: نَفْلٌ، ومنه قول لبيد:

إِنْ تَقَوَّى رَبَّنَا خَيْرَ نَفْلٍ وَبِإِذْنِ اللَّهِ زَيْشِي وَعَجَل^(٢)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: رقت مخافة

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٠/١ - ٢٥١) ومصنفه (٢٣٩/٥) رقم ٩٤٨٤ عن معمر عن الكلبي بنحوه.

وذكره البغوي في تفسيره (٣٢٣/٣) فقال: قال أهل التفسير... فذكره.

ورواه سفيان الثوري في تفسيره (١١٥) رقم ٢٩٥ وعنه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٩/١) -

(٢٥٠) ومصنفه (٢٣٩/٥) رقم ٩٤٨٣ وإسماعيل بن إسحاق - كما في تفسير القرطبي (٨/

٢) - وأبو نعيم في الحلية (٨/١٠٢ - ١٠٣) عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس موصولاً.

وقال أبو نعيم: مشهور من حديث الثوري.

ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٧٣/٣) لعبد بن حميد وابن مردويه أيضاً.

ووقع في هذه الرواية أن القائل «سعد بن عباد» بدل «سعد بن معاذ» وقد ساقه البغوي كسياق

المؤلف، وفيه «سعد بن معاذ» كما هنا، والله أعلم.

(٢) البيت من بحر المديد، ينظر: ديوان لبيد (١٣٩)، ومجاز القرآن (١/٢٤٠)، وتفسير الطبري

(٣٦٦/١٣).

عذابه ﴿وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يعني: كلما نزل من القرآن شيء صدقوا به .

﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: في الجنة على قدر أعمالهم .

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ۝
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝
وَأِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝﴾

﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ يقول: أخرجك من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى قتال أهل بدر .

﴿وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق﴾ يعني: في القتال؛ ومعنى مجادلتهم: أنهم كانوا يريدون العير، ورسول الله يريد ذات الشوكة؛ هذا تفسير الحسن «بعد ما تبين» لهم، قال الحسن: يقول لهم بعد ما أخبرهم الله أنهم منصورون .

(ل١١٦) ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ قال محمد: كانوا في خروجهم إلى القتال كأنما يساقون إلى الموت؛ لقلة عددهم وأنهم رجالة^(١) .
وروي أنه إنما كان فيهم فارسان فخافوا .

﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ

(١) واحدها: (راجل)؛ وهو الماشي على رجله، ويجمع (راجل) أيضًا على (رجال)، ينظر لسان العرب (رجل).

تكون لكم﴾ ومعنى الشوكة: السلاح والحرب. قال قتادة: الطائفتان: إحداهما: أبو سفيان أقبل بالعبير من الشام، والطائفة الأخرى: أبو جهل معه نفير قريش، فكره المسلمون القتال، وأحبوا أن يضموا العير، وأراد الله ما أراد^(١) ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته﴾ يعني: بوعده الذي وعد بالنصر ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ يعني: أصل الكافرين.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبَدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾
 ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبَدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ يعني: متتابعين؛ في تفسير قتادة، وقرأ مجاهد (مُردفين) بفتح الدال^(٢)؛ بمعنى: أن الله أُرْدف المسلمين؛ أي: أمدهم.

قال محمد: ومن قرأ (مُردفين) بكسر الدال، فهو من قولهم: أزدفت الرجل؛ إذا جئت بعده؛ ومنه قول الشاعر:

إذا الجوزاء أزدفتِ الثُرَيَّا ظننتُ بآلِ فاطمةَ الظنوننا^(٣)

قوله: ﴿وما جعله الله﴾ يعني: المدد من الملائكة ﴿إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم﴾ أي: تسكن.

(١) هناك حاشية على الأصل غير واضحة.

(٢) وهي قراءة نافع، أما قراءة الكسر؛ أي: كسر دال ﴿مردفين﴾ فهي قراءة الباقيين، أي: غير نافع. ينظر: السبعة (٣٠٤)، التيسير (١١٦)، النشر (٢/ ٢٧٥).

(٣) البيت من بحر الوافر، وهو لخزيمة بن مالك بن نهد، وفاطمة المذكورة في البيت هي فاطمة بنت يذكر بن عزة، أحد القارظين. ينظر: اللسان (ردف)، تفسير القرطبي (١٣/ ٢٣٠).

﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَيِّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَرُّعْبَ فَاضِرُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضِرُوا مِنْهُمْ كُلُّ بَنَانٍ ١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٣﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذُوقُوا وَآتَى الْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ١٤﴾

﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ...﴾ إلى قوله: ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَرُّعْبَ﴾ تفسير الكلبي: قال: «بلغنا أن المشركين سبقوا رسول الله إلى ماء بدر، فقدم رسول الله، فنزل جبالهم بينه وبينهم الوادي، ونزل على غير ماء؛ فقذف الشيطان في قلوب المؤمنين أمرًا عظيمًا، فقال: زعمتم أنكم عباد الله، وعلى دين الله؛ وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مُخْذِبِينَ مُجْنِبِينَ، فأحب الله أن يذهب من قلوبهم رجز الشيطان، فغشى المؤمنين نعاسًا أَمَنَةً مِنْهُ، وأنزل من السماء ماءً ليطهرهم به من الأحداث والجنابة، ويذهب عنهم رجز الشيطان؛ ما كان قذفه في قلوبهم، وليربط على قلوبهم ويثبت به الأقدام، وكان بطن الوادي فيه رملَةٌ تُغَيِّبُ فِيهَا الْأَقْدَامَ، فلما مَطَرُ الْوَادِي اشْتَدَّتِ الرَّمْلَةُ فَمَشَى عَلَيْهَا الرِّجَالُ، وَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ حِيَاضًا عَلَى الْوَادِي، فَشَرَبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا، وَاسْتَقْفُوا، ثُمَّ صَفُّوا، وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿أَنْي مَعَكُمْ فَتَيِّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَرُّعْبَ﴾»^(١).

﴿فَاضِرُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ قال الحسن: يعني: فاضربوا الأعناق ﴿وَاضِرُوا﴾

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٦/٣) لابن مردويه عن ابن عباس.

منهم كل بنانٍ ﴿ يعني: كُلُّ غُضُو ﴾ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴿ قال قتادة: الشقاق: الفِرَاقُ ﴾ ذلكم فذوقوه ﴿ يعني: القتل ﴾ وأن للكافرين ﴿ بعد القتل ﴾ عذاب النار ﴿ في الآخرة. ﴾

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ١٥ ﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُمْ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقَالٍ أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَيْكَ فَبِئْسَ مَا يَفْعَلُ بَعْضُ مَنِ اللَّهَ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦ ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ قال محمد: الزحف جماعة يزحفون ^(١) إلى عدوهم بمزة ^(٢) - أي: ينقضون - وقد يكون الزحف مضدرا من قولك: زحفت ^(٣).

﴿ فلا تولوهم الأدبار ﴾ أي: لا تنهزموا ﴿ ومن يولوهم يومئذ دبره ﴾ قال قتادة: يعني: يوم بدر ﴿ إلا متحرفا لقتال ﴾ قال الحسن: يعني يدع موقف مكان لمكان ﴿ أو متحرزا إلى فئة ﴾ أي: ينحاز إلى جماعة ﴿ فقد باء بغضب من الله ﴾ أي: استوجب.

قال محمد: يجوز أن يكون النصب في قوله: ﴿ إلا متحرفا لقتال ﴾ على الحال ^(٤)؛ أي: إلا أن يتحرف فلان بقتال، وكذلك ﴿ أو متحرزا ﴾. ويجوز أن يكون النصب فيهما على الاستثناء ^(٥)؛ أي: إلا رجلا متحرفا،

(١) وعليه فالزحف ها هنا تسمية بالمصدر، وجمعه: زُخُوف. لسان العرب (زحف).

(٢) أي: مرّة واحدة على سبيل الفجأة.

(٣) يقال: زحفت أزحف زحفا وزحوقا وزحفانا. لسان العرب (زحف).

(٤) ينظر البحر المحيط (٤/٤٧٥).

(٥) أي: الاستثناء من المولىين. وفي هذين الوجهين استطراد نحوي واسع. ينظر: البحر المحيط

(٤/٤٧٥)، الدر المصون (٣/٤٠٨).

أو يكون منفردًا لينحاز فيكون مع المقاتلة. يقال: تحيّزْتُ وتحوّزْتُ، يعني: انحزْتُ^(١).

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن [...] ^(٢) «أن عمر بن الخطاب (ل) (١١٧) بلغه قتل أبي عبيدة وأصحابه بالقادسية» ^(٣) قال: يرحم الله أبا عبيدة؛ لو انحاز إليّ لكنت له فئة» ^(٤).

يحيى: عن الربيع بن صُبيح، عن الحسن قال: «ليس الفرار من الزحف من الكباثر، إنما كان ذلك يوم بدر»^(٥).

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ

(١) التحيز والتحيز هو الانضمام؛ ومنه: حُزْتُ الشيء إذا ضمته، ووزن (متحيز): متفعّل لا متفعّل؛ لأن أصله: متحيز. ينظر: لسان العرب (حوز) (حيز)، الدر المصون (٤٠٨/٣).

(٢) طمس في الأصل.

(٣) كذا، والصواب قتل أبي عبيدة وأصحابه قبل القادسية، وهو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي - والد المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب - وكان قتله في موقعة شهيرة تسمى موقعة جسر أبي عبيد، وكانت قبل القادسية، انظر تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٤ - ٤٥٩) والكمال لابن الأثير (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٨) وغيرهما، وترجمة أبي عبيد في أسد الغابة (٦/ ٢٠٥).

(٤) روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٣٣ رقم ٢) (٨/ ٨ رقم ٦) وابن المبارك في الجهاد (١٧٢) وابن الأثير في أسد الغابة (٦/ ٢٠٥) وغيرهم من طريق محمد بن سيرين قال: «لما بلغ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قتل أبي عبيد، قال: إن كنت له لفنة لو انحاز إلى».

(٥) رواه البغوي في مسند علي بن الجعد (١١٨/٢) رقم ٣٢٨٦ والطبري في تفسيره (٢٠٢/٩) من طريق الرقيم بن صبيح به.

قلت: ويعارضه قول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

رواه البخاري (٤٦٧/٥ رقم ٢٧٦٦) ومسلم (٩٢/١ رقم ٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وانظر تفسير القرطبي (٣٨٢/٧ - ٣٨٣).

الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدُ
الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ
تَعُودُوا نَعْدُ وَلَنْ تُنْفِقَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنه الله رمى﴾ قال
الكلبي: «لما صاف رسول الله المشركين، دعا بقبضة من حصباء الوادي
وترابه، فرمى بها في وجهه المشركين، فملا الله منها وجوههم وأعينهم ترابا،
وقذف في قلوبهم الرعب فانهمزوا، وأتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم».
﴿وليللي المؤمنين منه بلاء حسنًا﴾ ينعم على المؤمنين بقتلهم المشركين.
﴿ذلكم وأن الله موهن كيد^(١) الكافرين﴾ أي: مضعف.

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ قال الكلبي: بلغنا أن المشركين لما
صافوا رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا: اللهم ربنا أئنا كان أحب إليك وأرضى
عندك فانصره، فنصر الله نبيه، وقال: ﴿إن تستفتحوا﴾ يعني: تستنصروا
﴿فقد جاءكم الفتح﴾ النصر؛ يعني: أن الله قد نصر نبيه ﴿وإن تنتهوا﴾ يعني:
عن قتال محمد.

﴿فهو خير لكم وإن تعودوا نعد﴾ عليكم بالهزيمة.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا

(١) هكذا ضبطت القراءة في الأصل؛ حيث قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي «موهن» بسكون
الواو وتخفيف الهاء، أما قراءة «موهن كيد» بالإضافة فهي قراءة حفص عن عاصم، وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو «موهن كيد الكافرين» بفتح الواو وتشديد الهاء والتثنية، ونصب
(كيد).

تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ
الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فَتَنَةَ لَا
تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ يعني: الحجة ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ الهدى ﴿إن شر الدواب﴾ الخلق ﴿عند الله الصم﴾ عن الهدى فلا يسمعون ﴿البكم﴾ عنه فلا ينطقون به ﴿الذين لا يعقلون﴾ الهدى .

﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ هي كقوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ (١).

﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ يريد: القرآن ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم: يحول بين قلب المؤمن وبين معصيته، وبين قلب الكافر وبين طاعته.

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ أي: أنها إذا نزلت تعم الظالم وغيره. قال الحسن: خاطب بهذا أصحاب النبي ﷺ.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَاوَنَكُمُ
وَأَيَّدَكُم بَقَرِهِمْ وَوَدَّعَكُمْ مِنَ الطَّاغُوتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا

اللَّهُ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقَفُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ
فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ أي: مقهورون في أرض
«مكة» ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ يعني: تُفَارِزُ أَهْلَ «مكة».

﴿فأواكم﴾ ضمكم إلى «المدنية» ﴿وأيدكم﴾ أعانكم على المشركين.

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني: الحلال من الرزق.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾.

قال السدي: نزلت في رجل من أصحاب النبي أشار إلى بني قريظة بيده؛
ألا تنزلوا على الحكم، فكانت خيانة منه وذنباً ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها خيانة
﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلية، ابتلاكُم الله بها لتطيعوه فيما
ابتلاكُم فيه .

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تقفوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ قال السدي: يعني:

مخرجاً في الدين من الشبهة والضلالة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ

وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ ثَلَاثُ عَلِيهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ

هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا

مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَتْ

اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية، قال الكلبي: بلغنا أن عصابةً من قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون بني الله، فدخل معهم إبليس عليه ثياب، له أظفار في صورة شيخ كبير، فجلس معهم، فقالوا: ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا؟ فقال لهم: أنا رجل من أهل «نجد» قدمت «مكة» فأحييت أن أسمع من حديثكم، وأقتبس منكم خيراً، ورأيت وجوهكم حسنة وريحكم طيبة؛ فإن أحييتم جلست معكم، وإذا كرهتم مجلسي (١١٨٤) خرجت. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد ليس من أهل تهامة، فلا بأس عليكم [منه] ^(١) تتكلموا بالمكر ببني الله، فقال البخري بن هشام - أحد بني أسد ابن عبد العزى - : أما أنا فأرى لكم من الرأي أن تأخذوا محمداً، فتجعلوه في بيت، ثم تسدوا عليه بابه، وتجعلوا فيه كوة ^(٢) يدخل إليه منها طعامه وشرابه، ثم تذروه فيه حتى يموت، فقال القوم: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بش الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو ^(٣) وقد سمع به من حولكم فتحبسونه، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصغو الذي له فيكم أن يقاتلوكم عليه فتفسد فيه جماعتكم، وتسفك فيه دماؤكم. فقالوا: صدق والله. ثم تكلم أبو الأسود - وهو هاشم بن عمير بن ربيعة أحد بني عامر بن لؤي - فقال: أما أنا، فأرى أن تحملوا محمداً على بعير، ثم تخرجوه من أرضكم فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم. فقالوا: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بش الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم، واتبعته منكم

(١) طمس في الأصل.

(٢) الكوة والكوة: الفتحة أو الخرق في الجدار. والجمع: كُؤَات وكُؤَى. ينظر لسان العرب (كؤ).

(٣) أي: يضغى إليه الناس ويستمعون قوله. ينظر لسان العرب (صغو).

طائفة، فتخرجونه إلى غيركم، فيأتيهم فيفسدهم كما أفسدكم، يوشك والله أن يميل بهم عليكم. قالوا: صدق والله. ثم تكلم أبو جهل فقال: أما أنا فأرى من الرأي أن تأخذوا من كل بطن من قريش رجلاً، ثم تعطوا كل رجل منهم سيفاً فيأتونه [فيضربونه]^(١) جميعاً فلا يدري قومه من يأخذون به، وتودي قريش دينه. فقال إبليس: صدق والله هذا الشاب؛ إن الأمر لكما. قال: فاتفقوا على ذلك. فنزل جبريل على النبي ﷺ فأخبره، وأمره بالخروج. فخرج من ليلته إلى المدينة، فدخل الغار قال الله: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

قال محمد: والمكر من الله: الجزاء والمثوبة؛ أن يجازيهم جزاء مكرهم. ومعنى: ﴿ليبتوك﴾ أي: ليحبسوك، ومنه يقال: فلان مثبت وجعاً إذا منع من الحركة.

قوله: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ قال الكلبي: لما قصّ رسول الله على قومه شأن القرون الأولى، قال النضر بن الحارث - أحد بني عبد الدار - لو شئت لقلت مثل هذا، إن هذا إلا أساطير الأولين: كذب الأولين وباطلهم. قال محمد: الأساطير: واحدها: أسطورة^(٢).

﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ أي: إن كان ما يقول محمد حقاً ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾.

قال محمد: القراءة على نصب: ﴿الحق﴾ على خبر كان^(٣)، ودخلت

(١) في الأصل: فيضربوه. والمثبت هو الصواب.

(٢) ويقال في واحدها أيضاً: إسطار، وإسطارة، وإسطير، وإسطيرة، وأسطور. لسان العرب (سطر).

(٣) وهي قراءة العامة. وقرأ الأعمش وزيد بن علي برفع (الحق) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٨٨)، الدر المصون (٣/ ٤١٤).

(هو) للتوكيد^(١).

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ قال الحسن: أي: حتى نخرجك من بين أظهرهم.

﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ يقول: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو استغفروا الله لما عذبوا.

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه﴾ زعم مشركو العرب أنهم أولياء المسجد الحرام، فقال الله: ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية﴾ قال الحسن: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق؛ يقول: يفعلون ذلك مكان الصلاة.

قال مجاهد: وكانوا يفعلونه ليخلطوا على النبي ﷺ الصلاة.

﴿فذوقوا العذاب﴾ يعني: القتل بالسيف قبل عذاب الآخرة ﴿بما كنتم تكفرون﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ

(١) أي: ضمير فصل للتوكيد، وهو ما يسميه الكوفيون بالعماد. ينظر الكلام عليه من: الكتاب (٣٩٤/١ - ٣٩٥)، معاني القرآن للفراء (٤٠٩/١ - ٤١٠).

الْخَيْبَتِ مِنَ الْطَّيِّبِ وَيَجْعَلُ الْخَيْبَتَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي
 جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ
 سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
 وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ فَإِذَا أَنْتَهُوا فَلَا تَأْكُلُ اللَّهُ بِمَا يَمْعَلُونَ بِصِيرٍ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا...﴾
 الآية.

لما هزم رسول الله أهل بدر، رجعوا إلى مكة، فأخذوا ما جاءت به العير
 من الشام، فتجهزوا به لقتال النبي، واستنصروا بقبائل من قبائل العرب،
 فأوحى الله إلى نبيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ...﴾ إلى قوله:
 (١١٩) ﴿لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يعني: نفقة المؤمنين من نفقة
 الكافرين ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾
 معهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قال محمد: تقول: أَرْكُمُ الشَّيْءَ رَكْمًا؛ إذا
 جعلت بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَالرُّكَامُ الاسم (١).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا﴾ لقتال
 محمد ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ بالقتل والاستئصال في قريش يوم بدر، وفي
 غيرهم من الأولين ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ شرك؛ وهذه في مشركي
 العرب خاصة ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ يعني: الإسلام.
 ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عن كفرهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (ركم).

﴿وإن تولوا﴾ يعني: أبوا إلا القتال ﴿فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْفَتَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِيَّةِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قال الحسن: هذا عند القتال ما غنموا من شيء، فلله خمسة يُرفع الخمس فيرده الله على الرسول، وعلى قرابة الرسول وعلى اليتامى والمساكين وابن السبيل؛ ذلك لهم على قدر ما يصلحهم، ليس لذلك وقت. وأربعة أخماس لمن قاتل عليه.

قال محمد: ذكر يحيى في قسمة الخمس اختلافاً؛ ولهذا موضعه من كتب الفقه.

﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ قال قتادة ومجاهد: هو يوم بدر فُرق الله فيه بين الحق والباطل؛ فنصر الله نبيه، وهزم عدوه ﴿يوم التقى الجمعان﴾ جمع المؤمنين، وجمع المشركين.

﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾.

قال قتادة: العدوتان: شفير الوادي؛ كان المسلمون بأعلاه، والمشركون

بأسفله ﴿والركب أسفل منكم﴾ قال الكلبي: يعني: أبا سفيان والعيبر؛ كان أبو سفيان والعيبر أسفل من الوادي - زعموا بثلاثة أميال - في طريق الساحل لا يعلم المشركون مكان عيرهم، ولا يعلم أصحاب العير مكان المشركين. قال محمد: القراءة (أُسْفَلَ) بالنصب^(١)؛ على معنى: والركب مكانًا أسفل منكم^(٢).

﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم والمشركون ﴿لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً﴾ أي: فيه نصركم، والنعمة عليكم ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ يعني: بعد الحجّة .

﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَئِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ إِنَّهُمْ عَلَيْهِ يَدَاتِ الضُّدِّ﴾^(٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي التَّقِيَمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقُولُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْوَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَلَئِنْ اللَّهُ تَرَجَعَ الْأُمُورُ^(٤٤) يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ وَآذَكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(٤٥)

﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قال الكلبي: «إن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر، وأخبره الله بسير المشركين، أراه المشركين في منامه قليلًا، فقال رسول الله: أبشروا؛ فإن الله أراني المشركين في منامي قليلًا».

(١) وهي قراءة العامة. وقرأ زيد بن علي (أسفل) بالرفع؛ وذلك على سبيل الاتساع في الظرف. ينظر: البحر المحيط (٤/ ٥٠٠)، الدر المصون (٣/ ٤٢٣).
(٢) أي أن (أسفل) صفة موصوف محذوف، وأقيمت صفته مقامه، فانتصب (أسفل) على الظرف. كشف المشكلات (١/ ٥٠١ - ٥٠٢).

﴿ولو أراكم كثيرًا لفشتم﴾ أي: لَجَبْتُمْ ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ أي: اختلفتم في أمر الله ورسوله ﴿ولكن الله سلم﴾ من ذلك.

﴿إنه﴾ ^(١) إن الله ﴿عليه بذات الصدور﴾ أي: بما فيها، يقول: من علمه بما في صدوركم قللهم في أعينكم، وأذهب الخوف الذي كان في صدوركم. ﴿وإذ يريكمهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم﴾ قال الكلبي: إن المسلمين لما عاينوا المشركين يوم بدر رأوهم قليلًا؛ فصدقوا رؤيا رسول الله، وقلل الله المسلمين في أعين المشركين، فاجترأ المؤمنون على المشركين، واجترأ المشركون على المؤمنين ﴿ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً﴾ أي: فيه نصركم.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ يعني: من المشركين ﴿فانبتوا﴾ في صفوفكم. ﴿واذكروا الله كثيرًا﴾ قال قتادة: افترض الله ذكره عند الضراب بالسيف.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ^(٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ^(٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(٤٨)

(١) ليست في الأصل.

﴿ولا تنازعوا﴾ أي: لا تختلفوا ﴿فتفشلوا﴾ أي: تَجَبُّثُوا. ﴿وتذهب ريحكم﴾ أي: نصركم .

(١٢٠) ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس...﴾ إلى قوله: ﴿والله شديد العقاب﴾ قال الكلبي: إن المشركين لما خرجوا من «مكة» إلى بدر أتاهم الخبر وهم بالجحفة قبل أن يصلوا إلى بدر أن غيرهم قد نجت، فأراد القوم الرجوع، فأتاهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جُعْشَم، فقال: يا قوم، لا ترجعوا حتى تستأصلوهم؛ فإنكم كثير، وعدوكم قليل فتأمن غيركم، وأنا جازُّ لكم على بني كنانة، ألا تمروا بحي من بني كنانة إلا أمدكم بالخيـل والرجال والسلاح. فمضوا كما أمرهم للذي أراد الله من هلاكهم، فالتقوا هم والمسلمون ببدر، فنزلت الملائكة مع المسلمين في صف، وإبليس في صف المشركين في صورة سراقه بن مالك فلما نظر إبليس إلى الملائكة نكص على عقبيه، وأخذ الحارث بن هشام المخزومي بيده، فقال: يا سراقه، على هذه الحال تخذلنا؟! قال: إني أرى ما لا ترون؛ إني أخاف الله والله شديد العقاب. فقال له الحارث: ألا كان هذا القول أمس؟ فلما رأى إبليس أن القوم قد أقبلوا إليهم دفع في صدر الحارث فخرّ، وانطلق إبليس وانهزم المشركون، فلما قدموا مكة قالوا: إنما انهزم بالناس سراقه ونقض الصف، فبلغ ذلك سراقه، فقدم عليهم مكة، فقال: بلغني أنكم تزعمون أنني انهزمت بالناس! فوالذي يحلف به سراقه، ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم. فجعلوا يذكرونه؛ أما أتيتنا يوم كذا، وقلت لنا كذا. فجعل يحلف، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان.

قال الكلبي: وكان صادقاً في قوله: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وأما قوله:

﴿إني أخاف الله﴾ فكذب .

﴿إذ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَبَ رُءُوسَهُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ عَلِيمٍ ٥١﴾ كَذَابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥٢﴾

﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ قال الكلبي: بلغنا أن المشركين لما نفروا من «مكة» إلى بدر، نفر معهم أناس قد كانوا تكلموا بالإسلام، فلما رأوا قلة المؤمنين، ارتابوا وناققوا وقاتلوا مع المشركين، وقالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ يعنون: المؤمنين . قال الله: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز﴾ في نعمته ﴿حكيم﴾ في أمره .

﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ قال الضحاك بن مزاحم: هذا يوم بدر .

﴿كذاب آل فرعون﴾ يعني: كفعل . قال الحسن: فيها إضمار: فعلوا كفعل آل فرعون ﴿والذين من قبلهم﴾ من الكفار ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّراً نِعْمَةَ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بِنَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٢﴾ كَذَابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاثِرٍ ظَلِيمٍ ٥٣﴾ إِنَّ سَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَفَقَّهُنَّ فِي الْحَرْبِ فَقَشِدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾
يعني: إذا جحدوا الرسل، أهلكهم الله.

﴿إن شر الدواب عند الله﴾ يعني: الخلق عند الله ﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ هؤلاء الذين يموتون على كفرهم ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾.

قال الكلبي: هؤلاء قوم ممن كان وادع رسول الله ﷺ وكانوا ينقضون العهد، فأمر الله فيهم بأمره، فقال: ﴿فإنما تتفكهنهم في الحرب﴾ أي: تظفر بهم.

﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي: فعظ بهم من سواهم ﴿لعلهم يذكرون﴾ يقول: لعلهم يؤمنون؛ مخافة أن ينزل بهم ما نزل بالذين نقضوا العهد ﴿وإنما تخافن﴾ أي: تعلمن ﴿من قوم خيانة﴾ يعني: نقضاً للعهد ﴿فانذ إليهم على سواء﴾ أي: أعلمهم أنك حرب، ويكون الكفار كلهم عندك سواء ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ لا يعينهم إذا نقضوا العهد.

﴿ولا تحسبن﴾^(١) الذين كفروا سبقوا﴾ أي: فاتوا. ثم ابتدا وقال: ﴿إنهم لا

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحزمة ﴿يحسبن﴾ بالياء، والباقون ﴿تحسبن﴾ بالتاء. النشر (٢٧٧/٢) وتفسير القرطبي (٣٣/٨) وإتحاف الفضلاء (٢٩٩).

يعجزون ﴿ لا يفوتون الله حتى لا يقدر عليهم .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال زيد بن أسلم: القوة ها هنا: القتل ومن رباط الخيل ترهبون به ﴿أي: تخيفون﴾ «عدو الله وعدوكم» .

يحيى: عن [...] ^(١) عن سليمان بن عبد الرحمن (ل ١٢١) الدمشقي، عن القاسم مولى عبد الرحمن، عن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى العدو بسهم فبلغ سهمه؛ أصاب العدو أو أخطأ - فهو كعتق رقبة» ^(٢).

يحيى: عن المعلّى، عن عمرو بن عبد الله، عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «من ارتبط فرساً في سبيل الله، فهو كالباسط يده بالصدقة» ^(٣).

(١) طمس في الأصل.

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ٩٤٠ رقم ٢٨١٢) والحاكم (٢/ ٩٦) والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٢) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سليمان بن عبد الرحمن به، أخرجه الحاكم شاهداً. وللحديث طرق أخرى.

(٣) رواه ابن حبان (١٠/ ٥٣٠ رقم ٤٦٧٤) والطبراني في الكبير (٢٢ / ٣٣٩ رقم ٨٤٩) وأبو عوانة (٤/ ٤٤٩ رقم ٧٢٩٤) والحاكم (٢/ ٩١) عن أبي كبشة الأنماري بنحوه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه الزيادة ورواه الإمام أحمد (٤/ ١٧٩ - ١٨٠) وأبو داود (٤/ ٤١٥ - ٤١٦ رقم ٤٠٨٦) والطبراني في الكبير (٦/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٥٦١٦ ، ٥٦١٧) والحاكم (٢/ ٩١ - ٩٢) عن سهل ابن الحنظلية بنحوه، أخرجه الحاكم شاهداً.

﴿وآخرين من دونهم﴾ من دون المشركين؛ يعني: المنافقين ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾.

قال محمد: (وآخرين) عطف على: ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ وترهبون به آخرين من دونهم^(١).

﴿وإن جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم فاجنح لها﴾.

قال محمد: السلم ها هنا: الصلح؛ ومنه قول الشاعر:

السلم تأخذ منها ما رضيت به

والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْعُ^(٢)

﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ عِزٌّ حَكِيمٌ^(٤) يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٥) ﴿

قوله: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ قال الحسن: يعني: المشركين، يقول: إن هم أظهروا لك الإيمان وأسروا الكفر؛ ليخدعوك بذلك؛ لتعطيهم حقوق المؤمنين، وتكف عن دمائهم وأموالهم ﴿فإن حسبك الله هو الذي آتاك﴾ أعانك ﴿بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ يعني: المؤمنين ﴿لو أنفقت ما

= وروى ابن حبان (١٠/٥٣٠ رقم ٤٦٧٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المتفق على الخيل كالمتكف بالصدقة» فمثل معمر: ما المتكف بالصدقة؟ قال: الذي يعطى بكفيه.

(١) البحر المحيط (٤/٥١٣)، الدر المصون (٣/٤٣٢).

(٢) البيت لعباس بن مرداس، وهو من بحر البسيط. ينظر: خزائن الأدب (٤/١٨) حاشية يس (٢/٢٨٦)، البحر المحيط (٢/١٢٠).

في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ يعني: أنهم كانوا أهل جاهلية يقتل بعضهم بعضاً متعادين؛ فألف الله بين قلوبهم حتى تحابوا، وذهبت الضغائن التي كانت بينهم بالإسلام.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ١٦﴾ أَلْفَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَاعِدَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ ١٧﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتُخَرَّجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٨﴾ لَوْلَا كَذَّبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٩﴾ فَمَا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٠﴾

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ أي: وحسب من اتبعك.

﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين﴾ حُثُّهُمْ ﴿على القتال﴾ بما وعد الله الشهداء والمجاهدين.

قال محمد: التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حتى يعلم منه أنه حارص إن تخلف عنه، والحارص: الذي قد قارب الهلاك^(١).

﴿إن يكن منكم عشرون صابرون...﴾ إلى قوله: ﴿والله مع الصابرين﴾ قال الحسن: كان الله قد فرض على المسلمين في هذه الآية أن يصبروا لعشرة

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حرض).

أمثالهم، ثم نسخها ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله﴾ فأمر الله المسلمين أن يصبروا لمثلهم؛ إذا لقوهم فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أظهر الله الدين وأعزه، وصار الجهاد تطوعاً.

قال ابن عباس: «فَمَنْ فَرَّ مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فَلَمْ يَفِرْ، وَمَنْ فَرَّ مِنْ اثْنَيْنِ فَقَدْ فَرَّ، وَلَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَفِرَ مِنْ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ». ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ...﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال الكلبي: يقول: ما كان لنبي قبلك يا محمد أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾ كان هذا في أسرى بدر، يقول: فأخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت في المشركين من قبل أن تتخنوا في الأرض.

قال الحسن: ولم يكن أوحى إلى النبي في ذلك شيء؛ فاستشار المسلمين، فأجمعوا رأيهم على قبول الفداء. قال محمد: الإثخان في الشيء (قوة) ^(١) الشيء ^(٢)، ومعنى يشخن في الأرض أي يتمكن ^(٣).

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ أنكم أنتم الذين تأكلون الغنائم.

﴿لِمَسْكُمَ فِيمَا أَخَذْتُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال قتادة: لم تحلّ الغنيمة إلا لهذه

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: تقوية.

(٢) وهو مأخوذ من ثَخَنَ يَثْخُنُ ثَخُونَةً وَثَخَانَةً؛ أي: غَلِظَ وَضَلَبَ. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (ثخن).

(٣) ويقال: اثخن في الأرض: بالغ في قتل أعدائه. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (ثخن).

الامة؛ كانت تجمع فتزل عليها النار من السماء فتأكلها.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا﴾ يعني: إسلامًا ﴿يؤتكم خيرًا﴾ (ل١٢٢) ^(١) أسروا يوم بدر ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ يعني: فقد كفروا بالله من قبل ﴿فأمكن منهم﴾ حتى صاروا أسرى في بدر .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلٍ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَفْرَضَكُمْ فِي الَّذِينَ قَاتَلَكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ إلى «المدينة» يعني: المهاجرين «والذين آووا ونصروا» يعني: الأنصار؛ آووا المهاجرين، ونصروا الله ورسوله ﴿أولئك

(١) طمس في الأصل قدر سطر.

بعضهم أولياء بعض﴾ يعني: المهاجرين والأنصار.

﴿والذين آمنوا [ولم يهاجروا]^(١) ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ يعني: في الدين ﴿حتى يهاجروا﴾ قال قتادة: نزلت هذه الآية، فتوارث المسلمون بالهجرة زماناً، وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئاً، ثم نسخ ذلك في سورة الأحزاب؛ فقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾^(٢) فخلط الله المسلمين بعضهم ببعض، وصارت الموارث بالملل^(٣).

﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ يعني: الأعراب ﴿فعليكم النصر﴾ لهم ؛ لحرمة الإسلام.

﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ يعني: أهل الموادعة والعهد من مشركي العرب. قال قتادة: نهى المسلمون عن نقض ميثاقهم .

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ نزلت حين أمر النبي بقتال المشركين كافة، وكان قوم من المشركين بين رسول الله وبين قريش؛ فإذا أرادهم رسول الله قالوا: ما تريد منا ونحن [...] ^(٤) عنكم وقد نرى ناركم؟ وكان أهل الجاهلية يعظمون النار؛ لحرمة قرب الجوار؛ لأنهم إذا رأوا نارهم فهم جيرانهم، وإذا أرادهم المشركون قالوا: ما تريدون منا ونحن على دينكم؟ فأنزل الله: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ أي: فالحقوا المشركين

❦ ❦ ❦

(١) سقط من الأصل.

(٢) الأحزاب: ٦ .

(٣) أي المسلمين يرث بعضهم بعضاً فتوارث الأعراب والمهاجرون، ولا يتوارث أهل ملتين. وأثر قتاده رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/١) والطبري (٥٣/١٠، ٥٤) وغيرهما.

(٤) طمس في الأصل.

بعضهم ببعض حتى يكون حكمكم فيهم واحدًا.

﴿إلا تفعلوه تكن فتنة﴾ أي: شرك ﴿في الأرض فسادٌ كبير﴾ لأن الشرك إذا كان في الأرض فهو فسادٌ كبير.

﴿والذين آمنوا من بعد﴾ يعني: من بعد فتح مكة وبعد ما انقطعت الهجرة ﴿وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن طاوس «أن صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل قدموا المدينة؛ فقال لهم النبي: ما جاء بكم؟ فقالوا: سمعنا أنه لا إيمان لمن لم يهاجر، فقال: إن الهجرة قد انقطعت، ولكن جهادٌ وثيقةٌ حسنة. ثم قال لصفوان بن أمية: أقسمت عليك أبا وهب لترجعنَّ إلى أباطيح مكة»^(١).

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ قال محمد: أي: في فرض الله؛ ذكره بعض المفسرين.

﴿إن الله بكل شيء عليم﴾.

سعيد، عن قتادة؛ أن أبا بكر الصديق قال: «إن هذه الآية التي ختم الله بها سورة الأنفال هي فيما جرت الرحمة من العصبية».

قال محمد: «أولو الأرحام» واجدُهُمْ: (ذو) من غير لفظه^(٢).



(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (١٣٧/٢) رقم (٢٣٥٢) عن عمرو بن دينار عن طاوس بنحوه.

(٢) حيث إن (أولي) مُلحقة بجمع المذكر السالم. ويجمع (ذو) على (ذوون). ينظر: شذا العرف (٧١)، لسان العرب (ذو).

تفسير سورة براءة وهي مدنية كلها

قال يحيى: وحديثي أبو الجراح المهري، عن عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: «قلت لعثمان بن عفان: كيف جعلتم الأنفال وهي من المئين مع براءة وهي من الطوال، ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: إن رسول الله ﷺ كانت تنزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات، وأقل من ذلك وأكثر؛ فيقول: اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا من موضع كذا وكذا. وإنه قبض ولم يقل لنا في الأنفال شيئاً، ونظرنا فرأينا قصصهما متشابهاً، فجعلناها معها ولم نكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم»^(١).

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكَ غَيْرُ مُعْجِزِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۖ﴾ وَأَذِّنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ

(١) رواه الإمام أحمد (٥٧/١، ٦٩) وأبو داود (٥٠٨/١ - ٥٠٩ رقم ٧٨٢، ٧٨٣) والنسائي في الكبرى (١٠/٥ رقم ٨٠٠٧) والترمذي (٢٥٤/٥ رقم ٣٠٨٦) وابن أبي داود في المصاحف (٣٩ - ٤٠) - ومن طريقه الضياء في المختارة (١/٤٩٤ - ٤٩٥ رقم ٣٦٥، ٣٦٦) - وابن حبان (١/٢٣٠ - ٢٣١ رقم ٤٣) والحاكم (٢/٢٢١، ٢٣٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٠١ - ٢٠٢) والبزار في مسنده (٢/٨ رقم ٣٤٤) والبيهقي في السنن (٢/٤٢) وفي الدلائل (٧/١٥٢ - ١٥٣) من طرق عن عوف الأعرابي به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال في الموضع الثاني: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البزار: وهذا الحديث لا تعلمه يروى عن رسول الله ﷺ إلا من هذا الوجه، ولا تعلم

رواه عن رسول الله ﷺ إلا عثمان، ولا روى ابن عباس عن عثمان إلا هذا الحديث.

لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَنَشِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آيِهِ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَنِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُنْذِرِينَ ﴿٣﴾

(ل١٢٣) قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ يقول لنبي الله وأصحابه: براءة العهد الذي كان بين رسول الله وبين مشركي العرب ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي: اذهبوا ﴿أربعة أشهر﴾ يقوله لأهل العهد من المشركين ﴿واعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ سابقى الله حتى لا يقدر عليكم ﴿وأن الله مخزى الكافرين﴾.

﴿وأذان من الله ورسوله﴾ أي: وإعلام من الله ورسوله.

﴿إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ وهو يوم النحر ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ إن لم يؤمنوا.

تفسير مجاهد: أقبل رسول الله من تبوك حين فرغ منها؛ فأراد أن يحج. ثم قال: إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة، ولا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك. فأرسل أبا بكر وعليًا فطافا في الناس بذى المجاز، وبأمكنهم التي كانوا يتبايعون فيها، وبالمؤيسم كله، فأذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة [أشهر]^(١) من يوم النحر إلى عشر ليال يمضين من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد.

وقال قتادة: إن أبا بكر أمر على الحاج يومئذ، ونادى علي في بالأذان، وكان عامًا حج فيه المسلمون والمشركون.

(١) سقط من الأصل.

وقال الحسن: كان النبي قد أمر أبا بكر أن يؤذن الناس بالبراءة، فلما مضى دعاه، فقال: إنه لا يبلغ عني في هذا الأمر إلا من هو من أهل بيتي^(١).

قال محمد: قال بعض العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عليًا بذلك دون أبي بكر؛ لأن العرب كانت جرت عادتهم في عقد عهودها لو نقضتها أن يتولى ذلك على القبيلة رجلٌ منها، فكان جائزًا أن تقول العرب: [إذن عليك]^(٢) نقض العهود من الرسول، هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود؛ فأزاح ﷺ العلة، وكان هذا في سنة تسع من الهجرة، بعد افتتاح مكة بسنة.

قال محمد: قوله: ﴿براءة﴾ يجوز الرفع فيها على وجهين: أحدهما: على خبر الابتداء؛ على معنى هذه الآيات: ﴿براءة من الله ورسوله﴾.

وعلى الابتداء، ويكون الخبر ﴿إلا الذين عاهدتم﴾^(٣). قوله: ﴿فإن تبثم﴾ يقول للمشركون: فإن تبثم من الشرك ﴿فهو خير لكم وإن توليتهم﴾ عن الله ورسوله.

﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ يعني: القتل قبل عذاب الآخرة، ثم رجع إلى قصة أصحاب العهد؛ فقال: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركون ثم لم ينقضوكم شيئاً﴾ أي: لم يضرركم ﴿ولم يظاهروا﴾ يعاونوا ﴿عليكم أحداً﴾ من المشركون ﴿فأتموا إليهم عهودهم إلى مدتهم﴾.

(١) ورد عن أنس وعلي وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، انظر الدر المنثور (٣/٢٢٦ - ٢٢٨).

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٣/٢)، البحر المحيط (٥/٤ - ٦)، معاني القرآن للفراء (١/٤٢٠).

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
انْقَلِبْهُ إِلَى آثَارِهِ فَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۚ﴾

﴿فإذا انسلك الأشهر الحرم﴾ قال الحسن: رجع إلى قصة أصحاب العهد،
والأشهر الحرم في هذا الموضع: هي الأشهر التي أُلجوا آخر عشر ليالٍ
يمضين من شهر ربيع الآخر، وسماها حرمًا؛ لأنه نهى عن قتالهم فيها
وحرمة.

﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مَرَصِدٍ﴾ يعني: على كل طريق تأمرون بقتالهم في الحل والحرم وعند
البيت.

قال محمد: قوله: ﴿وخذوهم﴾ معناه: وأسروهم؛ يقال للأسير: أُخِذَ،
ومعنى ﴿واحصروهم﴾: احبسوهم؛ الحَصْرُ: الحبس^(١).

﴿فإن تابوا﴾ يعني: من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ يعني: أقروا
بها ﴿فخلوا سبيلهم﴾.

﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ ليسمع كلام الله ﴿فأجره حتى يسمع
كلام الله﴾ فإن أسلم أسلم، وإن أبى أن يسلم فأبلغه ﴿مأمته﴾ أي: لا تحرکه
حتى يبلغ مأمته.

قال الحسن: هي مُحْكَمَةٌ إلى يوم القيامة.

(١) لسان العرب (أخذ)، (حصر).

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَنْ
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِلُ
الَّذِينَ يَلْقَوْنَ غَوْرًا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام﴾ أي: ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا.
﴿فما استقاموا لكم﴾ على العهد ﴿فاستقيموا لهم﴾ عليه.
﴿إن الله يحب المتقين﴾.

﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ (ل١٢٤) أي: كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله، وإن يظهروا عليكم ﴿لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾
الإل: الجوار، والذمة: العهد ﴿اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا﴾ يريد: متاع
الدنيا ﴿فصدوا عن سبيله﴾.

﴿وإن لكانوا آمنهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقللوا أيمته الكفر﴾
﴿إنهم لا آمنن لهم لعلمهم ينتهون﴾ ﴿ألا تقللون قوما نكثوا أيمانهم﴾
وهكثوا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أولك مرفو أنخسونهن فالله أحق أن نخشوه
إن كنتم مؤمنين ﴿١٢﴾﴾

﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم...﴾ إلى قوله:
 ﴿والله عليهم حكيم﴾ تفسير الكلبي: أن رسول الله ﷺ كان وادع أهل مكة
 سنة؛ وهو يومئذ بالحديبية، فحبسوه عن البيت، ثم صالحوه؛ على أنك
 ترجع عامك هذا ولا تطأ بلدنا، ولا تنحر البدن من أرضنا، وأن نخليها لك
 عامًا قابلًا ثلاثة أيام، ولا تأتينا بالسلاح إلا سلاحًا تجعلها في قِزَاب^(١) وأنه
 من صبا منا إليك فهو إلينا ردًّا. فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك، فمكثوا ما
 شاء الله أن يمكثوا، ثم إن حلفاء رسول الله ﷺ من خُزاعة قاتلوا حلفاء بني أمية
 من بني كنانة؛ فأمدت بنو أمية حلفاءهم بالسلاح والطعام، فركب ثلاثون
 رجلًا من حلفاء رسول الله ﷺ من خُزاعة فيهم بُذيل بن ورقاء، فناشدوا رسول
 الله الحلف، فأمر رسول الله ﷺ أن يعين حلفاءه وأنزل الله على نبيه:
 ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم
 لا أيمان لهم﴾: لا عهد لهم ﴿لعلهم يتهون﴾.

﴿ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم﴾ نكثوا عهدهم ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾
 قال الحسن: من المدينة ﴿وهم بدءوكم أول مرة﴾ فاستحلوا قتال حلفائكم
 ﴿أتخشونهم﴾ على الاستفهام؛ فلا تقاتلونهم ﴿فالله أحق﴾ أولى ﴿أن تخشوه
 إن كنتم مؤمنين﴾ يعني: إذا كنتم مؤمنين.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
 مُؤْمِنِينَ﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
 أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا

(١) هو غمد السيف ونحوه. والجمع: قُرْب وأقربة. لسان العرب (قرب).

رَسُولِهِ. وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ يعني: القتل ﴿ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم﴾ والقوم المؤمنون الذين شفى الله صدورهم: حلفاء رسول الله من مؤمني خزاعة، فأصابوا يومئذ وهو يوم فتح مكة مقيس بن صبابه في خمسين رجلاً من قومه ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ ليس بجواب لقوله: ﴿قاتلوهم﴾ ولكنه مستأنف^(١).

قوله: ﴿أم حسبتم أن تركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾.

قال محمد: قد علم الله قبل أمرهم بالقتال من يقاتل ممن لا يقاتل، لكنه كان يعلم ذلك غيباً؛ فأراد الله العلم الذي يجازي عليه، وتقوم به الحجة؛ وهو علم الفعال.

﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ ببطانة.

قال محمد: ﴿وليجة﴾ مأخوذة من: الولوج^(٢)؛ وهو أن يتخذ رجل من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطاً.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾

(١) ينظر: البحر (١٧/٥)، الدر المصون (٤٥٢/٣).

(٢) وتجمع (وليجة) على: (ولائج) ينظر: لسان العرب (ولج).

هذا حين نفي المشركون عن المسجد الحرام .

قال محمد: ﴿شاهدين﴾ حال؛ المعنى: ما كانت لهم عمارة المسجد في حال إقرارهم بالكفر .

﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر...﴾ الآية و﴿عسى﴾ من الله واجبة .

﴿أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّكَاءِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَنَّهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ قال مجاهد: أمروا بالهجرة، فقال عباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا حاجب الكعبة؛ فلا نهاجر . فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إن الله عنده أجر عظيم﴾ وكان هذا قبل فتح مكة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَحْسَبُونَهَا كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرٍ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ...﴾.

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ قال مجاهد: يعني: فتح مكة.
 ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ المشركين الذين يموتون على شركهم.
 ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شِبْكَاً وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِيرِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَاكِنَتَهُ عَلَى رُسُلِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُنُودًا لَهُمْ نَارُهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ يعني: يوم بدر، والأيام التي نصر الله فيها النبي والمؤمنين.

﴿ويوم حنين﴾ أي: وفي يوم (١٢٥هـ) حنين نصركم الله فيه ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا...﴾ الآية، وذلك أن رسول الله لما ذهب إلى حنين بعد فتح مكة، فلقي بها جمع هوازن وثقيف، وهم قريب من أربعة آلاف، ورسول الله - فيما ذكر بعضهم - في اثني عشر ألفاً، فلما التقوا قال رجل من أصحاب رسول الله: لن نغلب اليوم من قلة. فوجد^(١) رسول الله ﷺ من كلمته وجداً شديداً، وخرجت هوازن ومعها دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ^(٢) وهو

(١) وجد: أي: حزن وغضب، لسان العرب (وجد).

(٢) هو: دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن، من المعمرين في الجاهلية، وقتل مشركاً يوم حنين، في العام الثامن للهجرة. ينظر: الأعلام (٣٣٩/٢).

شيخ كبير. فقال دريد: يا معشر هوازن، أمعكم من بني كلاب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني كعب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني عامر أحد؟ قالوا: لا. قال: أما والله أن لو كان خيرًا ما سبقتموهم إليه؛ فأطيعوني فارجعوا. فَعَصَوْهُ، فاقتتلوا فانهزم أصحاب رسول الله^(١) قال رسول الله ﷺ: إني عباد الله. وأخذ العباس بشعر بغلة^(٢) رسول الله، ثم نادى: يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، ويا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا؛ إن هذا رسول الله ﷺ هلُم لكم، وكان العباس رجلًا صَيِّتًا؛ فأسمع الفريقين كليهما فأقبلوا، فأما المؤمنون فأقبلوا لنصر الله ورسوله، وأما المشركون فأقبلوا ليطفئوا نور الله، فالتقوا عند رسول الله ﷺ فاقتتلوا قتالًا شديدًا ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهو القتل قبل عذاب الآخرة.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَائِمِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ أي: قذر.

(١) وضع بعدها الناسخ بعدها علامة إلحاق، ولم يظهر بالحاشية شيء.

(٢) الثغر: الفم والأسنان، والثغرة: نقرة النحر. لسان العرب (نفر).

قال محمدٌ: يقال لكل مستقذرٍ: نجس، فإذا ذكرت الرُّجَسَ، قلت: هو رَجَسٍ نجسٌ^(١).

﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ هو العام الذي حج فيه أبو بكر، ونادى فيه عليٌّ بالأذان.

﴿وان خفتم عيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ كان لأهل مكة مَكْسَبَةٌ ورفقٌ^(٢) ممن كان يحج من المشركين، فلما غزوا عن ذلك اشتد عليهم، فأعلمهم الله أنه يعوضهم من ذلك.

قال محمدٌ: العيلة: الفقر؛ يقال: عال الرجل يعيل؛ إذا افتقر^(٣)، ومنه قول الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل^(٤)

قوله عز وجل: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ الآية، فأمر بقتال أهل الكتاب؛ حتى يسلموا، أو يقرؤا بالجزية.

قال محمدٌ: قوله: ﴿عن يدٍ﴾ يقال: أعطاه عن يد، وعن ظهر يد؛ أي: أعطاه ذلك مبتدئاً غير مكافئ.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَفَ أَرَأَيْتُمْ

(١) أي: على الإتياع، وهو مسموع عن العرب.

(٢) أي: انتفاع. لسان العرب (رفق).

(٣) عال الرجل يعيل غَيْلاً وَغَيْلَةً: إذا افتقر. لسان العرب (عيل).

(٤) البيت لأحيحة بن الجلاح، وهو من بحر الوافر. ينظر: لسان العرب (عيل)، البحر المحيط

يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَجْزَارَهُمْ وَرُءُسَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ قال الله - عز وجل - : ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾.

قال محمد: المعنى: أنه قولٌ بِقَمْ؛ أي: لا برهان عليه، ولا صحة تحته .
﴿يضاهئون﴾ يشابهون؛ يعني: النصارى ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾
يعني: اليهود؛ أي: ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم؛ قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله ﴿قاتلهم الله﴾ أي: لعنهم الله .
قال محمد: وقيل: ﴿قاتلهم﴾ بمعنى: قتلهم .

﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يُقْلَبُونَ عن الحق ويصرفون؟!
﴿اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ أي:
واتخذوا المسيح ابن مريم رباً ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿عما يشركون﴾.

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ يعني: ما يدعون إليه من اليهودية والنصرانية، وما حَرَّفُوا من كتاب الله - عز وجل - ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ قال ابن عباس: يعني: شرائع الدين كله، فلم يُقْبَضْ رسول الله ﷺ (ل) (١٢٦) حتى أظهر الله - عز وجل -

ذلك كله .

وفي تفسير الحسن: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ : حتى يكون الحاكم على أهل الأديان كلها؛ فكان ذلك حتى ظهر على عبدة الأوثان، وحكم على اليهود والنصارى؛ فأخذ منهم الجزية، ومن المجوس .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْزِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُوَفُّونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخَمَّنُ عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهِمَا جَاهُتُهُمْ وَجُؤُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرًا من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يعني: ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكم، وعلى ما حرّفوا من كتاب الله - عز وجل .

﴿والذين يكتزون الذهب والفضة...﴾ إلى قوله: ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ يعني: من وجب عليه الإنفاق في سبيل الله .

قال يحيى: وسمعتهم يقولون: نسخت الزكاة كل صدقة كانت قبلها .

يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدى الزكاة، فقد أدى حق الله - عز وجل - في ماله، ومن ازداد فهو خير له»^(١) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩/٣ رقم ١٦) وأبو داود في المراسيل (ص ١٤١ رقم ١٣٠) والبيهقي في سننه (٨٤/٤) من طريقين عن الحسن به مرسلًا . قلت: ورواه سلام بن أبي خبزة - قال النسائي: متروك الحديث - عن سعيد بن أبي عروبة =

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُرُوا لَكُمْ سُوهُ أَعْمَلِكُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

قال الحسن: يعني: في كتاب الله الذي تنسخ منه كتب الأنبياء وفي جميع كتب الله ﴿منها أربعة حرم﴾ المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. ﴿ذلك الدين القيم﴾ يعني: أنه حرم على ألسنة أنبيائه هذه الأربعة الأشهر ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ تفسير قتادة: يقول: اعلموا أن الظلم فيهن أعظم خطيئة [وورزاً] ^(١) فيما سواهن.

﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ أي: جميعاً، وهذا حين أمر بقتالهم جميعاً. ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر...﴾ الآية، تفسير الكلبي: النسيء: هو المحرم كانوا يسمونه صفر الأول، وكان الذي يحله للناس جُنَادَة بن عوف

= عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ متصلاً.

رواه ابن عدي في الكامل (٣١٢/٤) وقال: لا أعلم يرويه عن سعيد غير سلام هذا. ثم ذكر لسلام عدة أحاديث، وقال في آخر ترجمته: ولسلام بن أبي خبزة غير ما ذكرت عن ثقات الناس أحاديث، وعامة ما يرويه ليس يُتابع عليه.

(١) طمس في الأصل. والمثبت من تفسير الطبري (١٢٧/١٠) وابن أبي حاتم (١٧٩٣/٦).

الكناني كان ينادي بالموسم: إن الصَّفر الأول حلالٌ، فيحله للناس، ويحرم صفر مكان المحرم؛ فإذا كان العام المقبل حرم المحرم، وأخلَّ صفر. ومعنى ﴿ليواطئوا﴾: ليوافقوا ﴿عُدَّة ما حرم الله﴾ كانوا يقولون: هذه أربعة بمنزلة أربعة.

قال محمد: النسيء في اللغة: التأخير^(١)؛ يقول: تأخيرهم المحرم سنة وتحريم غيره سنة؛ فإذا كان في السنة الأخرى رده إلى التحريم فَنَسَوْهُم ذلك زيادة في كفرهم؛ وهو معنى قول الكلبي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ وَالْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا بَعَذْنِكُمْ عَبْدًا أَلِيمًا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَالِثَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْكَافِرِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَانْزِلْ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ هي مثل قوله: ﴿أخلد إلى الأرض﴾^(٢) يعني: الرضا بالدنيا ﴿إلا

(١) يقال: نَسَأْتُ نَسَاءً وَمُنْسَأَةً لسان العرب (نسا).

(٢) الأعراف: ١٧٦.

تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ﴿١﴾ يقول: يهلككم بالعذاب، ويستبدل قوماً غيركم ﴿٢﴾ ولا تضروه شيئاً ﴿٣﴾ قال مجاهد: إن هذا حين أمروا بغزوة تبوك في الصيف حين طابت الثمار، واشتهوا الظل، وشق عليهم الخروج .

﴿إلا تنصروه﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿فقد نصره الله﴾ إذ أخرجه الذين كفروا ﴿من مكة﴾ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴿وذلك أن قريشاً اجتمعوا في دار الندوة، فتأمروا بالنبي، فاجتمع رأيهم على ما قال عدو الله أبو جهل؛ وقد فسرنا ذلك في سورة الأنفال فأوحى الله - عز وجل - إليه؛ فخرج هو وأبو بكر ليلاً؛ حتى انتهى إلى الغار، فطلبه المشركون فلم يجدوه فطلبوا، [. . .]^(١) وقد كان أبو بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار فنظر ما به؛ لئلا يكون فيه سبغ أو حية يقي رسول الله ﷺ بنفسه، ثم دخل رسول الله ﷺ الغار، وأخذت يمامة فوضعت على باب الغار فجعلوا يستمعان وقع حوافر دواب المشركين في طلبهما، فجعل أبو بكر يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: أخاف أن يظهر عليك المشركون فيقتلوك؛ فلا يُعبد الله - عز وجل - بعدك أبداً. فقال رسول الله ﷺ: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ وجعل أبو بكر يمسح (ل) (١٢٧) الدموع عن خده ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾.

قال الحسن: السكينة: الوقار .

قال محمد: وهي من السكون^(٢)؛ المعنى: أنه ألقى في قلبه ما سكن به،

(١) طمس في الأصل .

(٢) لسان العرب (سكن) .

وعلم أنهم غير واصلين إليه.

﴿وأيد بهجنود لم تروها﴾ يعني: الملائكة عند قتاله المشركين.

﴿انفروا خفافاً وثقلاً وَجْهَدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١) لو كَانَ عَرْضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السَّعَةُ وَسیَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ یَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ یَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢)

﴿انفروا خفافاً وثقلاً﴾ قال المعنى: شباباً وشيوخاً.

قال الكلبي: وذلك حين استنفر رسول الله ﷺ الناس إلى تبوك في حر شديد، وغسرة من الناس، فكره بعض الناس الخروج، وجعلوا يستأذنون في المقام من بين [...] (١) ومن ليست به علة؛ فيأذن لمن شاء أن يأذن، وتحلف كثير منهم بغير إذن؛ فأنزل الله - عز وجل - فقال: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ يعني: غنيمة قريبة ﴿وسفراً قاصداً﴾ أي: قريباً ﴿لاتبوعوك ولكن بعدت عليهم السعة﴾ يعني: السفر ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا﴾ يعني: لو وجدنا سعة في المال ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ أي: إنما اعتلوا بالكذب.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤٣) لَا يَسْتَفْذِكُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفِينِ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَفْذِكُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَازْتَابَتْ

قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَتَبِهِمْ يَرْتَدُّونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿عفا الله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ يعني: من له عُدْرٌ ﴿وتعلم الكاذبين﴾ أي: من لا عذر له. قال قتادة: لما نزلت هذه الآية: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ اشتدت عليهم، فأنزل الله - عز وجل - بعد ذلك في سورة النور: ﴿فإذا استذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾^(١) فنسخت الآية التي في براءة.

﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فيتخلفوا عنك، ولا عذر لهم ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ كراهيةً للجهاد ﴿وارتابت قلوبهم﴾ أي: شكت في الله - عز وجل - وفي دينه ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّةً﴾ يعني: المنافقين. ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ خروجهم؛ لما يعلم منهم أنهم عيون^(٢) للمشركين على المؤمنين؛ ولما يمشون بين المؤمنين بالنميمة والفساد ﴿ثبَّطَهُمْ﴾ أي: صرفهم ﴿لو خرجوا فيكم﴾ يقول للمؤمنين ﴿ما زادوكم إلا خبالًا ولا أضعوا خلالكم﴾ أي: مشوا بينكم بالنميمة.

قال محمد: الوضع في اللغة: سرعة السير؛ يقال: وضع البعير

(١) النور: ٢٦.

(٢) واحدهما: عَيْنٌ؛ والمراد: الجاسوس. لسان العرب (عين).

وأوضحته^(١).

﴿يُيغونكم الفتنة﴾ أي: ييغون أن تكونوا مشركين، وأن يظهر عليكم المشركون ﴿وفيكُم سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ قال الحسن: يعني: المنافقين أنهم عيون للمشركين عليكم يسمعون أخباركم، فيرسلون بها إلى المشركين.

﴿لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٤٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٤٩)

﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿من قبل﴾ أي: من قبل أن تهاجروا ﴿وقلّبوا لك الأمور﴾ هو كقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾^(٢) وقد مضى تفسيره ﴿حتى جاء الحق﴾ القرآن ﴿وظهر أمر الله﴾ الإسلام ﴿وهم كارهون﴾ لظهوره.

﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ يا محمد أقم في أهلي ﴿ولا تفتني﴾ تفسير مجاهد: قال: قال رسول الله ﷺ: «اغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر نساء الروم. فقال المنافقون: ائذن لنا ولا تفتننا بالنساء»^(٣) قال الله سبحانه: ﴿أَلَا

(١) يقال: وَضَعَ بَضْعًا وَضَعًا وموضوعًا بمعنى أَوْضَعَ؛ أي: أسَّرع في الشَّيْر. لسان العرب (وضع).

(٢) الأنفال: ٣٠.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٤٨/١٠) عن مجاهد.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٨/٣) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٦٣ رقم ١١٠٥٢) من طريق جبارة بن المغلس عن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس. وقال الهيثمي في المجمع (٣٠/٧): رواه الطبراني، وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان، وهو ضعيف.

في الفتنة﴾ يعني: الهلة؛ وهو الشرك ﴿سقطوا﴾ أي: وقعوا.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسْوِهِمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَسْتَزِيلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ هَلْ تَرَوْصُونَ بَنَاءَ إِلَّا إِمَادَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فِتْرَتَانِ فَنَرَبِّصُ بِكُمْ مَتَرَبِّصُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَتْسِقِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ يعني: النصر ﴿تسؤهم﴾ تلك الحسنة.

﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ أي: نكبة من المشركين ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ أي: أخذنا الوثيقة في مخالفة محمد، والجلوس عنه ﴿وبتلوا﴾ إلى منازلهم ﴿وهم فرحون﴾ بالذي دخل على النبي ﷺ والمؤمنين من النكبة. قال الله - عز وجل - لنبيه محمد: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ ولينا.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ تنتظرون بنا؛ يعني: المنافقين ﴿إِلَّا إِمَادَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ أن تظهر على المشركين فتقتلهم ونغنهم، أو نُقْتَلَ (١٢٨) فندخل الجنة ﴿ونحن نترصد بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ يهلكهم به ﴿أو بأيدينا﴾ أي: نستخرج ما في قلوبكم من النفاق؛ حتى تظهروا الشرك فنقتلكم.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يعني: مما يفرض عليكم من النفقة في الجهاد

﴿لَنْ يَتَقَبَّلَ (١) مِنْكُمْ﴾ .

قال محمد: قوله: ﴿قُلْ أَنْفَقُوا﴾ قال بعض النحويين فيه: هذا لَفْظُ أمر، ومعناه معنى الشرط والخبر (٢)؛ أي: يقول: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين، لن يتقبل منكم.

قال: ومثل هذا المعنى من الشعر قول كثير:

أَسِيْنِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (٣)

فلم يأمرها بالإساءة، لكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها.

قوله: ﴿وَمَا مِنْهُمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وأظهروا الإيمان ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ للإِنفاق في سبيل الله .

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَزَحَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَخَلِفُوا بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمَنْكُورٍ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلَجَاتٍ أَوْ مَعَارِبٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَيْنَا وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَقْطَوْا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رِضْوَانًا مَا مَاتَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا

(١) في الأصل (تقبل) وهو تحريف عن الصواب؛ إذ ليست (تقبل) بقراءة.

(٢) ينظر: البحر (٥٢/٥)، الدر المصون (٤٧٣/٣).

(٣) البيت لكثير عزة؛ وهو من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (١٠١)، أمالي ابن الشجري (١/

٤٩)، اللسان (حسن).

﴿اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٥٩)

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ تفسير الحسن: يعني: أنهم ينفقون أموالهم، ويشخصون أبدانهم يقاتلون أولياءهم المشركين مع أعدائهم المؤمنين؛ لأنهم يخفون لهم العداوة؛ فهو تعذيب لهم في الحياة الدنيا ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي: تذهب.

﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ فيما أظهروا من الإيمان ﴿وما هم منكم﴾ فيما يسرون من الكفر ﴿ولكنهم قومٌ يفرقون﴾ على دمائهم إن أظهروا الشرك. ﴿لو يجدون ملجأً﴾ يعني: حصناً يلجئون إليه ﴿أو مغاراتٍ﴾ يعني: غيراً^(١) ﴿أو مدخلاً﴾ أي: سرباً ﴿لولوا إليه﴾ مفارقة للنبي ولدينه ﴿وهم يجمعون﴾ أي: يسرعون.

﴿ومنهم من يلزمك في الصدقات﴾ أي: يعيبك، ويطنعُ عليك ﴿فإن أعطوا منها رضوا...﴾ الآية، قال قتادة: «إن رجلاً حديث عهد بأعرابية أتى النبي ﷺ وهو يقسم ذهباً وفضة، فقال: يا محمد، إن كان الله - عز وجل - قد أمرك أن تعدل، فما عدلت منذ اليوم. فقال رسول الله ﷺ: ويلك فمن يعدل عليك بعدي؟! ثم قال: اخذروا هذا وأشباهه؛ فإن في أمتي أشباه هذا؛ قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم»^(٢).

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْمَقْرَأِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ

(١) واحدها: غار: وهو كل منخفض من الأرض، ومثل البيت المنثور في الجبل. لسان العرب (غور).

(٢) رواه البخاري (٦/٧١٤ - ٧١٥ رقم ٣٦١٠) ومسلم (٢/١٧٠ - ١٧١ رقم ١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.

ورواه مسلم (٢/١٦٩ - ١٧٠ رقم ١٠٦٣) عن جابر بن عبد الله.

وَالْفَرِيدِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٦٥﴾

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أي: أعطاهم من فضله.

يعني: من فضل الله ﴿وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله...﴾ الآية. وهي تقرأ أيضاً: (ورسوله) بالنصب^(١)؛ أي: يؤتي رسوله. وفيها إضمار؛ أي: لكان خيراً لهم مما أظهروا من النفاق.

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قال الحسن: الفقير: القاعد في بيته لا يسأل وهو محتاج، والمساكين الذي يسأل ﴿والعاملين عليها﴾ يعني: على الصدقات الذين يَسْعَوْنَ في جمعها؛ جعل الله - عز وجل - لهم فيها سَهْماً ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ ناسٌ كان النبي ﷺ يُعْطِيهِمْ يَتَأَلَّفُهُمْ بذلك لكي يسلموا، جعل الله - عز وجل - لهم سَهْماً؛ منهم: أبو سفيان بن حرب، وعُثَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ﴿وفي الرقاب﴾ يعني: كل عبدٍ ﴿والغارمين﴾ من كان عليه دَيْنٌ أو غُرْمٌ من غير فسادٍ ﴿وفي سبيل الله﴾ يُحْمَلُ من ليس له [. . .]^(٢) يُعْطَى منها ﴿وابن السبيل﴾ المسافر إذا قُطِعَ به^(٣)؛ جعل الله لهؤلاء فيها سَهْماً.

قال عليّ وابن عباس: إنما هو عَلَمٌ جعله الله - عز وجل - ففي أي صنف منهم جعلتها أجزأك.

(١) أي: بالنصب على المفعولية، ولم أجد هذه القراءة. أما قراءة العامة فهي على الرفع (ورسوله) عطفاً على لفظ الجلالة (الله).

(٢) طمس في الأصل.

(٣) وهو ملازم للبناء للمجهول، والمراد: عجز عن سفره لأني سبب كان، وإذا انقطع رجاءه، أو انقطع به الطريق، أو حيل بينه وبين ما يأمله. المعجم الوسيط (قطع).

﴿فريضة من الله﴾ وذلك في جميع الزكاة ﴿والله عليكم حكيم﴾ عليكم بخلقه، حكيم في أمره.

قال محمد: ﴿فريضة﴾ بالنصب على التوكيد^(١)، المعنى: فرض الله الصدقات لهؤلاء فريضة.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١٢٩) ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ يعني: المنافقين. قال الحسن:

كانوا يقولون: هذا الرجل أذن، من شاء صرفه حيث شاء ليست له عزيمة،

فقال الله - عز وجل - لنبيه: ﴿قل أذن خير لكم يؤمن بالله﴾ وهي تقرأ (أذن

خير لكم)^(٢) أي: هذا الذي ترعمون أنه أذن خير لكم.

قال محمد: المعنى على هذه القراءة: قل من يستمع منكم ويكون قابلاً

للعذر خير لكم ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ يصدق الله، ويصدق

المؤمنين.

﴿ورحمة^(٣) للذين آمنوا منكم﴾ رحمهم الله به، فأنقذهم من الجاهلية

وظلمتها.

(١) أي: مفعول مطلق مؤكد للفعل. وقيل: انتصب على الحال من (فريضة) ينظر: الدر المصون (٤٧٦/٣).

(٢) قرأ الجمهور ﴿أذن خير﴾، على جر ﴿خير﴾ بالإضافة، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم ﴿أذن﴾ بالتنوين، و﴿خير﴾ بالتنوين أيضاً. ينظر: السبعة (٣١٥)، الحجة (١٧٦)، إتحاف الفضلاء (٢٤٣)، الدر المصون (٤٧٧/٣).

(٣) هكذا في الأصل بالنصب، وهي قراءة ابن أبي غبلة، وقرأ الجمهور ﴿ورحمة﴾ بالرفع، وقرأ حمزة والأعمش ﴿ورحمة﴾ بالجر. ينظر: الكشاف (١٩٩/٢)، البحر المحيط (٦٣/٥) الدر المصون (٤٧٧/٣).

﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٦) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُمْ فَتَنٌ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾

﴿يخلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ بالكذب ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ بالصدق من قلوبهم ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله﴾ أي: من يعاد الله ورسوله.

﴿فإن^(١) له نار جهنم﴾ .

قال محمد: قوله: ﴿من يحادد الله ورسوله﴾ معناه: من يكون في حد، والله ورسوله في حد؛ أي: جانب. وتقرأ (فَأَنْتَ لَهُ) بالفتح والكسر فمن كسر فعلى الاستئناف؛ كما تقول: فإن له نار جهنم، ودخلت (إِنَّ) مؤكدة. ومن قرأ بالفتح (فَأَنْتَ لَهُ)، فإنما أعاد (أَنْ) الأولى توكيداً؛ لأنه لما طال الكلام كان إعادتها أوكد^(٢).

﴿يَحْذَرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (١٨) وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٩﴾ لَا تَقْنَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَقَ عَنْ مَلَائِقَةٍ مِنْكُمْ نَعْدَبَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ كَانُوا يُجْرِبُونَ ﴿٢٠﴾

(١) هكذا في الأصل (فإن) بالكسر - وهي قراءة أبي عمرو. والجمهور على (فأن) بالفتح ينظر: معاني القرآن للأخفش (٣٣٤/٢) البحر المحيط (٦٥/٥)، الإملاء للعكبري (٩/٢) الدر المصون (٤٨٠/٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٦٥/٥)، الدر المصون (٤٧٩/٣).

وَالْمُنَافِقُتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ

أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾

﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ من النفاق؛ أي: تبين؛ ففعل الله - عز وجل - ذلك بهم، فأخرج أضغانهم؛ وهو ما كانوا يكونون في صدورهم.

قال قتادة: وكانت هذه السورة «براءة» تسمى: فاضحة المنافقين؛ لأنها أنبأت بمقاتلتهم وأعمالهم.

﴿قل استهزئوا﴾ بمحمد وأصحابه؛ وهذا وعيدٌ مثل قوله عز وجل: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^(١).

﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾ ففعل ذلك بهم، فأخرج أضغانهم؛ وهو ما كانوا يكونون في صدورهم.

﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب...﴾ إلى قوله: ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ قال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك بينما هو يسير إذا هو برَهْطٍ^(٢) أربعة يسرون بين يديه؛ وهم يضحكون، فنزل جبريل على النبي ﷺ فأخبره أنهم يستهزئون بالله - تعالى ذكره - ورسوله وكتابه. فبعث رسول الله ﷺ عمار بن ياسر، فقال: أدركهم قبل أن يحترقوا، واسألهم: مم يضحكون؟ فإنهم سيقولون مما يخوض فيه الركب إذا ساروا. فلحقهم عمار،

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، وليس له واحد من لفظه، ويجمع على: أرهط وأزهاط وأراهط وأراهط. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (رهط).

فقال: مِمَّ تضحكون؟ وما تقولون؟ فقالوا: مما يخوض فيه الركب إذا ساروا. فقال عمار (عرفناه) ^(١) الله - عز وجل - وبلغ الرسول احترقتم لعنكم الله وكان يسايرهم رجل لم ينهمم، وجاءوا إلى النبي ﷺ يعتذرون؛ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بعد إقراركم ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِبُ طَائِفَةٍ﴾ فيرجى أن يكون العفو من الله - عز وجل - لمن لم يمالئهم، ولم ينهمم.

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أي: بعضهم أولياء بعض ﴿يأمرون بالمنكر﴾ بالكفر بالله سبحانه ﴿وينهون عن المعروف﴾ عن الإيمان بالله ﴿ويقبضون أيديهم﴾ يعني: لا ييسطونها بالنفقة في الحق.

﴿نسوا الله﴾ أي: تركوا ذكره بالإخلاص من قلوبهم ﴿فسيهم﴾ فتركهم أن يذكرهم بما يذكر به المؤمنين من الخير ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يعني: به فسق الشرك.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٧٨ ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ آثَمُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٧٩ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤَفَّفَاتِ النَّهْمِ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٨٠

(١) مشتبهة في الأصل.

﴿وعد الله المنافقين والمنافقات...﴾ إلى قوله: ﴿هي حسبهم﴾ قال محمد: يقال: حسب فلان ما نزل به؛ أي: ذلك على قدر فعله.

﴿كالذين من قبلكم﴾ يعني: من الكفار ﴿كانوا أشد منكم قوة﴾ قال محمد: المعنى: وعدكم الله على الكفر (لـ ١٣٠) كما وعد الذين من قبلكم ﴿فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلافكم﴾ كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم.

تفسير الكلبي: يقول: فاستمتعتم في الدنيا بنصيبيكم من الآخرة، كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبيهم من الآخرة ﴿وخضتم﴾ في الكفر والتكذيب ﴿كالذي خاضوا﴾.

﴿ألم يأتهم نبا الذين من قبلهم...﴾ إلى قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ يقول: بلى قد أتاهم خبرهم فيما أنزل الله - عز وجل - في كتابه ﴿والمؤتفكات﴾ يعني: المنقلبات؛ وهي (قريات)^(١) قوم لوط الثلاث؛ رفعها جبريل بجناحه ثم قلبها ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بإهلاكه إياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بجحودهم وشركهم؛ يحذر هؤلاء ما فعل بمن قبلهم.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَرْضَوْنَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ

(١) هكذا في الأصل. والمراد: قرى قوم لوط؛ حيث تجمع القرية على: (قرى) والقياس:

(قراء)، كظنية وظباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (قرو).

﴿الْقَوْرُ الْمَظِيَّةُ﴾ (٧٦)

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قال الحسن: (عدن) اسم من أسماء الجنة.

قال محمد: العدن في اللغة: الإقامة؛ يقال: عدنت بموضع كذا؛ أي: أقمت به^(١).

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مما هم فيه من مُلْكِ الجنة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُذْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَرَأَوْا مَا فِيهَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. قَالُوا: رَبَّنَا لَا شَيْءَ أَفْضَلَ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: بَلَى أَحُلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي»^(٢).

قال الحسن: يصل إلى قلوبهم من رضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألدُّ عندهم وأقرُّ لأعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا ۖ يَكْفُرُ الْكَافِرُ وَالْمُتَنَفِّقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَنُهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ (٧٧) يَلْفُوتُ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَكْذِبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٧٨)

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عدن).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران، عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ الآية: ١٥.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ تفسير الحسن:
جاهد المنافقين بالسيف، وَاغْلُظْ عَلَى الْمُنَافِقِينَ بِالْحُدُودِ.

قال الحسن: كان أكثر من يصيبُ الحدود يومئذِ المنافقون.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ قال الحسن: لقي رجلٌ من المنافقين رجلاً من المسلمين؛ فقال: إن كان ما يقول محمدٌ حقاً، فنحن شرٌّ من الحمرا! فقال المسلم: أنا أشهد أنه لحق، وأنت شرٌّ من حمار. ثم أخبر بذلك النبي ﷺ فأرسل النبي إلى المنافق: أقلت كذا؟ فحلف بالله ما قاله، وحلف المسلم لقد قاله؛ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾^(١) بعد إقرارهم ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ قال مجاهد: همَّ المنافق بقتل المؤمن؛ حيث قال للمنافق: فو الله إن ما يقول محمدٌ كله حق، ولأنت شرٌّ من حمار.

﴿وما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول: لم ينقموا من الذي جاء به رسول الله ﷺ شيئاً، إلا أنهم أصابوا الغنى في الدنيا، ولو تمسكوا به لأصابوا الجنة في الآخرة.

قال محمد: المعنى: أي: ليس ينقمون شيئاً، ولا يتعرفون (حق الله - عز وجل - إلا الصنع)^(٢)، وهذا مما ليس ينقم.

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ أي: يرجعوا عن نفاقهم ﴿يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتُولُوا﴾ عن التوبة، ويظهروا الشرك ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا...﴾ الآية.

﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لِمِثِّ مَا كُنَّا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ

(١) انظر الدر المنثور (٣/ ٢٧٩ - ٢٨٢).

(٢) هكذا في الأصل.

﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ءَاتَتْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعَقَبَهُمُ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبُ ﴿٧٨﴾

﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله﴾ فأوسع علينا من الرزق ﴿لنصدقن﴾ يعني: الصدقة ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ من يطيع الله - عز وجل - ورسوله ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾ منعوا حق الله - عز وجل - ﴿وتولوا﴾ عن الصلاح ﴿وهم معرضون﴾ عن أمر الله ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم﴾ لا يتوبون منه ﴿إلى يوم يلقونه﴾.

﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾ ما يتناجون به من النفاق [١]... إذ ذاك بما أنزل الله - عز وجل - في كتابه، وقامت به الحجة عليهم.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

(ل ١٣١) ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ قال قتادة: «ذكر لنا أن عبد الرحمن بن عوف جاء بنصف ماله إلى رسول الله ﷺ أحسبه قال: يا رسول الله، هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي،

فدعا الله أن يبارك له فيما أعطى وفيما أمسك، فلمزه^(١) المنافقون، قالوا: ما أعطى هذا إلا سُمعةً ورياءً، وأقبل رجلٌ من فقراء المسلمين من الأنصار يقال له: أبو عقيل؛ فقال: يا رسول الله، بثّ الليلة أجر الجريز^(٢) على صاعين^(٣) من تمرٍ؛ فأما صاعٌ فأمسكه لأهلي، وأما صاعٌ فهذا هو، فقال له نبي الله ﷺ خيراً، فقال المنافقون: والله إن كان الله ورسوله لغنيّين عن صاع أبي عقيل، فأنزل الله - سبحانه - هذه الآية إلى قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾^(٤).

قال قتادة: «لما نزل في هذه الآية استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» قال رسول الله: «قد خيّرني ربي، فو الله لأزيدنهم على السبعين. فأنزل الله - عز وجل - في سورة المنافقين: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم...﴾^(٥) الآية^(٦).

قال محمدٌ: وقوله عز وجل: ﴿والَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ يعني: طاقتهم؛ الجُهدُ: الطاقة، والجُهد - بفتح الجيم - : المشقة؛ يقال: فعلت ذلك بجُهدٍ؛ أي: بمشقة^(٧). وقوله - عز وجل - : ﴿سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم جزاء السخريّة .

(١) اللمز: العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (لمز).

(٢) الجريز: الحبل. وأراد أنه كان يستقي الماء بالحبل. لسان العرب (جرر).

(٣) الصاع: ما يكال به، وهو أربعة أمداد. والجمع: أصوع وأصع. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (صوع).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٣/٢ - ٢٨٤) وابن جرير (١٠/١٩٥).

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٤/٣): لابن عساكر أيضاً.

ورواه البخاري (٣٣٢/٣) رقم ١٤١٥ ومسلم (٧٠٦/٢) رقم ١٠١٨ عن ابن مسعود بنحوه.

(٥) المنافقون: ٦ .

(٦) رواه ابن جرير (٢٠٠/١٠)، وانظر: الدر المنثور (٢٨٦/٣).

(٧) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (جهد).

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنَوْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيسَةٌ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَضَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ قال محمد: قيل: المعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ.

﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ قال قتادة: خرج المؤمنون يومئذ إلى تبوك في لهبان الحر^(١)؛ قال الله - عز وجل - للنبي ﷺ: ﴿قل نار جهنم أشد حرا﴾ من نار الدنيا ﴿لو كانوا يفقهون﴾ قال الحسن: يقول: لو كانوا يفقهون لعلموا أن نار جهنم أشد حرا من نار الدنيا.

يحيى: عن النضر بن معبد، عن أبي قلابة قال: «بينما رسول الله ﷺ في مسير له في يوم شديد الحر إذ نزل منزلا، فجعل الرجل منهم يتعلل ثوبه من شدة حر الأرض؛ فقال رسول الله ﷺ: ألا أراكم تجزعون من حر الشمس وبينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام! فوالذي نفسي بيده لو أن بابا من أبواب جهنم فُتِحَ بالشرق، ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من منخره»^(٢).

(١) لهبان الحر: اتقاده وشدته، وكذا اللهب والهباب. لسان العرب، القاموس المحيط (لهب).

(٢) لم أفق عليه الآن بهذا اللفظ، والله أعلم.

﴿فليضحكوا قليلاً﴾ قال قتادة: يعني: في الدنيا ﴿وليبكوا كثيراً﴾ يعني: في النار.

يحيى: عن أبي أمية، عن قتادة؛ أن أبا موسى الأشعري قال: «إنه يسلم على أهل النار البكاء؛ فلو تُرْسِلُ السُّفْنُ في [. . .]^(١) أعينهم لجرت»^(٢).

﴿فإن رجعت الله إلى طائفة منهم . . .﴾ يقوله للنبي، إلى قوله: ﴿فافقدوا مع الخالفين﴾ قال الكلبي: يعني: الأشرار.

قال محمد: واحد الخالفين: خالف؛ يقال للذي هو غير نجيب: فلان خالف أهله، وخالفه أهله^(٣).

﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنه مات منافق فكفنه نبي الله في قميصه وصلى عليه ودلاه في قبره؛ فأنزل الله - عز وجل -

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١١٠/٤) وأبو نعيم في الحلية (٢٦١/١)، ١٠٣/٣.

وغيرهما من طريق قسامة بن زهير عن أبي موسى بنحوه مطولاً.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٧/٣) لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد.

ورواه الحاكم (٦٠٥/٤) من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل عن سلام بن مسكين قال:

حدث أبو بردة عن عبد الله بن قيس به مرفوعاً.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وروى ابن ماجه (٤٤٦/٢) رقم ٤٣٢٤ وابن المبارك في مسنده (٧٥) رقم ١٢٥ وأبو يعلى

(١٦١/٧ - ١٦٢) رقم ٤١٣٤ والعقيلي في الضعفاء (٣٠٧/٣) وابن عدي في الكامل (٥/

٤٠٣) والمحاملي في أماليه (٦) رقم ٩ والبخاري في تفسيره (٨٠/٤) وفي شرح السنة (١٥/

٢٥٢ - ٢٥٣) رقم ٤٤١٨ من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك نحوه مرفوعاً.

قال العقيلي: هذا يروى بغير هذا الإسناد بإسناد أيضاً لين.

وقال الحافظ العراقي: رواه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، والرقاشي ضعيف.

تخريج الإحياء (٦/٢٥٧٠) رقم ٤١٨٤.

(٣) لسان العرب القاموس المحيط (خلف).

هذه الآية فيه .

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أَذِلُّوا الطُّوُلَ مِنْهُمْ
وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَائِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَيْكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأَوْلِيَّائِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿استأذنتك أولو الطول منهم﴾ أي: ذوو^(١) الغنى في التخلف عن الجهاد
﴿وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ يعني:
النساء؛ في تفسير العامة .

قال محمد: المعنى على هذا التفسير: رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن
الجهاد كالنساء، وقد قيل: إن الخوالف جمعُ خالفة^(٢) .

﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ قال الحسن: يعني: النساء الحسان؛ مثل قوله:
﴿فيهن خيرات حسان﴾^(٣) .

قال محمد: وقد قيل: الخيرات: الفواضل من كل شيء؛ وواحدها:
خَيْرَةٌ^(٤) .

(١) في الأصل: (ذو). والمثبت هو الصواب .

(٢) لسان العرب القاموس المحيط (خلف).

(٣) الرحمن: ٧٠ .

(٤) قال الأخفش تعليقاً على الآية ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال: لما وُصِفَ به فقيل: فلان خير
أشبه الصفات، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ولم يريدوا به أفعل - أي: أفعل التفضيل .
ينظر: لسان العرب ، مختار الصحاح (خلف).

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ٩٢﴾ (١٣٢ل)
﴿وجاء المعذرون﴾ يعني: المعتذرين ﴿من الأعراب ليؤذن لهم﴾ يعني: في القعود.

قال محمد: يقال: فلان معذّر؛ أي: معتذر^(١)، وأدغمت التاء في الذال؛ لقرب مخرجيهما^(٢). ومن كلامهم أيضاً: عذرت الأمر إذ قصرت، وأعذرت إذا جددت^(٣).

﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ فيما أكثروا من النفاق؛ كان هذا في غزوة تبوك.

﴿ليس على الضعفاء﴾ قال السدي: يعني: العجزة الذين لا قوة لهم ﴿ولا على المرضى﴾ يعني: من كان به مرض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ إنهم في التخلف عن الغزو ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ إذا كان لهم عذر.

(١) في «الأصل»: فمعتذر. والمثبت هو الصواب.

(٢) وتُثقلت حركة التاء (الفتحة) إلى العين.

(٣) والمعذر قد يكون محققاً؛ وهو الذي له عُذر، وقد يكون غير محقق؛ وهو المقصّر يعتذر بغير عذر. لسان العرب مختار الصحاح، القاموس المحيط (عذر).

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَنْذِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا وَإِنِ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَسْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنُؤْثِمَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَعْيُنِنَا رِسْرِسَاتٍ لَكُمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ تَرَدُّوتٍ إِلَىٰ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَدَّعَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنُتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَلَىٰ آلِهِمْ عَنِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ثم تردون إلى عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾ العلانية.
 ﴿سبحلّفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ من غزاتكم ﴿لتعرضوا عنهم﴾
 فأعرضوا عنهم ﴿ألا تقتلوهما ما أظهروا الإيمان، واعتذروا﴾.
 ﴿يحلفون لكم﴾ بالكذب ﴿لتعرضوا عنهم﴾ فيما أظهروا من الإيمان
 والاعتذار ﴿فإن تعرضوا عنهم﴾ لما يظهرون من الإيمان ﴿فإن الله لا يرضى
 عن القوم الفاسقين﴾ يعنيهم لما بطن منهم من النفاق.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَنَ الْأَعْرَابُ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ
 عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَنَ الْأَعْرَابُ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ
 سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنِ اللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً﴾ يعني: أن منافقي الأعراب أشد من منافقي أهل المدينة في نفاقهم وكفرهم ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ قال قتادة: يقول: هم أقل علماً بالسُنن.

﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق﴾ في الجهاد ﴿مغرماً﴾ يعني: المنافقين؛ لأنهم ليست لهم نيّة.

قال محمد: قوله ﴿مغرماً﴾ يعني: غُرماً وخسراناً ^(١).

﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ يعني: أن يهلك محمد والمؤمنون، فيرجع إلى دين مشركي العرب.

﴿عليهم دائرة السوء﴾ يعني: عاقبة السوء.

﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله﴾ أي: يتقرب به إلى الله - عز وجل - ﴿وصلوات الرسول﴾ أي: ويتخذ صلوات الرسول أيضاً قربة إلى الله. وصلوات الرسول: استغفاره ودعاؤه.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١٠﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا يَعْلَمُونَ خَنْ تَعْلَمُهُمْ سَعَدَ لَهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّوكَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ١١١﴾
 ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ قال قتادة: من كان صلى مع رسول الله ﷺ قبلتين ^(٢) فهو من السابقين الأولين ﴿وممن حولكم من

(١) والمغرّم والغُرْم والغرامة بمعنى واحد. لسان العرب (غرم).

(٢) أي: إلى القبلتين.

الأعراب﴾ يعني: حول المدينة ﴿منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾ أي: اجترءوا عليه ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ قد أعلمهم الله رسوله بعد ذلك، وأسّرهم النبي ﷺ إلى حذيفة بن اليمان.

﴿سنعذبهم مرتين﴾ أما إحداهما: فبالزكاة أن تؤخذ منهم كُزَّها، وأما الأخرى: فبعذاب القبر ﴿ثم يُردون إلى عذاب عظيم﴾ أي: جهنم.

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦١﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرَدُونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالتَّهْلِيلَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَأَخْرَجَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَأَخْرُونَ اعترفوا بذنوبهم...﴾ الآية، تفسير الحسن: هم نفر من المؤمنين كان عرض في همهم شيء، ولم يعزموا على ذلك، ثم تابوا. من بعد ذلك، وأتوا رسول الله ﷺ فاعترفوا بذنوبهم.

﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ وعسى من الله - جل وعز - واجبة.

﴿خذ من أموالهم﴾ أي: اقبل ﴿صدقة تطهرهم﴾ من الذنوب ﴿وتزكهم بها﴾ وليست بصدقة الفريضة، ولكنها كفارة لهم ﴿وصل عليهم﴾ أي: استغفر لهم ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ يعني: طمأنينة لقلوبهم؛ بقوله الله - عز وجل - للنبي ﷺ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يقبلها.

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: بما يطلعهم عليه.

يحيى: عن الصلت بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن عثمان بن عفان قال: «لو أن رجلاً عمل في جوف سبعين بيتاً لكساه الله - عز وجل - رداء عمله خيراً أو شراً»^(١).

﴿وآخَرُونَ مُّرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ﴾ هم الثلاثة الذين في آخر السورة الذين خُلفوا، ثم تاب الله عليهم في الآية التي في آخر السورة.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَّكًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا تَقْعُ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُتِيَ عَلَى النَّفْقَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْسِنُونَ أَنْ يَنْظُرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطْهَرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أَتَسْكَبُ بِئْسَ كُفْرًا﴾

(١) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (٧٣) من طريق معبد الجهنني عن عثمان بنحوه. ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٢/٨) من طريق أبي قلابة عن عثمان بنحوه.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٢/٨) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عثمان. ورواه أبو داود في الزهد (١١٢ رقم ١٠٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن عثمان.

ورواه الطبري في تفسيره (١٣٣/١٦) من طريق قتادة عن عثمان.

ورواه أبو داود في الزهد (١١١ رقم ١٠٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٩/٥ رقم ٦٩٤١) من طريق آخر عن عثمان.

وقال البيهقي: هذا هو الصحيح موقوفاً على عثمان، وقد رفعه بعض الضعفاء.

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنَ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَقَا جُرُئٍ هَارٍ فَاتَّخَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٩﴾ لَا يَزَالُ بُعِثُهُمُ الْاِلٰهِي بَنُو رَبِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ اِلَّا اَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٠﴾

(ل١٣٣) ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراباً...﴾ إلى قوله: ﴿والله عليهم حكيم﴾ تفسير الحسن «أن رسول الله ﷺ كان حين غزوة تبوك نزل بين ظهري الأنصار وبنى مسجد قباء - وهو الذي أسس على التقوى - وكان المنافقون من الأنصار بنّوا مسجداً؛ فقالوا: نميل به فإن أئانا محمدٌ فيه وإلا لم [...]^(١) ونخلوا فيه لحوائجنا ونبعث إلى أبي عامر الراهب - لمحارب من محاربي الأنصار كان يقال له: أبو عامر الراهب ، وكان رسول الله ﷺ أَسْرَهُ - فيأتينا؛ فنستشيره في أمورنا، فلما بنّوا المسجد؛ وهو الذي قال الله - عز وجل - : ﴿الذين اتخذوا مسجداً ضراباً وكفراً وتفرقاً بين المؤمنين﴾ أي: بين جماعة المؤمنين ﴿وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعني: أبا عامر، فجعل رسول الله ﷺ ينتظر الوحي لا يأتينهم ولا يأتونه، فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليأتينهم؛ فإنه ليزرّه عليه إذ أتاه جبريل، فقال: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ يعني: ذلك المسجد. ﴿لمسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم﴾ يعني: مسجد قُباة ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ .

قال محمدٌ: قوله ﴿وإرساداً لمن حارب الله ورسوله﴾ أي: انتظاراً؛ يقال: أَرَصَدْتُ له بالشر، ورَصَدْتُهُ بالمعافاة. وقد قيل: أَرَصَدْتُ له بالخير والشر جميعاً^(٢).

(١) طمس بالأصل.

(٢) لسان العرب ، القاموس المحيط (رصد).

﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾.

يحيى: عن همام، عن قتادة، عن شهر بن حوشب قال: «لما نزلت: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ قال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار، إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور؛ فكيف تطهروكم بالماء؟ قالوا: نغسل أثر الخلاء بالماء»^(١) من حديث يحيى بن محمد.

قال يحيى: وبلغنا أن رسول الله ﷺ دعا المنافقين الذين بنوا ذلك المسجد، فقال: ما حملكم على بناء هذا المسجد؟ فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحُسنى، «والله يشهد إنهم لكاذبون».

﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ يعني: حَزَفْ جُرْف.

﴿فأنهار به في نار جهنم﴾ أي: أن الذي أُسِّسَ بنيانه على تقوى من الله

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق همام به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٨/١) والطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق معمر عن قتادة معضلاً، لم يذكر شهر بن حوشب فيه.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق سعيد عن قتادة كذلك.

ورواه عبيد الله بن تمام عن داود بن أبي هند عن شهر عن أبي هريرة.

رواه الدارقطني في الأفراد، أطراف الغرائب (٣/٢٠٤ رقم ٥١٦٤) وقال الدارقطني: تفرد به عبيد الله بن تمام عن داود بن أبي هند عنه. اهـ.

وقال في العلل (٨/٣٣٤ رقم ١٦٠٤): يرويه داود بن أبي هند، واختلف عنه: فرواه عبيد الله بن تمام عن داود عن شهر عن أبي هريرة. وغيره يرويه عن شهر مراسلاً.

قال سيار أبو الحكم عن شهر عن محمد بن عبد الله بن سلام، واختلف عنه: فقال فيه سلمة بن رجاء: عن مالك بن مغول عن سيار عن شهر عن محمد بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن النبي ﷺ وأرسله غيره. اهـ.

وللحديث طرق عن غير واحد من الصحابة والتابعين، انظر تفسير الطبري (٢٩/١١ - ٣١) الدر المنثور (٣/٣٠١ - ٣٠٢).

ورضوان خير من الآخر، قال قتادة: ما تناهى أن وقع في النار، وذكر لنا أنهم حفروا فيه بقعةً فرثى منها الدخان.

قال محمد: قوله: ﴿على شفا جُرْفٍ﴾ يعني: حرف جُرْفٍ، والجُرْفُ: ما تجرف بالسيول من الأودية^(١)؛ يقال: جُرْفٌ هارٍ وهائرٌ؛ إذا كان متصدعاً؛ فإذا سقط قيل: انهيار ونهور^(٢).

﴿وعذاً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ يقول: هذا حُكْمُ اللَّهِ - عز وجل - في هذا، في التوراة والإنجيل والقرآن.

قال محمد: ﴿وعذاً عليه حقاً﴾ بالنصب على معنى: فإن لهم الجنة، وعدهم إياها وغذاً عليه حقاً^(٣).

﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ أي: شكاً. ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ تفسير مجاهد: يقول: إلا أن يموتوا.

قال يحيى: أخبر أنهم يموتون على النفاق.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَداً عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ النَّبِيُّونَ الْمَكِيدُونَ الْمُخِيدُونَ السَّخِرُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الَّذِينَ يَلْمَعُونَ فِي الظُّلُمَاتِ وَالْكَاهِنُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُحْفَظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

(١) ويقال: الجرف - بضم الراء وسكونها. لسان العرب (جرف).

(٢) ويقال فيه أيضاً: هور. لسان العرب (هور).

(٣) أي: منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة. ينظر الدر المصون (٥٠٦/٣).

﴿التائبون﴾ تابوا من الشرك ﴿العابدون﴾ عبدوا الله مخلصين له
 ﴿الحامدون﴾ يحمدون الله على كل حال.
 ﴿السائحون﴾ هم الصائمون.

قال محمد: السائح أصله: الذاهب في الأرض^(١)، ومن ساء امتنع من
 الشهوات، فشبه الصائم به؛ لإمساكه عن الطعام والشراب والنكاح.
 ﴿الراكون الساجدون﴾ يقول: هم أهل الصلاة.

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ
 بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
 إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ
 حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ
 إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١١٦)

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ تفسير قتادة: قال:
 كان أنزل في سورة بني إسرائيل ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾^(٢)
 ثم أنزل في هذه الآية: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا...﴾ الآية، فلا ينبغي
 للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين، ولا أن يقول: رب ارحمهما
 (ل) (١٣٤) وقوله عز وجل: ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ أي:

(١) يقال: ساء في الأرض يسبح سباحاً وسبحاً وسباحةً وسبحاناً؛ أي: ذهب. لسان العرب
 (سبح).

(٢) الإسراء: ٢٤.

ماتوا على الكفر ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه...﴾ الآية.

قال قتادة: دُكِرَ لنا «أن رجلاً قال لنبي الله ﷺ: إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الأرحام، ويفك العاني، وفي بالذمم؛ أفلا تستغفر لهم؟ قال: بلى، فو الله إنني لأستغفر لوالدي؟ كما استغفر إبراهيم لأبيه. فأنزل الله - سبحانه - : ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مؤعدة وعدّها إياه﴾»^(١).

﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ أي: مات على شركه ﴿تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ قال ابن عباس: الأواه: الموقن. وقال ابن مسعود: هو الدعاء. قال محمد: وذكر أبو عبيد أن هذا التفسير أقرب في المعنى؛ لأنه من التأوه، وهو من الصوت^(٢)، منه قول الشاعر:

فأَوْه بِذِكْرَاهَا إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ دُونَهَا وَسَمَاءٍ^(٣)

قال محمد: يقال: (أَوْه) بتسكين الواو وكسر الهاء، و(أَوْه) مشددة^(٤)، يقال: آه الرجل يثوه إذا قال: أَوْه من أمر يشق عليه، ويقال: تأوه الرجل، والمتأوه: المتلهف.

﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم...﴾ الآية.

بلغنا أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ ماتوا قبل أن تفترض الفرائض أو بعضها؛ فقال قومٌ من أصحاب النبي ﷺ: مات إخواننا قبل أن تفترض

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٣/١١).

(٢) أي: صوت التوجع والشكاية. لسان العرب (أوه)، و(أوو).

(٣) ويروى: فأوه لذكرها... وهو من بحر الطويل. ينظر: اللسان (أوو)، المحتسب (١/٣٩)، الخصائص (٨٩/٢)، (٣٨/٣).

(٤) يقال: أَوْه، وَأَوْه، وَأَوْه، وَأَوْه، وَأَوْه، لسان العرب، مختار الصحاح (أوه).

هذه الفرائض، فما منزلتهم؟ فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية؛ فأخبر أنهم ماتوا على الإيمان.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٧)

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أي: في وقت العُسرة ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ أي: تميل عن الجهاد؛ فعصمهم الله - عز وجل - من ذلك؛ فمضوا مع النبي ﷺ قال قتادة: أصابهم في هذه الغزوة جهد شديد، حتى لقد بلغنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان نفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا، ثم يشرب عليها من الماء، ثم يمصها الآخر.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨) يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)

﴿وعلى الثلاثة﴾ أي: وتاب على الذين خُلِفوا عن غزوة تبوك؛ وهم الذين أُرْجُوا في الآية الأولى في قوله عز وجل: ﴿وآخرون مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ (١) وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرَاة بن ربيعة.

﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي: بسعتها ﴿وظنوا﴾ علموا

﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ بَلَّغْنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَمَرَ النَّاسَ أَلَّا يَكْلُمُوهُمْ وَلَا يَجَالِسُوهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَلَّا يُؤْوَهُمْ وَلَا يَكْلُمُوهُمْ؛ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ نَدَمُوا وَجَاءُوا إِلَى سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَأَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - تَوْبَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ تَفْسِيرُ بَعْضِهِمْ: خَاطَبَ بِهِذَا مَنْ لَمْ يَهَاجِرْ، لِيَهَاجِرُوا إِلَى النَّبِيِّ بِالْمَدِينَةِ.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ إِنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَعْمَارَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ وَهَذَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ﴾ يَعْنِي: مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ.

﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عَطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ فِي أَبْدَانِهِمْ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جُوعٌ.

﴿وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾.

يَحْيَى: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْمُصَبِّحِ قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ مَالِكِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيِّ أَرْضَ الرُّومِ، فَسَبَقَ النَّاسَ رَجُلٌ، ثُمَّ نَزَلَ يَمْشِي وَيَقُودُ فَرَسَهُ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَا تَرْكَبُ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يقول: من اغبرت قدماه في سبيل الله ساعة من نهار، فهما حرام على النار.
قال: فلم أر نازلاً أكثر من يومئذ^(١).

يحيى: عن المسعودي، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٥/٥ - ٢٢٦) - ومن طريق ابن عساكر (٤٦٧/٥٦) - وابن المبارك في الجهاد (٣٣) والبخاري - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٤٦٧/٥٦) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به.

ورواه عبد الله بن المبارك في الجهاد (٣٢) من طريق حصين بن حرملة عن أبي المصباح به. وصرح باسم الصحابي، وهو جابر بن عبد الله.

ورواه من طريق ابن المبارك الإمام أحمد (٣٦٧/٣) والطبراني (٢٤٣ - ٢٤٤ رقم ١٧٧٢) وأبو يعلى (٥٧/٤ - ٥٨ رقم ٢٠٧٥) وابن حبان (٤٦٣/١٠ - ٤٦٤ رقم ٤٦٠٤) وابن أبي عاصم في الجهاد (٣٢٨/١ - ٣٢٩ رقم ١١٣) والبيهقي في سننه (١٦٢/٩) وابن عساكر في تاريخه (٤٦٧/٥٦ - ٤٦٨).

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٧/١٩) رقم ٦٦١ وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٤٦٣/٥) رقم ٦٠٠٧ من طريق العلاء بن زبير وابن جابر عن أبي المصباح عن مالك بن عبد الله الخثعمي عن النبي ﷺ، فأصبح من مسند مالك.

ورواه وكيع عن محمد بن عبد الله الشعبي عن ليث بن المتوكل عن مالك بن عبد الله عن النبي ﷺ.

خرجه الإمام أحمد (٢٢٦/٥) ومن طريقه ابن عساكر (٤٦٦/٥٦) وابن أبي شيبة (٣١٠/٥) عن وكيع.

وقال ابن عساكر: كذا قال، والصواب متوكل بن الليث، قلبه وكيع، ومالك لم يسمع الحديث من رسول الله ﷺ إنما سمعه من رجل من الصحابة غزا معه حين كان يلي المغازي. اهـ

وقال ابن الأثير في أسد الغابة (٣٢/٥): كذا رواه وكيع، والصواب: المتوكل بن الليث، ومالك لم يسمع هذا الحديث من النبي ﷺ، إنما رواه عن جابر عن النبي ﷺ. وقد ذكرناه في كتاب الجهاد مستقصى. اهـ

وقال ابن حجر في الإصابة (٥٥/٩): وهذا هو الصواب أن الحديث لجابر بن عبد الله، وسمعه مالك منه. اهـ

في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد مسلم أبدا»^(١).

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن يزيد، عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال: «ذكر لنا أن العمل في سبيل الله يضاعف؟ كما تضاعف النفقة سبعمائة ضعف».

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٧) وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْأَلُوا كَافَّةً

(١) رواه الإمام أحمد (٥٠٥/٢) وابن المبارك في الجهاد (٣٠) والطبراني (٣٢١) رقم ٢٤٤٣ وهناد في الزهد (٤٦٥) والنسائي (٣١٩/٦) رقم ٣١٠٨ والترمذي (١٤٧/٤) رقم ١٦٣٣، ٤٨١/٤ رقم ٢٣١١ والحاكم (٢٦٠/٤) والبيهقي في الشعب (٨٩/٣) رقم ٩٠ (٧٧٩) والبخاري في شرح السنة (٣٦٤/١٤) رقم ٤١٦٨ وفي تفسيره (١٨٩/٤) وغيرهم من طريق المسعودي به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البيهقي: رفعه المسعودي، ووقفه مسعر.

ورواه الحميدي (٤٦٦/٢) رقم ١٠٩١ وابن حبان (٤٦٧/١٠) رقم ٤٦٠٧ من طريق مسعر بن كدام عن محمد بن عبد الرحمن به.

ورواه وكيع في الزهد (٢٤٩/١) - ٢٥٠ رقم ٢٣ عن مسعر والمسعودي به موقوفاً.

ورواه النسائي (٣١٩/٦) رقم ٣١٠٧ وهناد في الزهد (٤٦٦) وابن أبي شيبة (٣٥١/١٣) رقم ١٦٥٥٧ والبيهقي في الشعب (٩٠/٣) رقم ٧٨٠ من طريق مسعر به موقوفاً.

ورواه ابن ماجه (٩٢٧/٢) رقم ٢٧٧٤ من طريق سفیان بن عیینة عن محمد بن عبد الرحمن مرفوعاً.

ولما سئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٣٣٦/٨) رقم ١٦٠٦: يرويه محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عنه، واختلف عنه: فرواه مسعر عنه موقوفاً، واختلف عن المسعودي فرفعه عنه قوم، ووقفه وكيع عنه، وقيل: عن ابن عينة عن مسعر مرفوعاً، ولا يثبت. اهـ.

قلت: وللحديث طرق أخر عن أبي هريرة وغيره.

فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة...﴾ الآية، تفسير بعضهم: أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك وقد أنزل الله - عز وجل - في المنافقين الذين تخلفوا عنه ما أنزل - قال المؤمنون: لا والله لا يرانا الله - عز وجل - متخلفين عن الغزوة يغزوها رسول الله ﷺ أبداً ولا عن سرية. فأمر رسول الله ﷺ السرايا أن تخرج فنفر المسلمون من آخرهم، وترك نبي الله ﷺ وحده، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ أي: جميعاً، ويدرك وحدك بالمدينة ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ ليتفقه المقيمون ﴿وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ من غزائهم. أي: يُعلِّم المقيم الغازي ما نزل بغده من القرآن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَدَتْهُمْ إِيمَانُهُمْ وَهَمُّ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٣٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار...﴾ الآية، قال الحسن: نزلت قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة.

﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول﴾ يعني: المنافقين ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ يقوله بعضهم لبعض، قال الله - عز وجل - : ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ تصديقاً ﴿وهم يستبشرون﴾ بما يجيء من عند الله ﴿وأما

الذين في قلوبهم مرض ﴿ شك ﴾ فزادتهم رجسًا إلى رجسهم ﴿ أي : زادهم تكذيبهم بها كفرًا إلى كفرهم ﴾ وماتوا وهم كافرون ﴿ يقول : إنهم يموتون على الكفر .

﴿أُولَٰئِكَ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ بَيِّنَاتٍ أَمْ أَكَلُوهُمْ أَصْرَفُوا سِرًّا﴾ قال الحسن : يعني : لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين : يعني : يتتلون بالجهاد مع رسول الله ﷺ فيرون نصر الله - عز وجل - رسوله ﴿ ثم لا يتوبون ﴾ من نفاقهم ﴿ ولا هم يذكرون ﴾ .

﴿ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض ﴾ يعني : المنافقين ﴿ هل يراكم من أحد ﴾ من المسلمين ؛ يقوله بعضهم لبغض ﴿ ثم انصرفوا ﴾ قال الحسن : يعني : عزموا على الكفر ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ هذا دعاء ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ لا يرجعون إلى الإيمان .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٧﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ قال السدي : يعني من جنسكم ﴿ عزيز عليه ﴾ أي : شديد عليه ﴿ ما عنتم ﴾ قال الحسن : يعني : ما ضاق بكم في دينكم ﴿ حريص عليكم ﴾ أن تؤمنوا ﴿ فإن تولوا ﴾ عن الله - جل وعز - وعمًا بعث به رسوله ﴿ فقل ﴾ يا محمد : ﴿ حسي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو

رب العرش العظيم ﴿ قال قتادة: يقال: إن أخذت القرآن بالله عهدًا هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم...﴾ إلى آخر السورة.

* * *

تفسير سورة يونس وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّكَ هَذَا سَاحِرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الرَّ﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسير ﴿الرَّ﴾ وأشبه ذلك؛ غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب الحكيم﴾ المحكم.

﴿أكان للناس عجبًا﴾ على الاستفهام ﴿أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس﴾ عذاب الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة؛ إن لم يؤمنوا؛ وهذا جواب من الله - عز وجل - لقول المشركين حين قالوا: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾^(١) إنه لشيء عجب.

﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يعني: عملاً صالحاً يثابون عليه الجنة.

قال محمد: يقال: له عندي قدم صدق^(٢). (ل ١٣٦) وقدمٌ سوءٌ، وله في

(١) ص: ٥ .

(٢) قال الأخفش: هو التقديم كأنه قدم خيرًا وكان له فيه تقديم. لسان العرب، مختار الصحاح (قدم).

هذا الأمر قدم صالحه وقدم حسنه وكأنه (...) (١) قال ذو الرمة (٢):

لكم قدم لا ينكر الناس فضلها

مع الحسب العادي طمئت على البحر (٣)

أي: ارتفعت.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّكُمْ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُوهُ لِيََجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾
قوله عز وجل: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ يعني: البعث ﴿وعد الله حقاً﴾ في المرجع إليه ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أي: يحييه ثم يميته، ثم يبدؤه فيحييه ﴿ليجزى﴾ لكي يجزي ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ بالعدل يجزيهم الجنة ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ وهو الذي قد انتهى حره.

(١) طمس في «الأصل».

(٢) هو غيلان بن عقبة بن نيسب العدوي، من فحول الطبقة الثانية في عصره (٧٧ - ١١٧هـ). ينظر: الأعلام (١٢٤/٥).

(٣) ويروى: لكم قدم لا ينكر الناس أنها * إلخ. والبيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٣٦١)، البحر (١٢٣/٥)، القرطبي (٣٠٦/٨) ورواه (العالي) بدلاً من (العادي).

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل﴾ أي: جعل القمر (...)^(١) منازل من النجوم، وهي: ثمانية وعشرون منزلة في كل شهر (...)^(١) يعني: القمر ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بالليل والنهار ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ أي: إن ذلك يصير إلى المعاد ﴿يفصل الآيات﴾ بينها ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون ﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها، وما خلق الله في الأرض من جبالها وأشجارها وثمارها وأنهارها ﴿آيات لقوم يتقون﴾ وهم المؤمنون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) أَوَلَيْكَ مَا نُوحِيهِمْ مَا تُكَلِّمُ النَّاسَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَمَلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يخافون البعث، وهم المشركون؛ لأنهم لا يقرون بالبعث ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ لا يقرون بثواب الآخرة.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ قال محمد: يعني: يكون لهم نورا يمشون به.

﴿دعواهم فيها﴾ أي: قولهم في الجنة: ﴿سبحانك اللهم وتحييتهم فيها سلام﴾ يعني: يحيي بعضهم بعضا بالسلام، وتحييهم الملائكة عن الله - عز

(١) طمس في الأصل.

وجل - بالسلام ﴿وآخر دعواهم﴾ قولهم: ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ أول كلامهم التسبيح ، وآخره الحمد .

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُلْهَمُونَ الْحَمْدَ وَالتَّسْبِيحَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(١).

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٢) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(١٤)

﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ وهو ما يدعو به الإنسان على نفسه وولده وماله ، ولو استجاب الله - عز وجل - له لأهلكه .

قال محمد: قيل: المعنى: لو عجل الله للناس الشر إذا دَعَوْا به على أنفسهم عند الغضب، وعلى أهلهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلونه بالخير؛ إذا سألوه إياه؛ وهو معنى قول يحيى .

(١) روى مسلم في صحيحه (٤/٤٨٦ - ٤٨٧ رقم ٢٨٣٥) عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَلَّوْنَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ. قَالُوا: فَمَا بِالْطَّعَامِ، قَالَ: جِشَاءُ وَرَشْحٍ كَرَشْحِ الْمَسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني: المشرك ﴿الضُرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ أي: وهو مضطجع على جنبه ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ يقول: أو دَعَانَا قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّهِ﴾ أي: مر معرضًا عن الله - عز وجل - الذي كشف عنه الضر.

قال محمد: قيل: المعنى - والله أعلم - : مرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يتلى، ومعني (كَأَنَّ): كأنه .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يريد: من أهلك من القرون السالفة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ لَمَّا أَشْرَكُوا ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أخبر بعلمه فيهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَمْ خَلَائِفَ﴾ يعني: خلفاء ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتِ بِضُرٍّ أَنِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا﴾
﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦) ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُبْرِمُونَ﴾ (١٧)
﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث ﴿انت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ أي: أو بَدَّلْ آية الرحمة آية العذاب، أو بَدَّلْ آية العذاب آية الرحمة.
قال الله - عز وجل - لنبيه ﷺ : ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ أي: من عندي .

﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾ أي: ولا أعلمكم به ﴿فقد

لبث فيكم عمراً من قبله ﴿ من قبل القرآن لا أدعي هذه النبوة .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٨٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه ﴿ويقولون هؤلاء شفاعونا عند الله﴾ أي: أن الأوثان تشفع لهم - زعموا - عند الله ؛ ليصلح لهم معاشهم في الدنيا.

(١٣٧) [...] ^(١) بالبعث ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ أي: لا يعلم أن [...] ^(٢) في الأرض إلها غيره ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ من العلو ﴿عما يشركون﴾.

﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ يعني: على الإسلام ما بين آدم إلى نوح؛ في تفسير قتادة ﴿فاختلفوا﴾ لما أتتهم الأنبياء، وكفر بعضهم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ تفسير الحسن: يعني: المؤمنين والكافرين لولا أن الله - عز وجل - قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا؛ فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

﴿ويقولون لولا﴾ هَلَا ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنون: الآيات التي كانت

(١) طمس في «الأصل» نحو كلمتين.

الأمم تسألها أنبياءها ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ كقوله: ﴿إنما الآيات عند الله﴾ (١) فإذا شاء أنزلها ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: فستعلمون بمن ينزل العذاب .

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَنْ آمِنَنَّاهُ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجْمَعُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِقِيَمِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَنَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ يعني: المشركين ﴿رحمة﴾ عافية ﴿من بعد ضراء مسَّتْهم﴾ يعني: من بعد مرضٍ أو شدة أصابتهم ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ قال الحسن: يعني: جحودًا وتكذيبًا لديننا ﴿قل الله أسرع مكرًا﴾ قال الحسن: يعني: عذابًا ﴿إِنْ رُسُلُنَا﴾ يعني: الحَفَظَةُ ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يعني: المشركين .

﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾ في السفن يقول هذا للمشركين، ثم قال للنبي ﷺ: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: شديدة - الآية .

قوله عز وجل: ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: أنهم مغرقون ﴿دَعَوُا اللَّهَ...﴾ الآية ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ أي:

يكفرون ويعملون بالمعاصي.

قال محمد: أصل البغي: الترامي في الفساد، ومنه يقال: بغى الجرح إذا ترامى إلى فساد، وبغى المرأة إذا فجرت^(١).

﴿يا أيها الناس﴾ يعني: المشركين ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ يعني: ضراً عليكم؛ لأنهم يثابون عليه النار ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ يقول: إنما بغيكم وكفركم في الدنيا، ثم ينقطع فترجعون إلى الله سبحانه.

قال محمد: الرفع في قوله: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ جائز على معنى أن يكون خبراً لقوله: ﴿بغيتكم على أنفسكم﴾^(٢) المعنى: أن الذي تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَرَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَنَّهُمْ آمَرُوا بِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ قال بعضهم: يعني: فأخرجت الأرض ألواناً من النبات ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ يعني: حسنها ﴿وازَّيَّنَتْ﴾ يعني: تزينت بنباتها من صُفْرة وخضرة وخُمْرة.

(١) لسان العرب (بغى).

(٢) قرأ حفص (متاع) بالنصب، وقرأ الباقون (متاع) بالرفع. ينظر: السبعة (٣٢٥)، النشر (٢)

(٢٨٣)، التيسير (١٢١) وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية تنظر من: البحر المحيط (٥)

(١٤٠)، الدر المصون (١٩/٤).

قال محمد: أصل (الزخرف): الذهب، ثم يقال للثَّقَش وللنَّور والزينة، وكل شيء زَيْن: زخرف^(١).

﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ أي: قادرون على الانتفاع بما فيها من زرع.

﴿أتأها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً﴾ أي: ذهب ما فيها.
 ﴿كان لم تغن بالأمس﴾ كأن لم يكن ما كان فيها من زرع بالأمس قائماً.
 قال محمد: المعنى: كأن لم تكن عامرة بالأمس، المغاني: المنازل، واحدها مغنى تقول: غنيت بالمكان؛ إذا أقمت به^(٢).

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول: فالذي أنبت هذا الزرع في الأرض الموات، حتى صار زرعاً حسناً، ثم أهلكه بعد حسنه وبهجته قادر على أن يحيي الموتى، وإنما يقبل ذلك ويعقله المتفكرون ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ والسلام هو الله - سبحانه - وداره الجنة.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧) ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَئِلُهَا وَزَكَّهُمُ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ كَانَتْ أَغْشِيَتٌ وَجُوهَهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨)

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ آمنوا ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ النظر إلى وجه الله - عز وجل.

(١) لسان العرب (زخرف).

(٢) ويقال: المغاني: المواضع التي كان بها أهلؤها. لسان العرب، مختار الصحاح (غنى).

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عامر بن [سعد]^(١) قال: «قرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية - أو قرئت عنده - فقال: هل تدرون ما الزيادة؟ (١٣٨٤) الزيادة هي النظر إلي وجه ربنا عز وجل»^(٢).

(١) في «الأصل»: سعيد. وهو خطأ، عامر بن سعد هو البجلي الكوفي روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، ترجمته في التهذيب (٢٣/١٤ - ٢٥) وقد رواه الدارقطني في الرؤية من طريق يحيى بن سلام على الصواب.
(٢) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة بإسناده إلى يحيى بن سلام.

ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ رقم ١٩٥) من طريق يحيى بن سلام به.
ورواه ابن النحاس في كتاب الرؤية (ق ٢٥٥ - أ) من طريق يونس بن أبي إسحاق به.
ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٥٧ رقم ٤٧٠) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٠٦ رقم ٤٧٤) والطبري في تفسيره (١١/١٠٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/٤٥٠ - ٤٥١ رقم ٢٦٤) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٣، ٢٩٣ رقم ٢٠١) والآجري في الشريعة (٢/١٣ - ١٤ رقم ١٣ - ١٤ رقم ٦٣١، ٦٣٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٤٥٨ رقم ٧٨٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٩٥ رقم ٨٤) وغيرهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به.

ورواه عبد الله في السنة (١/٢٥٦ - ٢٥٧ رقم ٤٧٠) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٢) والآجري في الشريعة (٢/١٣ رقم ٦٣٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق.

ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ - ٢٩١ رقم ١٩٦) والبيهقي في الاعتقاد (ص ٦٢) من طريق محمد بن جابر عن أبي إسحاق به.

وخالفهم سفيان الثوري فرواه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد قوله.
رواه الطبري في تفسيره (١١/١٠٥) وابن خزيمة في التوحيد (٢/٤٥٢ رقم ١٠/٢٦٥) ونعيم بن حماد في زوائد الزهد (١٢٧ رقم ٤٢٠) والدارقطني في الرؤية (٣٠٠ رقم ٢١٤، ٢١٥) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/٤٦١ رقم ٧٩٢، ٧٩٣) والدارمي في الرد على الجهمية (١٠٠ - ١٠١ رقم ١٩٤) وتابع الثوري عليه شعبة بن الحجاج، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٥٧ رقم ٤٧٢، ٤٩٧/٢ رقم ١١٤٥) والطبري في تفسيره (١١/١٠٥).

ورواه شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق واختلفت الرواية عنه على ثلاثة أوجه:
الأول: كرواية يونس وإسرائيل ومن معهما، ذكرها الدارقطني في العلل (١/٢٨٢). =

﴿ولا يرهق وجوههم﴾ أي: يغشى ﴿قتر﴾ .

قال محمد: القتر أصله: الغبرة التي فيها سواد^(١) .

﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ أي: جزاء الشرك: النار

﴿كانما أغشيت وجوههم قطعاً﴾ جمع: قطعة ﴿من الليل مظلماً﴾ أي: في حال ظلمته .

= الثاني: عن أبي إسحاق عن سعيد بن نمران عن أبي بكر. رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٩٩ رقم ١٩٠) وفي الرد على المريسي (٧١٣/٢ - ٧١٤) والطبري في تفسيره (١٠٦/١١) والدارقطني في الرؤية (٢٩٢ رقم ١٩٩).

الثالث: عن شريك عن أبي إسحاق قوله. رواه الطبري في تفسيره (١٠٥/١١) والدارقطني في الرؤية (٣٠٥ - ٣٠٦ رقم ٢٢٣) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤٦٢/٣ رقم ٧٩٤). ورواه قيس بن الربيع عن أبي إسحاق، واختلف عنه:

ف قيل: عن قيس عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر. كرواية إسرائيل ومن معه. خرجه الدارقطني في الرؤية (٢٩١ - ٢٩٢ رقم ١٩٨).

وقيل: عن قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران عن أبي بكر الصديق.

خرجه الطبري في تفسيره (١٠٤/١١ - ١٠٥) والدارقطني في الرؤية (٢٩١ رقم ١٩٧، ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٢٠٠).

وتابعه على هذا الوجه أبو الربيع السمان، خرجه ابن خزيمة في التوحيد (٤٥٣/٢ - ٤٥٤) وقال ابن خزيمة: رواه أبو الربيع أشعث السمان، وليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه؛ لسوء حفظه. ثم قال ابن خزيمة: إسرائيل أولى هذا الإسناد من أبي الربيع.

ولما سئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٢٨٢/١ - ٢٨٣ رقم ٧٣): هو حديث رواه إسرائيل بن يونس وأبوه يونس بن أبي إسحاق وشريك وزكريا بن أبي زائدة ومحمد بن جابر عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر.

وقال بعضهم: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر. وقال الثوري: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي قوله، لم يذكر فوقه أحداً.

والمحفوظ من ذلك قول إسرائيل ومن تابعه: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر. (١) وواحد القتر: قتر. لسان العرب (قتر).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرَزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَمَنْ عَنَّهُمْ مَّا كَانُوا يَفْرُتُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَلَا لَكُمْ أَلَهٌ إِلَّا اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ يعني: المشركين وأوثانهم جميعًا ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاءكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فرزينا بينهم﴾ بالسينات، يعني: المشركين على حدة، والأوثان على حدة ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ الأوثان تقول هذا للمشركين: ما كانت عبادتكم إيانا عن دعاء كان مِنَّا لَكُمْ، وإنما دعاكم إلى عبادتنا الشيطان.

قال محمد: يجوز النصب في قوله عز وجل: ﴿مكانكم﴾ على الأمر^(١)، كأنهم يقال لهم: انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم؛ وهي كلمة جرت على الوعيد؛ تقول العرب: (مكانك) تنوع بذلك.

وقوله عز وجل: ﴿فرزينا بينهم﴾ أي: ميزنا؛ يقال: أزلت الشيء من الشيء أزيله؛ أي: ميزته منه أميزه^(٢).

﴿فكفى باللَّهِ شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا﴾ لقد كنا ﴿عن عبادتكم لغافلين﴾

(١) ينظر الدر المصون (٢٦/٤ - ٢٧).

(٢) ويقال: زلْتُ الشيء من مكانه؛ لغة في (أزلت). لسان العرب، مختار الصحاح (زيل).

قال الحسن: يحشر الله - عز وجل - الأوثان المعبودة في الدنيا بأعيانها، فتخاصم من كان عبدها ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ قال مجاهد: يعني: تختبر ثواب ما أسلفت في الدنيا. وهي تقرأ على وجه آخر (تتلو)^(١) أي: تتبع.

قال ابن مسعود: هذا في البعث ليس أحد كان يعبد شيئاً من دون الله - عز وجل - إلا وهو مرفوع له ﴿ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق﴾ ربهم الحق، والحق اسم من أسماء الله عز وجل.

ثم قال للنبي ﷺ: ﴿قل﴾ لهم ﴿من يرزقكم من السماء والأرض﴾ وهو على الاستفهام ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ أي: يذهبها أو يبقيها. ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ قال مجاهد: يعني: يخرج الناس الأحياء من النطف، والنطف من الناس الأحياء، والأنعام مثل ذلك، والنبات مثل ذلك. وقال الحسن: يعني: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿ومن يدبر الأمر﴾ فيما يحيي ويميت ويقبض ويبسط ﴿فسيقولون الله فقل أ فلا تتقون﴾ وأنتم تقرون بالله - عز وجل - أنه هو الذي يفعل هذه الأشياء، ثم لا تتقونه وتعبدون هذه الأوثان من دونه!

﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ يعني: أن أوثانكم ضلالٌ وباطلٌ ﴿فأني تصرفون﴾ فكيف تصرف عقولكم فتعبدون غيره؟! ﴿كذلك حقت كلمات ربك﴾^(٢) أي: سبق قضاؤه ﴿على الذين فسقوا﴾

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: السبعة (٣٢٥)، النشر (٢/٢٨٣)، الحجة (١٨١).

(٢) هكذا في «الأصل» (كلمات) جمعاً، وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون (كلمة) على

الإفراد. ينظر: السبعة (٣٢٦) النشر (٢/٢٦٢)، الحجة (١٨١).

أنهم ﴿بأنهم﴾ لا يؤمنون ﴿يعني﴾ الذين يلقون الله بشركهم .

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْفَلَقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَدْعُوا لِلْفَلَقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنَّهُ تَوَفَّكَونَ﴾ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْفَلَقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: من يخلق، ثم يميئ، ثم يحيي؛ أي: أنها لا تقدر على ذلك .

﴿قُلْ اللَّهُ يَدْعُوا لِلْفَلَقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنَّهُ تَوَفَّكَونَ﴾ فكيف تصرفون عنه؟!
﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ أي: إلى الدين والهدى؛
أي: أنها لا تفعل ولا تعقل ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ أي: أن الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع؛ وهو الله لا إله إلا هو .

قال محمد: قوله عز وجل: ﴿لا يهدي﴾ أي: لا يهتدي؛ فأدغم التاء في الدال (١) . وهي تقرأ أيضاً (يَهْدِي) خفيفة (٢)؛ ومعناها: يهتدي؛ يقال: هديت الطريق؛ بمعنى: اهتديت (٣) .

(١) لقرب مخرجيهما؛ أي: مخرج التاء والدال، ونقلت حركة التاء (الفتحة) إلى الهاء، ثم كسرت للمناسبة؛ أي: لمناسبة كسرة الدال. الدر المصون (٤/٣١).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢/٢٨٣) الحجة (١٨١).

(٣) وقد ورد (هدى) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: معدي بنفسه كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ومرة معدي باللام كقوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾، ومرة معدي بإلى؛ كقوله تعالى: ﴿اهدنا إلى سواء الصراط﴾ لسان العرب، مختار الصحاح (هدى) الدر المصون (٤/٣٠).

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: أنكم تقولون بأن الله - عز وجل - هو الخالق والرازق (ل١٣٩) ثم تعبدون الأوثان من دونه!

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: يعبدون الأوثان يتقربون بها إلى الله تعالى - زعموا - ليصلح لهم معاشهم في الدنيا، وما يفعلون ذلك إلا بالظن.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرِئَنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٩) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٠) ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ السَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢)

﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ يقول: لم يكن أحد يستطيع أن يفتريه؛ فيأتي به من قبل نفسه ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ من الحلال والحرام، والأحكام، والوعيد والوعيد ﴿لا ريب فيه﴾ لا شك فيه.

قال محمد: قوله: ﴿أن يفترى﴾ أي: لأن يفترى^(١)، يعني: يُخْتَلَق. ومن قرأ (تصديق)^(٢): هو تصديق^(٣)، ومن نصب فالمعنى: ولكن كان تصديق

(١) الدر المصون (٣٣/٤).

(٢) يعني: بالرفع.

(٣) أي: فالمعنى: هو تصديق.

الذي بين يديه^(١).

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: أن محمداً افترى القرآن على الاستفهام؛ أي: قد قالوه قال الله - عز وجل - : يا محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ مثل هذا القرآن ﴿وَادْعُوا﴾ يعني: استعينوا ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: من أطاعكم ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: لستم بصادقين، ولا تأتون بسورة مثله.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: لم يكن لهم علم بما كذبوا ﴿وَلَمَّا﴾ أي: ولم يأتهم ﴿تَأْوِيلَهُ﴾ يعني: الجزء به؛ ولو قد أتاهم تأويله لآمنوا به؛ حيث لا ينفعهم الإيمان ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ كان عاقبتهم أن أهلكهم الله - عز وجل - بتكذيبهم رُسُلَهُمْ، ثم صيّرَهُمْ إلى النار.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: ومن المشركين من سيؤمن بالقرآن، ومنهم من لا يؤمن به ﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ﴾ أي: ليس عليكم من عملي شيء، وليس لي من عملكم شيء.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: جماعة يستمعون.

﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الضُّمُّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهذا سمع القبول.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ ١٣٢ إِنَّ اللَّهَ

(١) قرأ الجمهور (تصديق) بالنصب، وقرأ عيسى بن عمر بالرفع. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٤٩)، البحر (١٥٧/٥) الدر المصون (٣٣/٤).

وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (١٥٧/٥).

لَا يَظْلِمُ الْكَاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا لَنُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابِي يَوْمًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُتْرَكُ إِذَا مَا وَفَّعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ ءَالَتُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ومنها من ينظر إليك﴾ أي: يُقبل عليك بالنظر.

﴿أفأنت تهدي العمي﴾ يعني: عمى القلب ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ كقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾^(١).

﴿ويوم نحشرهم﴾^(٢) كان لم يلبسوا﴾ أي: في الدنيا ﴿إلا ساعة من النهار﴾ في طول ما هم لا بشون في النار ﴿يتعارفون بينهم﴾ أي: يعرف بعضهم بعضا. قال الحسن: ذُكِرَ لنا أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة مواطن لا يسأل فيها أحد أحدا: إذا وُضعت الموازين؛ حتى يعلم أثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت

(١) القصص: ٥٦.

(٢) قرأ حفص «يُحْشَرُهُمْ» بالياء، وقرأ الباقون «نَحْشُرُهُمْ» بالنون. النشر (٢/٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٣١٣).

الكتب؛ حتى يعلم يأخذ كتابه يمينه أم بشماله، وعند الصراط؛ حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز»^(١).

(١) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٩ رقم ١٣٦١) من طريق حزم بن مهران عن الحسن.

وقد روي عن الحسن موصلاً:

رواه الإمام أحمد (١٠١/٦) من طريق القاسم بن الفضل، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.
ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٧٤٠/٣ رقم ١٣٤٩) وأبو داود (٢٥١/٥ رقم ٤٧٢٢)
والحاكم (٥٧٨/٤) من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة. اهـ.
وقال العراقي: إسناده جيد. تخريج الإحياء (٢٦٨٣/٦).

ورواه الآجري في الشريعة (٢١٠/٢ رقم ٩٦١) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن مبارك، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه البيهقي - كما في النهاية لابن كثير (٢٧/٢) - من طريق يزيد بن زريع عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه الإمام أحمد (١١٠/٦) والآجري (٢٠٩/٢ رقم ٥٥١) من طريق ابن لهيعة عن خالد ابن أبي عمران و عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها.

قال الهيثمي في المجمع (٣٥٩/١٠): رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقي رجاله رجال الصحيح.

وقال الزبيدي: إسناده ثقات سوى ابن لهيعة.

ورواه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في كتاب الزهد والرقائق من طريق عصام بن طليق - وهو وإب - عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها.

قاله الزبيدي، تخريج الإحياء (٢٦٨٣/٦ - ٢٦٨٤).

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٠/١٣ رقم ١٦٢٥) عن أبي خالد الأحمر، عن أبي الفضل، عن الشعبي، عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه الآجري في الشريعة (٢١١/٢ - ٢١٢ رقم ٩٦٢) ويعقوب بن سفيان في فوائده - كما في تخريج الإحياء (٢٦٨٤/٦) - من طريق علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

قال الزبيدي: وإسناده وإب.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٨/٢) عن معمر عن قتادة مرسلاً.

﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب في الدنيا ﴿أو نتوفينك﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿فإلينا مرجعهم﴾.

﴿ولكل أمة رسول﴾ فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط ﴿بالعدل﴾ فإذا جاء رسولهم؛ يعني: يوم القيامة، هو كقوله: ﴿وجيء بالنبيين...﴾^(١).
﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يقوله المشركون لما كان يعدُّهم به النبي ﷺ من عذاب الله - عز وجل - إن لم يؤمنوا، فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاء وتكديبا.

﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا﴾ يخبرهم أن الذي يستعجلون به من العذاب ليس في يديه.

﴿لكل أمة أجل﴾ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ﴿عن عذاب الله﴾ إذا نزل بهم ﴿ولا يستقدمون﴾ العذاب قبل أجله.

﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابُ بيانا﴾ يعني: ليلا ﴿أو نهارا﴾ ماذا يستعجل منه المجرمون.

قال محمد: ﴿بيانا أو نهارا﴾ منصوبٌ على الوقت^(٢)، وقوله: ﴿ماذا يستعجل﴾ المعنى: أي شيء، وقد يجيء بمعنى: ما الذي يستعجل؟

﴿أثم إذا ما وقع﴾ قال السدي: يعني: حتى إذا ما نزل العذاب (ل ١٤٠)
﴿آتمتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ أي: يقال لهم إذا آمنوا عند نزول العذاب الآن تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان.

(١) الزمر: ٦٩.

(٢) أي: على ظرف الزمان.

﴿يَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿ويستبشرونك﴾ أي: يستخبرونك ﴿أحق هو﴾ يعنون: القرآن ﴿قل إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بسابقين فلا يقدر عليكم فيعذبكم. ﴿ولو أنَّ لكل نفس ظلمت﴾ أشركت ﴿ما في الأرض﴾ من ذهب وفضة ﴿لافتدت به﴾ يوم القيامة من عذاب الله - عز وجل.

﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه ﴿وقضي بينهم﴾ أي: فصل بينهم ﴿بالقسط﴾ بالعدل.

﴿ألا إن وعد الله﴾ الذي وعد في الدنيا ﴿حق﴾ من الوعد بالجنة، والوعد بالنار ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: المشركين؛ وهم أكثر الناس.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ اللَّهُ أَدْرَأُكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ لَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظةٌ من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ يذهب ما فيها من الكفر والنفاق، ﴿وهدى﴾ يهتدون به إلى الجنة ﴿وهدى ورحمةً للمؤمنين﴾ فأما الكافرون فإنه عليهم عذابٌ.

﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ قال قتادة: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ تفسير بعضهم: فليفرحوا؛ يعني: المؤمنين.
﴿هو خيرٌ مما يجمعون﴾ مما يجمع الكفار ﴿قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ ما حرّموا من الأنعام ومن زروعهم.

﴿قل الله أذن لكم﴾ أي: أمركم بما صنعتم من ذلك؟ أي: أنه لم يفعل ﴿أم على الله تفترون﴾ ثم أوعدهم الله على ذلك فقال: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ وهو على الاستفهام؛ يقول: ظنهم أن الله سيعذبهم، وظنهم ذلك في الآخرة يقين منهم؛ وقد كانوا في الدنيا لا يقرون بالبعث؛ فلما صاروا إلى الله - عز وجل - علموا أن الله - عز وجل - سيعذبهم، ثم قال: ﴿إن الله لذو فضلٍ على الناس﴾ بما ينعم عليهم، وبما أرسل إليهم الرسل ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: لا يؤمنون.

﴿وما تكون في شأن﴾ من حوائجك للدنيا ﴿وما تلو منه من قرآن﴾ خاطب بهذا النبي ﷺ ﴿ولا تعملون﴾ يعني: العامة ﴿من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ يخبرهم أنه شاهدٌ لأعمالهم ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي: يغيب عن ربك ﴿من مثقال ذرة﴾ وزن ذرة ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ حتى لا يعلمه ويعلم موضعه ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ بين عند الله - عز وجل.

قال محمد: من قرأ: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ بالفتح ^(١) - فالمعنى: ما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة، ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر؛ وفتح لأنه لا ينصرف ^(٢). ومن رفع ^(٣)، فالمعنى: ما يغزبُ عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتٍ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٨﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ آلَ الْبَرِّ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٩﴾﴾
﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾.

يحيى: عن أمية، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة «أن عبادة بن الصامت سأل نبي الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن، أو تُرى له» ^(٤).

(١) وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا حمزة. ينظر: السبعة (٣٢٨)، النشر (٢٨٥/٢)، الحجة (١٨٢).

(٢) وتفصيل ذلك ينظر من الدر المصون (٤٨/٤).

(٣) وقراءة الرفع هي قراءة حمزة. ينظر: السبعة (٣٢٨)، النشر (٢٥٨/٢) الحجة (١٨٢).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣١٥/٥ ، ٣٢١) وابن ماجه (١٢٨٣/٢) رقم (٣٨٩٨) والدارمي في سننه (٢/١٦٥) رقم (٢١٣٦) والطبري في تفسيره (١١/١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦) والحاكم (٢/٣٤٠) من طريق يحيى بن أبي كثير به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الطيالسي (٧٩ رقم ٥٨٣) والترمذي (٤/٤٦٣ رقم ٢٢٧٥) والحاكم (٤/٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤/١٨٥ رقم ٤٧٥٣) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، نبئت عن عبادة بن الصامت به.

وقوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ النجاة العظيمة من النار .
 ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ يقوله للنبي ﷺ لقول المشركين له: إِنَّكَ مَجْنُونٌ،
 وَإِنَّكَ سَاحِرٌ، وَإِنَّكَ كَاذِبٌ، وَإِنَّكَ شَاعِرٌ.
 ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فينصرك عليهم.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
 قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١٣٢/٢): ظاهر هذا اللفظ الانقطاع، فكيف يكون على شرط الشيخين أو صححاه في الجملة؟! قال ابن عساكر في أطرافه: وأبو سلمة لم يسمع من عبادة. والعجب من الذهبي كيف أقره على ذلك! اهـ.
 وقال ابن حجر في تخريج الكشاف (ص ٨٤ رقم ١٨): رجاله ثقات إلا أنه معلول؛ فإن أبا سلمة لم يسمع من عبادة.

وقال ابن حجر في النكت الظراف (٢٦٣/٤ - ٢٦٤): أخرجه ابن منده في كتاب الروح من طريق الأوزاعي، عن يحيى، حدثني أبو سلمة، حدثني عبادة. أخرجه عن خيشمة بن سليمان، عن العباس بن الوليد بن مزيد، عن أبيه، عن الأوزاعي. ورجاله كلهم ثقات. اهـ.
 قلت: لكن رواه الطبري في تفسيره (١٣٣/١١) حدثنا العباس بن الوليد به، وفيه: قال: «سأل عبادة بن الصامت رسول الله ﷺ فأرسله، والله أعلم.

ورواه الضياء في المختارة (٢٥٩/٨ - ٢٦٠ رقم ٣٥١) من طريق شيان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد الله، عن عبادة.
 ورواه الإمام أحمد (٣٢٤/٥) وابن أبي عاصم في السنة (٢١٣/١ - ٢١٤ - رقم ٤٨٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت.

ورواه الطبري في تفسيره (١٣٤/١١، ١٣٧ - ١٣٨) والطبراني في معجم الشاميين (٢/ ١١٨ - ١١٩ رقم ١٠٢٥، ١٠٢٦) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٢ - ١٣٣) - والضياء في المختارة (٢٧٧/٨ - ٢٧٨) رقم ٣٣٩، ٣٤٠ من طريق حميد ابن عبد الله عن عبادة.

وللحديث شواهد عن عدة من الصحابة، انظر: تخريج الكشاف (١٣٢/٢ - ١٣٥) ومختصره الكاف الشاف (٨٤ - ٨٥) والدر المثور (٣٣٧/٣ - ٣٣٨).

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْمَعُوا إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال محمد: (ألا) افتتاح كلام وتنبية؛ أي: له من في السموات ومن في الأرض، يفعل فيهم وبهم ما يشاء.

﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ يقول: إن الذين تعبدون من دون الله ليسوا بشركاء لله تعالى.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يقول: يعبدون أوثانهم، ويقولون: إنها تقرّبهم إلى الله - عز وجل - زلفى، وما يقولون ذلك بعلم، إن هو منهم (١٤١ل) إلا ظن، وإن هم إلا يكذبون ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني: لتستقروا فيه من النَّصَبِ^(١) ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي: منيرًا لتبتغوا فيه معاشكم.

قال محمد: قيل: ﴿مبصرًا﴾ يعني: مبصرًا فيه؛ كما تقول: ليل نائم،

(١) النَّصَب: الثَّعْب. ينظر: لسان العرب (نصب).

وإنما يُتَّامُ فيه^(١).

﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أي: ما عندكم من حُجَّة بهذا الذي قلتم
﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي: نَعَمْ، قد قلتم على الله ما لا تعلمون
﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ ثم انقطع الكلام ﴿متاع﴾
في الدنيا﴾ يقول: الدنيا وما هم فيه متاعٌ يستمتعون به، ثم ينقطع إذا فارقوا
الدنيا.

قال محمد: ﴿متاع﴾ مرفوعٌ على معنى: ذلك متاعٌ في الدنيا^(٢).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا بِقَوْمِي وَتَذَكَّرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلَاكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا
أَلَدِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى
قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَنْبِئُ عَلَى قُلُوبِ
الْمُتَعَذِّبِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ بالدعاء إلى الله - عز وجل -
﴿وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ أي:
وأجمعوا شركاءكم ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّة﴾ أي: في ستر، ليكن ذلك
علانية.

(١) أي: التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، وهذا كثير في اللغة.

(٢) وفيه وجه نحوي آخر ينظر: البحر المحیط (١٧٧/٥ - ١٧٨).

قال محمد: (غمّة) مشتقة من: الغمامة التي تَسْتُرُ؛ ومنه قوله: «غَمَّ الْهَلَالُ» وقد يجوز أن يكون قوله: (غُمّة) أي: غَمًّا؛ يقال غَمَّ وغُمّة^(١).
قالت الخنساء^(٢):

وذي كُزَيْبَةٍ رَأَى ابْنَ عَمْرِو خِنَافَهُ
وَعُمَّتُهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتْ^(٣)
قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: اجهدوا جُهدَكُمْ ﴿وَلَا تَنْظُرُونَ﴾
طرفة عين؛ أي: أنكم لا تقدرون على ذلك؛ وذلك حين قالوا: ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَ
يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾^(٤).

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فَمَا سَأَلْنَكُمْ﴾ على ما أدعوكم إليه من
هذا الدين أجراً، فيحملكم ذلك على ترك ما أدعوكم إليه .
﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ في السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خِلَافَ فِي
الْأَرْضِ﴾ بعد الهالكين .

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتيهم العذاب
﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ المشركين .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَتْلِيَانَا فَاشْتَكَبُوا وَكَانُوا قَوْمًا
مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَقُولُونَ

(١) لسان العرب (غمم).

(٢) وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث الرياحية السلمية. أشهر شواعر العرب، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام فأسلمت. وتوفيت سنة ٢٤ للهجرة. ينظر الأعلام (٨٦/٢).

(٣) ويروى: ومُخْتَبِي وعُمِيَّة . . . الخ. وهو من بحر الطويل. ينظر: ديوان الخنساء (٣٤٠).

(٤) الشعراء: ١١٦ .

لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
 مِلَّةَآبَاءِنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي
 بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا
 أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾
 وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني: اليَد والعصا.

﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا﴾ قال الله - عز وجل - :
 ﴿ولا يفلح الساحرون﴾.

﴿قالوا أجئنا لتلفتنا﴾ لتصرفنا وتحولنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنون: أنا
 وجدناهم عبدة أوثان، فنحن على دينهم ﴿وتكون لكم الكبرياء﴾ أي: وتريد
 أن تكون لك ولهارون الملك والسلطان في الأرض.

قال محمد: إنما سمي الملك كبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا،
 وأصل الكبرياء: العظمة^(١).

﴿قال موسى ما جئتم به السحر﴾ قال محمد: (ما) بمعنى الذي؛ أي:
 الذي جئتم به السحر^(٢).

﴿ويحق الله الحق﴾ الذي جاء به موسى ﴿بكلماته﴾ بوعده الذي وعد
 موسى يعني: قوله له: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾^(٣).

(١) وكذا الكبر. ينظر: لسان العرب (كبر).

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ينظر: البحر المحيط (٥/١٨٣)، الدر المصون (٤/٥٨ - ٥٩).

(٣) طه: ٦٨.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٢) وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُومُ إِن كُنتُمْ ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَقَلِيلٌ مَّا تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾

﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ قال مجاهد: يعني: أولاد الذين أرسل إليهم موسى ﴿على خوف من فرعون وملثهم﴾ يعني: أشراقهم ﴿أن يفتنهم﴾ أن يقتلهم فرعون ﴿وإن فرعون لعالٍ في الأرض﴾ أي: لباعٍ يبغى عليهم ويتعدى ﴿وإنه لمن المسرفين﴾.

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله﴾ وقد علم أنهم قد آمنوا وصدّقوا، ولكنه كلام من كلام العرب؛ تقول: إن كنت كذا فاصنع كذا؛ وهو يعلم أنه كذلك، ولكنه يريد أن يعمل بما قال له.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ قال مجاهد: يقولون: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول فرعون وقومه: لو كانوا على حق ما عذبوا، ولا سلطنا عليهم؛ فيفتنوا بنا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَذَكِّرُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٦) وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٧﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصرَ بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ تفسير مجاهد: أمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلتي القبلة يصلون فيها [سرًا، لما] ^(١) خاف (ل١٤٢) موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة.

﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ هذا دعاء عليهم؛ يقول: ربنا فأضلهم عن سبيلك؛ وذلك حين جاء وقت عذابهم [...] ^(٢) عليهم.

﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ فَمَسَحَتْ دنانيرهم ودراهمهم وزروعهم حجارة ﴿واشدد على قلوبهم﴾ بالضلالة ﴿فلا يؤمنوا﴾ دعاء أيضًا ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ فحبل بينهم وبين أن يؤمنوا.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنفِي لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ءَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدِيكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَيْدًا مِنَ النَّاسِ عَنَّا لَغَبْلُوكَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْأًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًّا﴾ العَدُوُّ: العدو.

قال محمد: قوله: ﴿فأتبعهم فرعون﴾ أي: لحقهم؛ يقال: أتبعْتُ القوم:

(١) طمس في الأصل؛ والمثبت من تفسير ابن كثير (٤/٢٢٤).

(٢) طمس في الأصل.

لحققتهم، وتبعثهم: جئت في إثرهم^(١).

﴿حتى إذا أدركه الغرق...﴾ الآية يقول الله - عز وجل -: ﴿آلآن وقد عصيت﴾ لأنه آمن في حين لا يقبل الله فيه الإيمان؛ وقد مضت سنة الأولين في الذين خلوا من قبل أنه لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب.

﴿فاليوم ننجيكَ ببذنبك﴾ تفسير مجاهد: بجسديك، فقذفه البحر عرياناً على شاطئ البحر ﴿لتكون لمن خلفك﴾ لمن بعدك ﴿آية﴾ فيعلم أنك عبدٌ ذليلٌ قد أهلكك الله - عز وجل - وغرَّقَكَ ﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ يعني: المشركين لا يتفكرون فيها ولا ينظرون.

﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل موباً صدق﴾ أي: أنزلناهم منزل صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴿هي كقوله:﴾ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات^(٢).

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئلي الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين^(٩٤) ولا تكونن من الذين كذبوا بتأييد الله فتكون من الخاسرين^(٩٥) إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون^(٩٦) ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم^(٩٧)﴾

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب قبلك﴾ يعني: من آمن منهم.

(١) وقال الأخفش: تبعه وأتبعه بمعنى: مثل: ردفه وأزده. ومنه قوله تعالى: ﴿إلا من خلف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (تبع).

(٢) آل عمران: ١٠٥.

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»^(١).
 ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين﴾ يعني: الشاكين.
 ﴿إن الذين حقت عليهم (كلمات)^(٢) ربك لا يؤمنون﴾ الآية، هم الذين
 يلقون الله - عز وجل - بكفرهم.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّ لَهَا مَا مَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ
 الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْتُهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ
 جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ تفسير قتادة: يقولون: لم
 يكن هذا في الأمم؛ لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عاينت عذاب الله - عز
 وجل - ﴿إلا قوم يوسس لها آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾ قال قتادة:
 وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بموضع من أرض «الموصل» فلما فقدوا نبيهم،
 قذف الله - عز وجل - في قلوبهم التوبة، فلبسوا المِسْوَح^(٣)، وفرقوا بين كل
 بهيمة ولدها، فعجوا^(٤) إلى الله أربعين ليلة، فلما عرف الله - عز وجل -
 الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة منهم على ما مضى كشف عنهم العذاب

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٨/١) وفي المصنف (١٢٥/٦ - ١٢٦ رقم ١٠٢١١) والطبري في تفسيره (١٦٨/١١) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١٤٠/٢): وهو معضل. وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٦/٦ رقم ١٠٥٨٣) عن ابن عباس قال: «لم يشك رسول الله ولم يسأل».

(٢) هكذا بالأصل جمعاً؛ وهي قراءة نافع وابن عامر، أما قراءة الأفراد «كلمة» فهي قراءة باقي السبعة. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢٦٢/٢) التيسير (١٢٢).

(٣) واحدها: المِسْح؛ وهو ثوب من الشعر غليظ. ويُجمع أيضاً على: أَمْسَاح. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (مسح).

(٤) التَّعَجُّ: رفع الصوت أي: بالذكر والدعاء. لسان العرب (عجج).

بعد ما نزل عليهم.

قال يحيى: بلغني أنه كان بينهم وبين العذاب أربعة أميال.

وقوله: ﴿ومتعناهم إلى حين﴾ يعني: إلى الموت بغير عذاب.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي: لا تستطيع فعل ذلك إنما

يؤمن من يريد الله - عز وجل - أن يؤمن.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ

الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَسِجْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَسِجَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي فَلَا آعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ آعْبُدْ اللَّهَ

الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمُ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا

يعقلون﴾ يعني: رجاسة الكفر.

﴿قل انظروا ماذا في السموات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها، وما فيها من

العجائب ﴿والأرض﴾ من بحارها وشجرها وجبالها؛ ففي هذه آيات وحجج

عظام ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ إذا لم يقبلوها، ويتفكروا

فيها. ﴿فهل ينظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ يعني: وقائع الله -

عز وجل - في الأمم السالفة التي أهلكهم بها حين كذبوا رسلهم.

﴿قل فانظروا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: سينزل بكم ما نزل بهم؛

آخر الله - عز وجل - عذاب آخر كفار هذه الأمة إلى (١٤٣) النفخة الأولى

بها يكون هلاكهم، ولم يهلكهم حين كذبوا النبي بعذاب الاستئصال، كما أهلك من قبلهم بعذاب الاستئصال، فلم يبق منهم أحد.

﴿ثم ننجي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: كنا إذا أهلكنا قومًا أنجينا النبي والمؤمنين، الآية.

﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني﴾ يعني: المشركين ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله...﴾ الآية .

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَتَّيِبُهَا لِنَاسٍ قَدْ جَاءَ الْهَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)

﴿وأن أقم وجهك﴾ أي: وجهتك إلى قوله عز وجل: ﴿فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ أي: ولست فاعلاً .

﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ وهي كقوله عز وجل: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ (١).

﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم؛ حتى أجازيكم بها، إنما أنا

منذرًا أبلغكم رسالة ربي .

﴿واصبر﴾ على ما يقول لك المشركون ﴿حتى يحكم الله﴾ فيأمرك بالهجرة
والجهاد ﴿وهو خير﴾ أفضل ﴿الحاكمين﴾ .

تفسير سورة هود وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أُتِمَّتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْهُنَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُبْسِغْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

قوله عز اسمه: ﴿الرَّ كِتَبٌ﴾ أي: هذا كتاب ﴿أُتِمَّتْ آيَاتُهُ﴾ يعني: القرآن ﴿فُصِّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ؛ بَيَّنَّ فِيهَا حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ وَطَاعَتُهُ وَمَعْصِيَتُهُ ﴿مَنْ لَدُنْ﴾ مَنْ عِنْدَ ﴿حَكِيمٍ﴾ أَحْكَمِهِ بَعْلَمُهُ ﴿خَبِيرٍ﴾ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ يَقُولُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ قُل: لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ؛ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ؛ أُنْذِرُكُمْ عِقَابَهُ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ آمَنَ.

﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشَّرِكِ.

﴿يُبْسِغْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يَعْنِي: الْمَوْتَ، وَلَا يَهْلِكُهُمْ بِالْعَذَابِ.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾^(١) ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، فَيَكْذِبُوا بِهِ ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

(١) الأنعام: ١٣٢، الأحقاف: ١٩.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ ذَاتُ الصُّدُورِ ۝﴾
 ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾.

قال الحسن: ينتون صدورهم على ما هم عليه من الكفر؛ ليستخفوا منه بذلك؛ يظنون أن الله - عز وجل - لا يعلم الذي يستخفون به. قال بعضهم: هم المنافقون.

قال محمد: معنى ﴿ينتون صدورهم﴾: يظنون ما فيها ويسترونه.
 ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ قال محمد: معنى ﴿يستغشون ثيابهم﴾: يسترون بها؛ يقال: استغشيت ثوبي وتغشيت^(١).
 ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝﴾

﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ تفسير ابن مسعود: مستقرها: الأرحام، ومستودعها: الأرض التي يموت فيها.

يحيى: عن صاحب له، عن الحسن بن دينار، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن ابن مسعود قال: «إذا أراد الله - عز وجل - أن يقبض عبداً بأرض جعل له بها حاجة؛ فإذا كان يوم القيامة قالت الأرض: رب هذا ما استودعني»^(٢).

(١) ويقال: استغشيت بثوبي، وتغشيت به؛ متعدياً بحرف الباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (غش).

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٤٧/٥ رقم ٨٩٤) عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد به =

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾

= ورواه الدارقطني في العلل (٢٣٩/٥) من طريق يحيى القطان عن إسماعيل به .
ورواه ابن ماجه (١٤٢٤/٢) رقم ٤٢٦٣ وابن أبي عاصم في السنة (١٧٣/١) رقم ٣٩٢
والبزار في مسنده (٢٧٤/٥ - ٢٧٥) رقم ١٨٨٩ والحاكم في المستدرک (٤١/١) والبيهقي
في الشعب (١٧٢/٧) رقم ٩٨٨٩ من طريق عمر بن علي المقدمي عن إسماعيل بن أبي خالد
به مرفوعاً .

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رفعه إلا عمر بن علي المقدمي .
وقال الحاكم: قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم، وعمر بن علي المقدمي
متفق على إخرجه في الصحيحين، وقد تابعه محمد بن خالد الوهبي على سنده عن
إسماعيل . اهـ .

ثم رواه الحاكم (٤١/١ - ٤٢ ، ٣٦٧) من طريق محمد بن خالد الوهبي عن إسماعيل بن
أبي خالد به، وقال الحاكم: وقد أسنده هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد . اهـ .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٦/١٠) رقم ١٠٤٠٣ والحاكم (٤٢/١) من طريق
موسى ابن محمد بن حبان عن ابن مهدي، عن هشيم به .

وقال الحاكم: فقد أسند هذا الحديث ثلاثة من الثقات عن إسماعيل ووقفه عنه سفيان بن
عيينة، فنحن على ما شرطنا في إخراج الزيادة من الثقة في الوصل والسند . اهـ .
وسأل ابن أبي حاتم أباه عن هذا الحديث من طريق محمد بن خالد الوهبي، فقال أبو حاتم:
الكوفيون لا يرفعونه . قال ابن أبي حاتم: هذا الحديث معروف بعمر بن علي بن مقدم، تفرد
به عن إسماعيل بن أبي خالد، وتابعه على روايته محمد بن خالد الوهبي . علل الحديث (١/
٣٦٢ رقم ١٠٧٣) .

ولما سئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٢٣٨/٥ - ٢٣٩) رقم ٨٤٨: يرويه
إسماعيل بن أبي خالد، رفعه عنه عمرو بن علي المقدمي ومحمد بن خالد الوهبي وهشيم -
من رواية موسى بن حبان عن ابن مهدي عنه - وغيره يرويه عن هشيم ولا يرفعه .
وكذلك رواه ابن عيينة ويحيى القطان وغيرهما موقوفاً، وهو الصواب . اهـ .
وله شاهد عن أبي عزة مرفوعاً: «إن الله - تبارك وتعالى - إذا أراد قبض روح عبدٍ بأرضٍ
جعل له فيها - أو قال: بها - حاجة» .

رواه الإمام أحمد (٤٢٩/٣) - واللفظ له - والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٨٠)
والترمذي (٣٩٤/٤) رقم ٢١٤٧ وابن حبان (١٩/١٤) رقم ٦١٥١ والحاكم (٤٢/١) وقال
الترمذي: هذا حديث صحيح . =

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم بالأمر والنهي ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ فيما ابتلاكم به من الأمر والنهي.

قال محمد: المعنى: يختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه؛ وهو قد علم قبل ذلك أيهم أحسن عملاً.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُّورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْأَةٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَمَّا كُنَا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَايَئُ بِهِ صَدَرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ كُنَّا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ أي: إلى حين معدود.

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ورواه عن آخرهم ثقات.

وألزم الدارقطني الشيخين إخرجه في الإلزامات (ص ٨٦).

وله شاهد ثاني عن مطر بن عكاس رواه الترمذي (٣٩٤/٤ رقم ٢١٤٦) وعبد الله بن أحمد

في زوائد المسند (٢٢٧/٥) والحاكم (٤٢/١) ٣٦٧ وقال الترمذي: هذا حديث حسن

غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وله شاهد ثالث عن جندب بن سفيان، رواه الحاكم (٣٦٧/١).

ورابع عن عروة بن مضر، رواه الحاكم (٣٦٧/١ - ٣٦٨).

قال محمدٌ: يقال: إنما سمي الحين أمة؛ لأنَّ الأمة من الناس تنقرض في حين^(١).

﴿ليقولون ما يحبسُ﴾ قال الله - عز وجل - : ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ أي: ليس يستطيع أحد أن يصرفه عنهم ﴿وحاق بهم﴾ أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: عذاب الآخرة؛ في تفسير الكلبي .

﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿منا رحمة﴾ يعني: صحة وسعة في الرزق ﴿ثم نزعناها منه إنه ليثوس﴾ من رحمة الله (ل١٤٤) أن تصل إليه فيصبيه رخاء بعد شدة ﴿كفور﴾ لنعمة الله تعالى .

﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾ أي: عافيناه من تلك الضراء التي نزلت به ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ ذهب الضر عني ﴿إنه لفرح﴾ بالدنيا ﴿فخور﴾ يقول: ليست له حِشْبَةٌ^(٢) عند ضراء، ولا شكر عند سراء ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ استثنى الله - عز وجل - أهل الإيمان؛ أي: أنهم لا يفعلون الذي يَبَيِّن من فعل المشركين .

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ خاطب بهذا النبي ؛ فلا تبلغ عني مخافة قومك ﴿وضائق به صدرك أن يقولوا﴾ بأن يقولوا ﴿لولا أنزل عليه كتز﴾ هلا أنزل عليه مال؛ فإنه فقير ﴿أو جاء معه ملك﴾ فيخبرنا أنه رسول ﴿إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ حفيظ لأعمالهم؛ حتى يجازيهم بها .

(١) ومنه أيضًا قولُ الله - تعالى - : ﴿واذكر بعد أمة﴾ . لسان العرب، مختار الصحاح (أمم).

(٢) أي: احتساب الأجر وأذخاره عند الله، والصبر عليه. ينظر: لسان العرب القاموس المحيط (حسب).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿أم يقولون افتراه﴾ افترى محمد القرآن: اختلقه؛ أي: قد قالوا ذلك.
﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله﴾
أي: استعينوا من أطاعكم من دون الله.
﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ فيأتوا بعشر سورٍ مثله، ولن يفعلوا ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ أي: من عند الله.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ يعني: المشرِك لا يؤمن بالآخرة
﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ يعني: جزاء حسناتهم ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾
لا يُنْقَضُونَ حسناتهم التي عملوا.
﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ بطل ما عملوا في الدنيا من حسنات في الآخرة؛
لأنهم جُوزُوا بها في الدنيا.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَنْبَغٍ مِنْ زِينَةٍ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قِبَلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي: بيان ويقين؛ يعني: محمداً ﷺ ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ تفسير الكلبي: جبريل شاهد من الله - عز وجل - ﴿ومن قبله﴾ من قبل القرآن ﴿كتاب موسى إماماً ورحمة﴾ يعني: لمن آمن به.

يقول: أفمن كان علي بينة من ربه ويتلوه شاهد منه؛ هل يستوى هو ومن يكفر بالقرآن والتوراة والإنجيل؟! أي: أنهما لا يستويان عند الله عز وجل. قال محمد: يجوز النصب في قوله: ﴿إماماً ورحمة﴾ على الحال^(١).

﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني: المؤمنين يؤمنون بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ قال قتادة: يعني: اليهود والنصارى ﴿فالنار موعده﴾ ﴿فلا تك في مرية منه﴾ في شك أن من كفر به؛ فالنار موعده.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وافتراؤهم على الله - تعالى - أن قالوا إن الله - عز وجل - أمرهم بما هم عليه من عبادة الأوثان، وتكذيبهم بمحمد. ﴿أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد﴾ الأنبياء ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم...﴾ الآية.

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُتَجِدِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

(١) ينظر: الدر المصون (٤/٨٦).

﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ يسبقونا حتى لا نبعثهم، ثم نعذبهم. ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ يمنعونهم من عذاب الله. ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ في النار ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ سمع الهدى؛ يعني: سمع قبول إذ كانوا في الدنيا ﴿وما كانوا يبصرون﴾ الهدى. ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: أوثانهم ضلت عنهم؛ فلم تغن عنهم شيئاً ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ (لا جرم) كلمة وعيد. قال محمد: جاء عن ابن عباس؛ أنه كان يقول: معناها: حقاً. وذكر الزجاج عن سيبويه أنه قال: (جرم) معناها: حق، ودخلت لا للنفي، كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك حق أن لهم النار^(١). وأنشد [...]^(٢)

ولقد طَعَنْتَ أبا عَيْيَنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتَ فزارة بعدها أن يغضبوا^(٣)
يقول: [أَحَقَّتْ الطُّعْنَةُ فَزَارَةً]^(٤) الغضب.

قال محمد: وأنشد قطرب^(٥): جرمت (فزارَةً بعدها أن يغضبوا)^(٦).

(١) قال الفراء: هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة، فجرت على ذلك، وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة (حقاً) فلذلك يجاب عنها باللام، كما يجاب بها عن القسم. لسان العرب، مختار الصحاح (جرم).
(٢) قطع في الأصل.

(٣) البيت من بحر الكامل. وينسب لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل: هو لعطية بن عفيف. ينظر: اللسان (جرم)، الكتاب (٤٦٩/١)، المقتضب (٣٥١/٢).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من لسان العرب (جرم).

(٥) هو محمد بن المستير أبو علي النحوي، أخذ عن سيبويه، وجماعة من البصريين (ت٢٠٦هـ). ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة (٢١٩/٣).

(٦) طمس بالأصل. والرواية برفع (فزارَةً) ينظر: لسان العرب (جرم)، الكتاب (٤٦٩/١).

(ل ١٤٥) حق لهم الغضب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿واخبتوا إلى ربهم﴾ أي: أنابوا مخلصين . ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً﴾ أي: لا يستويان مثل الكافر مثل الأعمى والأصم؛ لأنه أعمى أصم عن الهدى، والبصير والسميع مثل المؤمن؛ لأنه أبصر الهدى وسمعه؛ يقول: فكما لا يستوي عندكم الأعمى والأصم والبصير والسميع في الدنيا؛ فكذلك لا يستويان عند الله في الدين .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا الَّذِي هُمْ أَرَادُوا لَنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِي ۖ أَن كُنْتُ عَلَىٰ يَمِينٍ مِّن رَّبِّي ۖ وَأَنِّي رَحْمَةٌ مِّن عِندِي ۖ فَعُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّلَافُ مِيثَاقِكُمْ ۖ وَأُتُوا لَهَا كَافِرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ سفلتنا ﴿بادي الرأي﴾ أي: فيما يظهر لنا ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ في الدين ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ يعنون: نوحاً ومن آمن معه .

﴿قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي﴾ على بيان ﴿وأتاني رحمة من عنده﴾ يعني بالرحمة: النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ أن تبصروها بقلوبكم

وتقبلوها ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ .

﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنْ أَتَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَفْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ يعني : على ما أَدْعُوكُم إليه من الهدى ﴿مَالاً﴾ فإنما يحملكم على ترك الهدى المال الذي أسألكموه .

﴿إِنْ أَجَرَى﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ فيحاسبهم بأعمالهم .

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي : خزائن علم الله ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ .

قال محمد : (تزدري) أي : تستقل وتستهجن^(١) .

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ في العاقبة ؛ أي : أنه سيؤتيهم بذلك خيراً ؛ إن كانت قلوبهم صادقة .

﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْتَرَتْ جَدَلْنَا فَأَنَّا بِمَا تَدْعَانَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ

(١) ويقال فيه : زَرَى عليه ، وأَزْرَى به ، وازدراه . لسان العرب (زرى) .

أَفَرَأَيْتُ قُلُوبَ الَّذِينَ أَفَرَقْتَهُمْ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْعَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَرْحَمُ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ مَارَيْنَا ﴿فأكثرت جدالنا﴾.

﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ يضلكم.

قال محمد (يغويكم): أصله يهلككم؛ تقول العرب: أغويت فلاناً؛ أي: أهلكته، ومنه قولهم: غوى الفصيل؛ إذا فقد اللبن، فمات ^(١).

﴿أم يقولون افتراه﴾ إن محمداً افترى القرآن ﴿قل إن افتريته فعليَّ إجماعي وأنا بريء مما تجرمون﴾ يقول: فعليَّ عملي، وأنا بريء مما تعملون.

قال محمد: الإجماع: الإقدام على الذنب؛ وهو مصدر أجمرت ^(٢).

﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ قال قتادة: ذلك حين دعا عليهم؛ فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ ^(٣).

﴿فلا تبئس﴾ أي: لا تحزن لهم ﴿بما كانوا يفعلون﴾.

﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ كما نأمرك بعملها ﴿ولا تخاطبني﴾ تراجعي ﴿في الذين ظلموا﴾ أنفسهم بشركم.

﴿وَنَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَىٰ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿فَسَوْفَ نَعْلَمُوكَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

(١) لسان العرب (غوى).

(٢) ويقال منه: جزم، وأجزم، واجترم. لسان العرب (جزم).

(٣) نوح: ٢٦.

مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا امْكُثْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَوْبَيْنِ أَتَيْنَ

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

﴿ويصنع الفلك﴾ السفينة ﴿وكلما مرَّ عليه ملاً من قومه سخروا منه﴾ عمل نوح الفلك بيده، فكان يمر عليه الملاً من قومه فيقولون له استهزاء به: يا نوح، بينما أنت تزعم أنك رسول رب العالمين إذ صرّت نجاراً. ﴿قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾ قال محمد: المعنى: نستجهلكم كما تستجهلون.

قال يحيى: وكان الرجل من قومه يأخذ بيد ابنه، فيذهب به إلى نوح فيقول: أي بُني، لا تطع هذا؛ فإنَّ أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك فقال: أي بُني لا تطع هذا.

﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يعني: عذاب الدنيا ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ دائم.

﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ يعني: عذابنا ﴿وفار التنور﴾ (التنور) في تفسير الحسن: الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة، ففار منه الماء والسفينة على الأرض، فكان ذلك علامة لإهلاك القوم.

وقال بعضهم: التنور عين ماء كانت بالجزيرة، يقال لها: التنور، وبعضهم يقول: كان التنور في أقصى داره.

سعيد: عن قتادة قال: كان التنور أعلى الأرض^(١).

(١) وقال مجاهد والشعبي: كان هذا التنور بالكوفة. وعن ابن عباس: عين بالهند. وعن قتادة: عين بالجزيرة: يقال لها: عين الورد. تفسير ابن كثير (٢٥٤/٤).

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: احمل زوجين اثنين من (ل١٤٦) كل صنف، الواحد: زوج، والاثنان: زوجان^(١)، فحمل فيها من جميع ما خلق الله - عز وجل - من البهائم والهوام والسباع ودواب البر والطير والشجر، وشكوا إلى نوح في السفينة الزبَل^(٢)؛ فأوحى الله - عز وجل - إلى نوح أن يمسح بيده على ذَنَبِ الفيل، ففعل فخرج منه خنزيران، فكانا يأكلان الزَبَل، وشكوا إلى الله الفأرة فأوحى الله - عز وجل - إلى الأسد - ألقى في قلبه - فعطس الأسد فخرج من منخره سنوران^(٣)، فكانا يأكلان الفأرة، وشكوا إلى نوح عَرَامَة^(٤) الأسد، فدعا عليه نوح فسلط الله - عز وجل - عليه الحُمَى.

قال الحسن: وكان طول السفينة فيما بلغنا ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع.

يحيى: قال بعضهم: وكان رأسها مثل رأس الحمامة، وذنبها كذنب الديك مطبقة تسير ما بين المائتين: ماء السماء، وماء الأرض.

قال يحيى: وبلغني أنه كان في السفينة ثلاثة أبواب: بابٌ للطير، وبابٌ للبهائم، وبابٌ للناس، وفصل بين الرجال والنساء: بجسد آدم حملة نوح معه.

(١) ويقال للاثنتين أيضًا: هما زوج؛ كما يقال: هما سيّان، وهما سَوَاء. لسان العرب، مختار الصحاح (زوج).

(٢) الزبل هو الشرجين. لسان العرب (زبل).

(٣) السَّنُور: حيوان أليف، من رتبة اللواحم، من خير مأكلة الفأر، ومنه أهلي وبري. والجمع: سنانير. ينظر المعجم الوسيط (ستر).

(٤) عَرْمُ يَعْرُمَ عَرَامَةٌ وغَرَامًا: شرس واشتد. ولعل ذلك هو المراد في النص، والله أعلم. لسان العرب (عرم).

قوله عز وجل: ﴿وَأَهْلِكَ إِلَّا مِنْ سَبَقِ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ الغضب؛ يعني: ابنه ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي: واحمل من آمن، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال السدي: يعني: ثمانين نفساً؛ أربعون رجلاً، وأربعون امرأة. قال قتادة: لم ينج في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث، ونساؤهم؛ فجميعهم ثمانية .

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحِّدْهَا وَمُزْسَاهَا﴾ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرَكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَى الْجُبْلِ يَعْصِمُكَ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَاوُسُ أَهْلِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءُ أَهْلِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُصِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومزساها﴾ قال قتادة: قد بين الله - عز وجل - كل ما تقولون؛ إذا ركبتم في البر، وإذا ركبتم في البحر؛ إذا ركبتم في البر قلتُم: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾^(١) وإذا ركبتم في البحر قلتُم: ﴿بسم الله مجراها ومزساها﴾.

قال محمد: من قرأ: ﴿باسم الله مجراها ومزساها﴾ بضم الميمين جميعاً^(٢) فمعنى ذلك: بالله إجرأوها، وبالله إزساوها؛ يقال: جرت السفينة

(١) الزخرف: ١٣ .

(٢) قرأ الأخوان وحفص (مُجْرَاهَا) بفتح الميم، والباقون بضمها، وقرأ الجمهور بضم ميم (مُزْسَاهَا)، وقرأ الثقفى وزيد بن علي والأعمش (مُزْسَاهَا) بفتح الميم، وقرأ ابن وثاب والكلبي والجدري وغيرهم (مُجْرَاهَا وَمُزْسَاهَا). ينظر: السبعة (٣٣٣)، النشر (٢٨٩/٢)، الحجة (١٨٧).

وَأَجْرِيئُهَا أَنَا مَجْرَىٰ وَإِجْرَاءٌ فِي مَعْنَىٰ وَاحِدٍ^(١)، وَرَسَتْ وَأَرْسَيْتُهَا مَرْسَىٰ وَإِرْسَاءٌ^(٢).

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ يعني: الذين كانوا في السفينة.

قال محمد: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ في معنى: لا معصوم^(٣)؛ كما قالوا: ماء [دافق]^(٤) بمعنى مدفوق.

﴿وغيض الماء﴾ أي: نقص.

قال محمد: يقال: غاض الماء يغيض إذا غاب في الأرض^(٥).
وقرأ بعضهم (غيض الماء) بإشمام الضم في الغين، ومن قرأ بهذا أراد الأضلَّ فُعِلَ^(٦)، ومن كسر فليلاء التي بعد فاء الفعل^(٧).

﴿وقضي الأمر﴾ فُرِغَ منه؛ يعني: هلاك قوم نوح.

﴿واستوت على الجودي﴾ جبل بالجزيرة.

قال قتادة: وبلغني أنَّ السفينة لما أرادت أن تقف، تطاولت لها الجبال كلَّ جبلٍ منها يجب أن تقف عليه، وتواضع الجودي^(٨)، فجاءت حتى وقفت عليه، وأبقاها الله - عز وجل - عبرةً وآيةً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة،

(١) جرت السفينة جَرِيًّا وَجَرِيًّا وَمَجْرَىً، وَأَجْرِيئُهَا مُجْرَى وَإِجْرَاءٌ لسان العرب (جری).

(٢) رَسَتْ السفينة رُسُوًا وَمَرْسَىً، وَأَرْسَيْتُهَا مَرْسَىً وَإِرْسَاءً. ينظر: لسان العرب (رسو).

(٣) أي: التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، وهذا كثير في الكلام.

(٤) سقط من «الأصل» وأثبت تبعًا لسياق الكلام، ويدل له ما بعده.

(٥) وإذا قلَّ ونضب. لسان العرب (غيض).

(٦) وهي قراءة الكسائي من السبعة. ينظر: التيسير (٧٢)، النشر (٢٠٨/٢).

(٧) وهي قراءة السبعة إلا الكسائي. ينظر: التيسير (٧٢)، النشر (٢٠٨/٢).

(٨) هو جَبَلٌ بَارِضُ الْجَزِيرَةِ اسْتَوَتْ عَلَيْهِ سَفِينَةُ نُوحٍ ﷺ. مختار الصحاح (جود).

وبلغني أنها استقلت بهم في عشر خلون من رجب، وكانت في الماء خمسين ومائة يومًا، واستقرت بهم على الجودي شهرًا، وأهبطوا إلى الأرض في عشر خلون من المحرم .

قال قتادة: ودُكر لنا أن نوحًا عليه السلام بعث الغراب لينظر إلى الماء؛ فوجد جيفة فوق عليها، فبعث إليه [الحمامة] ^(١) فأتته بورق زيتون، فأعطيت الطوق الذي في عنقها وخضاب رجليها.

﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّمَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّمَا عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ^(٣) قِيلَ يَنْحُوحُ أَهَيْطَ إِسْأَلُكَ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُورٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سَمِعَتُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٤)

﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم، وكان (ابنه) ^(٥) يظهر الإيمان ويسرُّ الشرك، ونوح لا يعلم؛ في تفسير الحسن. قال الحسن: ولولا ذلك لم يتأده؛ وهو يعلم أن الله - عز وجل - مغرق الكفار، وأنه قضى أنه إذا نزل العذاب على قوم كذبوا رسولهم ثم آمنوا، لم يقبل منهم.

﴿إنه عمل غير صالح﴾ يقول: إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح (١٤٧) ﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾ قال الحسن أي: أنك لم تكن تعلم ما يُبسرُّ من النفاق.

(١) طمس بالأصل. والمثبت من تفسير ابن كثير (٢٥٧/٤).

(٢) طمس بالأصل والمثبت مفهوم من سياق الكلام. وانظر أقوال العلماء في تفسيرهم لقوله

تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ تفسير ابن كثير (٢٥٩/٤).

يحيى: عن حماد، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ هذا الحرف: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٣٧١ - ٣٧٢ رقم ٣٩٧٨) وأبو عمر الدوري في قراءات النبي (٦٠، ٦١، ٩٨) من طريق حماد - وهو ابن سلمة - به.
ورواه الإمام أحمد (٦/٢٩٤، ٣٢٢) وأبو داود (٤/٣٧٢ رقم ٣٩٧٩) والترمذي (٤/١٧٢ رقم ٢٩٣١، ٢٩٣٢) والطبراني (٢٢٣ رقم ١٥٩٤) ومسدد وابن أبي شيبة في مسنديهما - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٢٠ رقم ٥٧٣٠) - وأبو يعلى (١٢/٤٤٩ - ٤٥٠ رقم ٧٠٢٠) وأبو عمر الدوري (٦٣) والطبراني في الكبير (٢٣/٣٣٥ رقم ٧٧٤٤ - ٧٧٨، ٢٣/٣٣٨ رقم ٧٨٤) وأبو نعيم (٨/٣٠١) وغيرهم من طرق عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة.
جعلوه من مسند أم سلمة ﷺ.

قال الترمذي: هذا حديث قد رواه غير واحد عن ثابت البناني نحو هذا، وهو حديث ثابت البناني، وروى هذا الحديث أيضاً عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. قال: وسمعت عبد بن حميد يقول: أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية.

قال الترمذي: كلا الحديثين عندي واحد، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية، وهي أسماء بنت يزيد، وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا.
وقال صالح بن محمد الحافظ عن شهر بن حوشب: كان رجلاً يتنسك إلا أنه روى أحاديث يتفرد بها لم يشركه فيها أحد مثل حديث ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾... فشهر يروي عن النبي ﷺ أحاديث في القراءات لا يأتي بها غيره. اه تهذيب الكمال (١٢/٥٨٥ - ٥٨٦).

وقال الطبري في تفسيره (١٢/٥٣) معلقاً على هذه القراءة: ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الأمصار إلا بعض المتأخرين، واعتل في ذلك بخبر روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأ كذلك غير صحيح السند، وذلك حديث روي عن شهر بن حوشب، فمرة يقول «عن أم سلمة» ومرة يقول «عن أسماء بنت يزيد» ولا نعلم أبنت يزيد [يريد]، ولا نعلم لشهر سماعاً يصح من أم سلمة اه.

ووقع في رواية ابن أبي شيبة - في إتحاف الخيرة (٦/٢٢٠ رقم ٥٧٣٠) - عن وكيع عن هارون عن ثابت عن شهر بن حوشب مرسلًا.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ يعني: سلامةً من الغرق.
 ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ يعني: نسول^(١) من كان معه في السفينة ﴿وَأُمَمٌ سَتَمَتَعُهُمْ﴾ في الدنيا يعني: أمماً من نسول من كان معه في السفينة .

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْغَيْبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٩) ﴿وَالَّذِينَ عَادُوا أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ (٥٠) ﴿يَنْفَوْرُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥١) ﴿وَيَنْفَوْرُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَنَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا بَحْرِمِينَ﴾ (٥٢) ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يقول للنبي ﷺ حين انقضت قصة نوح: تلك من أخبار الغيب، يعني: ما قصص عليه ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾ يعني: قريشاً ﴿من قبل﴾ هذا القرآن ﴿فاصبر﴾ على قولهم: إنك مجنون؛ وغير ذلك مما كانوا يقولونه له.

﴿وَالَّذِينَ عَادُوا أَخَاهُمْ هُودًا﴾ يقول: وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين.

= وقد رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤ ، ٣٢٢) عن وكيع به مستنداً، وكذا رواه الترمذي (٤/ ١٧٢ رقم ٢٩٣) من طريق وكيع مستنداً، والله أعلم.

ورواه البخاري في تاريخه (١/ ٢٨٦ - ٢٨٧) والحاكم في المستدرک (٢/ ٢٤١) من طريق إبراهيم بن الزبيرقان، عن أبي روق، عن محمد بن جحادة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها. قال الذهبي: قلت: إسناده مظلم.

(١) واحدها: نُسِّل؛ والمراد به: الولد، ينظر: لسان العرب (نسل).

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ۖ وَخُذُوا اللَّهَ ﴿١﴾ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كل من عبد غير الله - سبحانه - فقد افترى الكذب على الله - تعالى - لأن الله - عز وجل - أمر العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. قال محمد: (غيره) مرفوع على معنى: ما لكم إله غيره^(١).

﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ أي: يُوسِّعُ لكم من الرزق، وإنما أرزاق العباد من المطر.

قال محمد: معنى (مدراراً) المبالغة^(٢)، ونصبه على الحال^(٣)؛ كأنه قال: يرسل السماء عليكم دائرة.

وذكر بعض المفسرين: أنه كان أصابهم جذب.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ قال مجاهد: يعني: شدة إلى شِدَّتِكُمْ أي: في أبدانكم.

﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوٍّ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَحِي وَبِكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَحِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَحِي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَحِي عَلَى كُلِّ

(١) ينظر: الدر المصون (١٠٦/٤).

(٢) من الفعل: ذَرَّ؛ بمعنى: كثر، (ومدَّرار) صيغة مبالغة قياسية على وزن (مفعال). لسان العرب (در).

(٣) ينظر: الدر المصون (١٠٦/٤ - ١٠٧).

شَيْءٌ حَفِظَ ﴿٥٧﴾

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي: بجنون؛ لأنك عيبتها؛ يعنون: أوثانهم ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم - أي: اجهدوا جهدكم ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ طرفه عين؛ إن الله - عز وجل - سَيَمْنَعُنِي مِنْكُمْ؛ قال هذا وقد علم أن الأوثان لا تقدر على أن تكيد، وأنها لا تضر ولا تنفع ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: هي في قبضته وقدرته .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿وَتِلْكَ ءَادَاءُ جَعَلُوا يُبَآئِنَتِ رَبَّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ ءَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: واتبع بعضهم بعضًا على الكفر، والعنيد: المجتنب للهدى المعاند له .

قال محمد: العنيد أضله في اللغة: الجائر، والعنيد عند العرب: الجانيب، ف قيل للجائر: عنيد من هذا؛ لأنه مُجَانِبٌ للقصد^(١) .

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أَلْحَقُوا ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ يعني: العذاب الذي عذبهم به ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: ولهم يوم القيامة أيضًا لعنة؛ يعني: عذاب جهنم ﴿إِلَّا بَعْدَ إِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ .

قال محمد: (بَعْدَ) نصبٌ على معنى: أبعدهم الله، فبعدوا بُعْدًا^(٢)؛ أي: من رحمة الله .

(١) لسان العرب، القاموس المحيط (عند).

(٢) أي: نصب على المصدر المؤكد. ينظر البحر المحيط (٥/٢٣٩).

﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ يريد الخلق الأول خلق آدم ﴿واستعمركم فيها﴾ أي: جعلكم عمارها ﴿إن ربي قريب مجيب﴾ قريب ممن دعاه، مجيب له .
 ﴿وَإِن تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ قُوِّلَا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿١١﴾﴾ قَالُوا بَصَلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٢﴾﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُ مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ مَا تَرِيدُونَ غَيْرَ تَخْصِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٤﴾﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿١٥﴾﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ رَحِمْنَا مِنْكَ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٦﴾﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا إِن تَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِتَمُودَ ﴿١٨﴾﴾
 ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا﴾ أي: كُنَّا نرجو ألا تشتم آلِهتنا، ولا تعبد غيرها .

﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ من الريبة .
 ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ نقصان؛ إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه .
 ﴿ويا قوم هذه ناقة لله لكم آية﴾ قال محمد: نصب (آية) على الحال^(١)؛

(١) ينظر تفصيل الكلام في نصبها من البحر المحيط (٢٣٩/٥ - ٢٤٠)، الدر المصون (٤)

كانه قال: انتبهوا لها في هذه الحال.

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: لا تعقروها ﴿فياخذكم عذاب قريب فعقروها﴾ فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴿فقالوا له: ما آية ذلك حتى نعلم أنك صادق؟﴾ فقال: آية ذلك أن وجوهكم تصبح أول يوم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مُسَوَّدة، فلما كان ذلك عرفوا أنه العذاب، فتحنطوا وتكفنوا، فلما أمسوا بقوا في [...]^(١) ثم صبحهم العذاب في اليوم الرابع.

قال: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصبيحة﴾ (١٤٨J) قال السدي: يعني: صبيحة جبريل عليه السلام ﴿فأصبحوا في ديارهم جائمين﴾ أي: قد هلكوا.

﴿كان لم يغنوا فيها﴾ أي: لم يعيشوا.

قال محمد: وقيل كان لم ينزلوا فيها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ

حَنِيلٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تُصِلُ إِلَيْهِمْ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْراً لُوطٍ ﴿٨٠﴾ وَأَمَرْنَاهُ فَأَيْمَنَ فَصَبَّحَهُ بُشْرَانَهَا بِإِسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ

يَعْقُوبَ ﴿٨١﴾ قَالَتْ يَتُومَلَيُّنِي أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٨٢﴾

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٨٣﴾

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ قال قتادة: بإسحاق ﴿قالوا سلاماً

قال سلام﴾.

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

قال محمدٌ: (سلامًا) منصوبٌ على معنى: سلّمنا سلامًا^(١)، وأما (سلامٌ) فمرفوعٌ على معنى: أمري سلامٌ^(٢).

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مشوي ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر خوفًا إذ لم يأكلوا ﴿فَقَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسِلُنَا إِلَى قَوْمٍ لَوِطٌ﴾ لنهلكهم ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ﴾ يعني: سارة امرأة إبراهيم ﴿فَضَحَكْتَ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ: لما رأت سارة فَرَقَ^(٣) إبراهيم عَجِبْتَ مِنْ فَرَقِهِ، فَضَحَكْتَ^(٤) وهي لا تدري من القوم، فبشروها بإسحاق، وقالوا: نرجع إليك عامًا قابلاً، وقد ولدت لإبراهيم غلامًا اسمه: إسحاق، ويكون من وراء إسحاق يعقوب؛ أي: من بعد إسحاق.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ وكانت قد قعدت عن الولد ﴿إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيدٌ ﴿مُسْتَحْمَدٌ﴾ إلى خلقه، مجيدٌ كريمٌ.

قال محمدٌ: من قرأ (يعقوبُ) بالرفع^(٥) فعلى معنى: ويعقوبُ يحدث لها من وراء إسحاق، ومن قرأ: (هذا بعلي شيخًا) فعلى الحال^(٦)؛ المعنى:

(١) أي: منصوب على المصدر (مفعول مطلق). ينظر البحر المحيط (٢٤١/٥)، الدر المصون (١١١/٤).

(٢) أي: مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف. ينظر البحر المحيط (٢٤١/٥)، الدر المصون (١١١/٤).

(٣) أي: خوف. وفعله: فَرَقَ من باب طرب. ويقال: رجل فروقٌ وامرأة فروقة. ينظر لسان العرب (فرق).

(٤) قيل: المعنى: حاضت، وقيل: فزعت، وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (١١٤/٤).

(٥) وهي قراءة الجمهور، وقرأ (يعقوبُ) بالفتح ابن عامر، وحزمه وحفص عن عاصم. ينظر: السبعة (٣٣٨)، النشر (٢٩٠/٢)، التيسير (١٢٥) الدر المصون (١١٤/٤).

(٦) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٥٩)، المحتسب (٣٢٤/١)، البحر (٥/٢٤٤).

انتبهوا له في هذه الحال .

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿ ٧٥ ﴾ يَتَذَكَّرُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴿ ٧٦ ﴾

﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الرُّوع ﴾ الفرق ﴿ وجاءته البشرى ﴾ بإسحاق ﴿ يجادلنا في قوم لوط ﴾ قال قتادة: وذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرايتم إن كان فيهم خمسون من المؤمنين، أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا . حتى صار ذلك إلى عشرة، قال: أرايتم إن كان فيهم عشرة من المؤمنين، أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا .

﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴾ المنيب: المخلص، وقد ذكرنا الأواه قبل هذا^(١).

﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا ﴾ قال الكلبي: سأل إبراهيم ربه ألا يهلك لوطاً وأهله، وأن يعفو عن قوم لوط، فقيل: يا إبراهيم، أعرض عن هذا ﴿ إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ .

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا إِلَيْهِمْ فَصَاحَ لَهُمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿ ٧٧ ﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْشَوْا فِي صَیْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿ ٧٨ ﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿ ٧٩ ﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رَجُلٌ

(١) عند تفسير الآية: ١١٤ من سورة التوبة.

شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَثُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا مَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ

مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

﴿ولما جاءت رُسُلنا لوطا سيء بهم﴾ قال الحسن: ساء دخولهم؛ لما تخوف عليهم من قومه ﴿وضاق بهم ذُرْعًا﴾ قال الكلبي: لم يذر أين ينزلهم. قال: وكان قوم لوط لا يؤون ضيقا بليل، وكانوا يعترضون من مرّ بالطريق نهارا للفاحشة، فلما جاءت الملائكة لوطا حين أمسوا، كرههم ولم يستطع دفعهم، فقال: ﴿هذا يومٌ عصيبٌ شديدٌ .

﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ أي: يُسرعون.

قال محمد: يقال: أهرغ الرجل؛ أي: أسرع؛ على لفظ ما لم يسم فاعله^(١). ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ يعني: يأتون الرجال في أدبارهم؛ وكان لا يفعل ذلك بعضهم ببعض، إنما كانوا يفعلونه بالغرياء ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ أحل لكم من الرجال، قال قتادة: أمرهم أن يتزوجوا النساء.

قال محمد: وذكر أبو عبيد عن مجاهد أنه قال: كل نبي أبو أمته، وإنما عنى بيناته: نساء أمته.

قال أبو عبيد: وهذا شبيه بما يروى عن قراءة أبي بن كعب: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم»^(٢).

(١) أي: مبني للمجهول. ومصدره: الإهراع. لسان العرب (هرع).

(٢) وتنتظر هذه القراءة من تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٢٣).

﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي﴾ الضيف: يقال للواحد وللأثنين، ولاكثر من ذلك ^(١) ﴿أليس منكم رجلٌ رشيدٌ﴾.

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ أي: إنا نريد أضيافك دون بناتك ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ قال قتادة: يعني: إلى عشيرة قوية (ل١٤٩) فدافعوه الباب، وقالت الملائكة: ﴿يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي: سر بهم في ظلمة من الليل ﴿ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك إنه مصيها ما أصابهم﴾ فقال: لا؛ بل أهلكوهم الساعة! فقالوا: ﴿إن موعدهم الصبحُ أليس الصبحُ بقريب﴾ فطمس جبريل عليه السلام أعينهم بأحد جناحيه، فبقوا ليلتهم لا يبصرون ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾ قال: فلما كان في السحر، خرج لوطٌ وأهله، ورفع جبريل عليه السلام أرضهم بجناحه الآخر، حتى بلغ بها السماء الدنيا؛ حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وأصوات دجاجهم، فقلبها عليهم، وكان قد عهد إلى لوط ألا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك؛ فلما سمعت العجوز - عجوز السوء - الهدأة التفتت، فأصابها ما أصاب قومها، ثم اتبعت الحجارة من كان خارجاً من مدائنهم، قال قتادة: كانت ثلاثاً.

قال الحسن: فلم يبعث الله - سبحانه - بعد لوط نبياً إلا في عز من قومه، وكانت امرأة لوط منافقة؛ تظهر الإسلام، وقلبها على الكفر ..

﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ قال قتادة: من طين ﴿منضود﴾ أي:

(١) وقد يُجمع على: أضياف، وضيوف، وضيّفان. ويقال للمرأة: ضيفة وضيّفة. لسان العرب، مختار الصحاح (ضيف).

بغضه على بعض «مسومة عند ربك» قال الحسن: عليها سيما^(١)؛ أنها ليست من حجارة الدنيا، وأنها من حجارة العذاب.

قال: وتلك السيمة على الحجر منها مثل الخاتم «وما هي من الظالمين ببعيد» يقول: وما هي من ظالمي أمتك يا محمد ببعيد أن يحصبهم بها^(٢).

يحيى: عن همام بن يحيى، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر ما أتخوف على أمتي عمل قوم لوط»^(٣).

(١) أي: علامة وسمة. لسان العرب، المعجم الوسيط (سوم).

(٢) بعدها لحق غير واضح في الأصل.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٨٢/٣) والترمذي (٤٨/٤) رقم (١٤٥٧) والحاكم في المستدرک (٤/٣٥٧) والأجري في ذم اللواط (٤٦ رقم ١٣) من طريق همام به.

ورواه ابن ماجه (٨٥٦/٢) رقم (٢٥٦٣) وأبو يعلى (٩٧/٤) رقم (٢١٢٨) وابن حبان في المجروحين (٤/٢) والأجري في ذم اللواط (٤٥ رقم ١٢) وابن الجوزي في ذم الهوى (ص ١٦٩) والمزي في تهذيب الكمال (٣٩٤/٢٣) من طريق القاسم بن عبد الواحد.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب عن جابر.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

ورواه إبراهيم بن رستم عن همام عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عروة عن عائشة بنحوه.

قال الدارقطني في العلل (٤٩/٥ - أ): ووهم فيه، والصواب عن همام عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر.

وقال أبو الشيخ في فوائد الأصبهانيين: أخطأ فيه إبراهيم بن رستم. لسان الميزان (١/١٤٤).

وقال ابن حجر في اللسان أيضًا: وقد أخطأ إبراهيم في سنده ومتمه جميعًا.

ورواه إبراهيم بن محمد - وهو متروك - عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عروة بن الزبير عن عائشة بنحوه. خرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٦٥/٧) رقم (١٣٤٩٣) عن إبراهيم به.

﴿وَالَّذِي مَدَّنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يُقْوِرَ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ ۝٨٤ وَيُقْوِرُ أَوْثُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥ يَغِيثُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝٨٦﴾

﴿والذي مدَّن﴾ أي: وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين .

﴿إني أراكم بخير﴾ أي: بخير من الله؛ يعني: السعة والرزق، وكانوا أصحاب تطفيف في الكيل، ونقصان من الميزان .

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي: لا تظلموا ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسير ﴿ولا تعثوا﴾ في سورة البقرة^(١) .

﴿بقية الله خير لكم﴾ قال مجاهد: يعني: طاعة الله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم حتى أجازيكم بها .

﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَسْأَلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ قَالَ يُقْوِرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّن رَّزْقِي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَكُمْ إِلَيْنِ مَا أَهْنَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ وَيُقْوِرُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ

(١) عند قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة: ٦٠] .

يُصِيبُكُمْ يَنْزِلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ يُعِيدُ

﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ يعنون: أوثانهم.

قال الحسن: لم يبعث الله - عز وجل - نبياً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة.

قال محمد: المعنى: أدينك بأمرك؛ وهو معنى ما ذهب إليه الحسن.

﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ أي: أو أن نترك أن نفعل.

﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ أي: أنك لست بالحليم الرشيد.

﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ يعني: النبوة.

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ فأفعله ﴿ويا قوم لا يجرمنكم

شقاقي﴾ أي: لا تحملنكم عداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ بكفركم بي من عذاب

الله - عز وجل - ﴿مثل ما أصاب قوم نوح...﴾ الآية.

قال محمد: (يجرمنكم) أضله؛ يكسبنكم؛ تقول: جرمتُ كذا؛ بمعنى

كسبت^(١)، وأنشد بعضهم:

طريدٌ عشيرةٌ ورهينُ ذنبٍ بما جرمتُ يدي وجئني لسانی^(٢)

قوله عز وجل: ﴿وما قوم لوطٍ منكم يبعيد﴾ يقول: العظة بقوم لوطٍ قريية

(١) ويقال: معنى قوله: ﴿ولا يجرمنكم﴾: أي: لا يحملنكم. لسان العرب مختار الصحاح (جرم).

(٢) ويروى: ورهين جُرم... إلخ. وهو من بحر الوافر. ويُنسب للهِزْدَانِ السَّعْدِيِّ أحدُ لصوص بني سعد. ينظر لسان العرب (جرم) تفسير القرطبي (٢٩/٩).

منكم؛ لأن إهلاك قوم لوط كان أقرب الإهلاكات التي عرفوها.

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ لمن استغفره، وتاب إليه ﴿ودودٌ﴾ محبٌ لأهل طاعته.

﴿قَالُوا يَسْأَلُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (٩١) قَالَ يَنْفَوْرُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَنْفَوْرُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبُحُوا فِي دِينِهِمْ جُشِيمٌ (٩٤) كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بَعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا يَبْعَثُ نُحُودٌ (٩٥)﴾

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ أي: إنا لا نقبل، وقد فهموه وقامت عليهم به الحجة ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ قال سفيان: كان أعمى ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ (ل ١٥٠) بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ بعظيم، وكان من أشرافهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ قال قتادة: يقول: أعزتم قومكم، وأظهرتم بربكم

قال يحيى: أراه يعني: جعلتموه منكم بظهر.

قال محمد: يقال: ظهرت بحاجة فلان؛ إذا نبذتها ولم تبعأ بها^(١)، ومنه قول الفرزدق^(٢):

(١) لسان العرب، مختار الصحاح (ظهر).

(٢) هو همام بن غالب بن صمصمة التميمي، شاعر من الطبقة الأولى من الإسلاميين، وصاحب التفاضل مع جرير والأخطل (ت ١١٠هـ). الأعلام (٨/٩٣).

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظنير فلا يغني علي جوابها^(١)
 قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ خير ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على دينكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على ديني ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ كقوله عز وجل: ﴿فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾^(٢) يخوفهم أنهم إن ثبتوا على دينهم، جاءهم العذاب ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾.

قال محمد: المعنى: أنهم قد بعدوا من رحمة الله - تعالى - ونصب (بُعْدًا) على المضمر^(٣)؛ يقال: بُعِدَ - بكسر العين - يَبْعُدُ؛ إذا كان بُعْدَ هَلَكَةٍ، وَبُعْدَ بضم العين يَبْعُدُ بُعْدًا؛ إذا نأى^(٤).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ ﴿٩٦﴾ إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيْمُهُ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۖ ﴿٩٧﴾ يَتَّبِعُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ۖ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ۖ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَىٰ نَقَضُكُمْ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ ۖ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته ﴿وسلطان مبين﴾ حجة بينة.

(١) ديوان الفرزدق (٨٦). وهو من بحر الطويل. ورواية الديوان هي:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي لذيك ولا يعي علي جوابها

(٢) الأعراف: ٧١.

(٣) أي: المؤكّد للفعل. ينظر: البحر المحيط (٥/٢٥٨).

(٤) حيث أرادت العرب أن تفرق بين المعنيين بتغيير البناء، فقالوا: بُعِدَ ضد القرب، وَبُعِدَ ضد السلامة. ينظر: الدر المصون (٤/١٢٧).

قال محمد: والسلطان إنما سُمِّيَ سُلْطَانًا؛ لأنه حُجَّةُ اللَّهِ - عز وجل - في أرضه .

﴿وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة﴾ أي: يقودهم إلى النار؛ حتى يدخلها هو وقومه .

﴿وأتبعوا في هذه﴾ يعني: الدنيا ﴿لعنة﴾ يعني: العذاب الذي عذبهم به من الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ أي: وأتبعوا يوم القيامة لعنة ﴿بشس الرشد المرفود﴾ قال عطاء: ترادفت عليهم من الله - عز وجل - لعنتان: لعنة بعد لعنة؛ لعنة الدنيا، ولعنة الآخرة.

قال محمد: وقيل: المعنى: بشس العطاء المعطى.

﴿ذلك من أبناء القرى نقصه عليك منها قائم﴾ تراه قد هلك أهله، ومنها حصيد﴾ لا ترى له أثرًا.

﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُّونَ النَّارَ لَئِنْ كُنَّا فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِيلَيْكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا سَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وما زادوهم غير تتيب﴾ غير تخسير ﴿وذلك يوم مشهود﴾ يشهده أهل

السماء وأهل الأرض ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ .

يحيى: عن فطر، عن أبي الطفيل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ خَلَقَ أَحَدُكُمْ يُجْمَعُ فِي بطنِ أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون أربعين يوماً علقَةً، ثم يكون أربعين يوماً مضغَةً، ثم يبعثُ الملك فيؤمر أن يكتب أربعاً: رزقه وعمله وأجله وأثره، وشقيّاً أو سعيداً. والذي لا إله غيره؛ إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراعٌ؛ فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار حتى يدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبين النار إلا ذراعٌ؛ فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).

قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ قال قتادة: هذا حين يقول الله - عز وجل - لهم: ﴿اخشثوا فيها ولا تكلمون﴾^(٢) فيقطع كلامهم؛ فما يتكلمون بعدها بكلمة إلا هواء الزفير والشهيق؛ فشبه أصواتهم بأصوات الحمير؛ أولها زفير، وآخرها شهيق.

قال محمد: اختلف القول في الزفير والشهيق: ذُكِرَ عن الخليل^(٣)؛ أنه قال: الشهيق رُذُ النَّفْسِ، والزفير إخراج النفس. وقيل: الزفير صوت المكروب بالأنين، والشهيق أشد منه ارتفاعاً^(٤).

(١) لم أجده من طريق أبي الطفيل، ورواه البخاري (٦/٣٥٠ رقم ٣٢٠٨) ومسلم (٤/٣٤٠ رقم ٢٦٤٣) وغيرهم من طريق زيد بن وهب عن ابن مسعود.

(٢) المؤمنون: ١٠٨.

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أستاذ سيويه، وأشهر علماء العرب على الإطلاق (توفي نحو ١٧٥هـ) ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة (١/٣٤١).

(٤) ينظر ذلك بأكثر منه استطراداً في لسان العرب (زفر)، (شهِق).

﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ الجنة في السماء، والنار في الأرض؛ وذلك ما لا ينقطع أبدًا ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم؛ قال: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾^(١) قال: زمرة تدخل بعد الزمرة.

وفي تفسير السدي: إلا ما شاء ربك لأهل التوحيد. الذين (ل) (١٥١) يدخلون النار؛ فلا يدومون فيها يُخْرَجُونَ منها إلى الجنة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُئِلُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾^(١٥٨) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾^(١٥٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ ذِكْرًا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾^(١٦٠) وَإِنْ كَلَّا لَأَنَّا لَبُوقَاتِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١٦١)

﴿وأما الذين سعدوا...﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم؛ قال: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾^(٢) قال: زمرة تدخل بعد الزمرة.

وفي تفسير السدي: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار.

﴿عطاء غير مجذوذ﴾ أي: غير مقطوع.

﴿فلا تك في مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب.

(١) الزمر: ٧١

(٢) الزمر: ٧٣

﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم﴾ أي: إلا ما كان يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ من قبل؛ أي: كانوا يعبدون الأوثان ﴿وإننا لموفوهم نصيبهم﴾ من العذاب ﴿غير منقوص﴾.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ أي: آمن به قوم وكفر به قوم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا. ﴿لقضي بينهم﴾ أي: لقضى الله بينهم في الدنيا؛ فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولكن أخر ذلك إلى يوم القيامة.

﴿وإن كلاً لما ليوفيهم ربك أعمالهم﴾ يعني: الأولين والآخرين. قال محمد: ومن قرأ ﴿وإن كلاً لما﴾ بتخفيف (إن ولما) ^(١) فالمعنى: إن كلاً ليوفيهم وتكون (ما) صلة، ونصب (كلاً) بيان؛ لأن من النحويين من يقول في (إن) الخفيفة: أصلها (إن) المشددة، فإذا أدخل عليها التخفيف نُصِبَ بها على تأويل الأصل ^(٢).

﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعَمُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَسْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿وَأَقْرِضْ مَلَكُوتَ ظُلْمٍ مِنَ النَّارِ وَرُفَاً مِنَ النَّارِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وفي هذه الآية قراءات كثيرة . ينظر: السبعة (٣٣٩)، النشر (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١)، الحجة (١٩٠)، البحر (٥/ ٢٦٦).

(٢) وفي هذا الآية كلام كثير للنحاة لخصها السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ١٣٥ - ١٣٦).

الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا بِهِ وَكَانُوا بِجُرْمِهِمْ ﴿١٧٦﴾

﴿فاستقم كما أمرت﴾ على الإسلام ﴿ومن تاب معك﴾ يعني: المؤمنين الذين تابوا من الشرك ﴿ولا تطفئوا﴾ فترجعوا عن الإسلام.

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ قال قتادة: يقول: لا تلحقوا بالشرك، فتمسك النار؛ أي: تدخلوها.

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ أن تقام على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. وطرفا النهار؛ في الطرف الأول صلاة الصبح، وفي الطرف الآخر الظهر والعصر ﴿وزلفاً من الليل﴾ يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء الآخر، وزلف الليل: أدانيه - يعني: أوائله.

قال محمد: واحد الزلف: زلفه؛ يقال: أزلفني عندك كذا؛ أي: أداني^(١)، ونصب ﴿طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ على الظرف؛ كما تقول: جئت طرفي النهار وأوائل الليل^(٢).

﴿إن الحسنات﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾ يعني: ما دون الكبائر.

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن؛ ما اجتنبت الكبائر»^(٣).

(١) وقربني. لسان العرب (زلف).

(٢) أي: ظرف الزمان. والزلفة: أول ساعات الليل، قاله ثعلب. وقال الأخفش وابن قتيبة: الزلف ساعات الليل وأناؤه، وكل ساعة منه زلفة. فلم يُخصَّص بأول الليل. ينظر: الدر المعصون (١٤٥/٤ - ١٤٦) لسان العرب (زلف).

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في زوائده (٤٩ رقم ١٠٥) - من طريق =

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كان من القرون من قبلكم أولو بقية﴾ يعني: طاعة.
 ﴿ينهبون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ يقول: لم يكن
 ذلك إلا قليلاً ممن أنجينا من المؤمنين .
 ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ يعني: المشركين اتَّبَعُوا الدنيا، وما
 وَسَّعَ اللَّهُ - عز وجل - عليهم فيها .
 قال محمد: أصل الترفُّه: السَّعة في العيش، والإسراف في التمتع .
 المعنى: اتبعوا ما أعطوا من الأموال وأثروه^(١)؛ ففتنوا به .

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
 لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٧٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَفَعَلَتْ
 كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٩﴾ وَكُلًّا قَبَضْ عَلَىٰكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الرُّسُلِ مَا تُنَبِّئُ بِهِمْ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٠﴾
 ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولا يزالون
 مختلفين﴾ يعني: الكفار ﴿إلا من رحم ربك﴾ وهم المؤمنون؛ لا يختلفون
 في البعث كما اختلف الكفار فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: ولذلك خلق أهل
 الرحمة ألا يختلفوا .

= أبي الأشهب عن الحسن به .

ورواه الإمام أحمد (٤١٤/٢) والطبراني في مسنده (٣٢٤ رقم ٢٤٧٠) وابن عبد البر في
 التمهيد (٤٩/٤ - ٥٠) من طرق عدة عن الحسن عن أبي هريرة متصلاً .
 ورواه مسلم في صحيحه (٢٠٩/١ رقم ٢٣٣) من طريق عبد الرحمن بن يعقوب مولى
 الحرقة ومحمد بن سيرين وإسحاق مولى زائدة عن أبي هريرة به .

(١) مأخوذ من الثراء؛ وهو كثرة المال . لسان العرب (ثرو) .

﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي: سبقت ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني: أهل النار من الجن والإنس .

﴿وكلًا نقص عليك من أنباء الرسل﴾ من أخبار الرسل ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ [. . .] ^(١) أن الأنبياء قد لقيت من الأذى ما لقيت .

قال محمد: (كلًا) منصوب بـ (نقص) ^(٢) المعنى: كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك، ومعنى تثبيت الفؤاد: تسكين القلب (ل١٥٢) من السكون، ولكن كلما كان الدلالة عليه والبرهان أكبر كان القلب أثبت أبدًا؛ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ ^(٣) .

﴿وجاءك في هذه الحق﴾ قال الحسن: وجاءك في هذه الدنيا .

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ وَأَنْتُمْ لَا تُغْنَوْنَ إِنَّا مُنْظَرُونَ ﴿١٦٨﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على كفركم؛ يخوفهم العذاب؛ إن ثبتوا على كفرهم ﴿إنا عاملون وانتظروا﴾ ما ينزل من عذاب الله - عز وجل - ﴿إنا منتظرون﴾ .

﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي: لا يعلمه إلا هو ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ يوم القيامة .

﴿فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ .

(١) طمس في الأصل .

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى ينظر: البحر المحيط (٢٧٤/٥) الدر المصون (١٤٨/٤) .

(٣) البقرة: ٢٦٠ .

تفسير سورة يوسف وهي مكتبة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

قوله: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ يعني: هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البين ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلسان عربي ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تعقلوا ما فيه فتؤمنوا ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قال قتادة: من الكتب الماضية، وأمور الله السالفة في الأمم ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: بوحينا إليك هذا القرآن ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل أن ينزل عليك القرآن ﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (١).

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤) قَالَ بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَمَّا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾ الآية، فتأولها يعقوب أنَّ اخوة يوسف - وكانوا أحد عشر رجلاً - وأبويه سيسجدون له.

﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يحسدونك ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رِبْكَ﴾ أي: يختار لك اللبوة ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قال مجاهد: يعني: تَغْيِيرِ الرُّؤْيَا.

وقال الحسن: يعني: عواقب الأمور التي لا تُعْلَمُ إلا بوحي نبوة ﴿وَيَمُنُّ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ وكان الله أعلمه أنه سيعطي ولد يعقوب كلهم النبوة.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِطِينَ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَزَلْنَا وَنَحْنُ عَصَبُهُ إِذْ أَبَاكَ لَنِيَ ضَلُّكَ تُبِينُ (٨) أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبُلْ لَكُمْ رِجْلَهُ أَيْسَكُمُ الذَّنْبُ أَنْ تُعَدِّوهُ قَوْمًا مُّصِلِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَفْعَلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غِيَبَتِ الْغَيْبِ يَلْعَنُوهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَبْنَآكَ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يُجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْغَيْبِ وَأَرْسِلْنَا إِلَيْهِ لِنَبْتَلَهُمْ فِي آيَاتِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَبْنَآكَ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَنَرْجِعُنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنُونٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ أي: عبرة لمن كان سائلاً عن حديثهم ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ أي: من الرأي، ليس يعنون: ضلالة في الدين ﴿مبين﴾ بين ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾ ولم يكونوا يوم قالوا هذه المقالة أنبياء ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ يعنون: تصلح منزلتكم عند أبيكم؛ في تفسير الحسن.

وقال غيره: يعنون: تتوبون من بعد قتله ﴿قال قائل منهم﴾ هو روبيل؛ في تفسير قتادة ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب﴾ أي: بعض نواحيها. قال محمد: كل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيبة^(١)، وكذلك قرأ يحيى (غيابة الجب)^(٢).

﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ أي: بعض من يمر في الطريق. ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ قال محمد: قرأه أهل المدينة ﴿يرتع﴾ بالياء وكسر العين، ﴿ويلعب﴾ بالياء أيضاً^(٣)؛ المعنى: كأنهم قالوا: يرعى ماشيته ويلعب في جمع السعة والسرور. ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾ قال محمد: يقال: الغضبة من العشرة إلى الأربعين.

﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب﴾ أي: اتفقوا وألقوه

(١) لسان العرب (غيب).

(٢) وهي قراءة السُّبَّة إلا نافعاً؛ فقد قرأ (غيايات) جمعاً. ينظر: السبعة (٣٤٥)، النشر (٢/ ٢٩٢)، الحجة (١٣٣).

(٣) وهي قراءة نافع وفي هذه الآية قراءات كثيرة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٦٢)، التيسير (١٢٨)، السبعة (٣٤٥)، البحر (٢٨٥/٥).

في الجب ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ قال قتادة: أناه وحى الله وهو في البئر بما يريدون أن يفعلوا به ﴿وهم لا يشعرون﴾ بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم.

﴿وجاءوا أباهم عشاءً يبكون﴾ قال محمد: (عشاء) منصوب على الظرف^(١).

﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ أي: ولو صدقتك. قال محمد: قيل: المعنى: (ل١٥٣) ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لأتهمتنا في يوسف؛ لمحبتك فيه، وظننت أنا قد كذبتناك.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٥٤﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبَتْشَرِي هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُهُمْ يَضَعُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٥﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٥٦﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأِيكُمْ أَكْثَرِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ لطحوا قميصه بدم سخلة.

قال محمد: المعنى: دمٌ مكذوبٌ فيه.

﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي: زينت ﴿أمراً فصبر جميل﴾ أي: ليس فيه جزع.

(١) أي: ظرف الزمان. وقيل: نصب على الحال باعتبار أن (عشاء) جمع (عاش)، مثل (قيام) جمع (قائم) ينظر الدر المصون (٤/١٦٢).

قال الحسن: وكان يعقوب قد علم بما أعلمه الله أن يوسف حيٌّ، ولكنه لم يعلم أين هو؟

قال محمد: (صَبْرٌ جميل) مرفوعٌ على معنى: فالذي اعتقده: صَبْرٌ جميل، ويجوز أن يكون على معنى: (فصبري صَبْرٌ جميل)^(١).

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم﴾ الوارد: الذي يرد الماء؛ ليستقي للقوم ﴿فأدلى دلوه﴾ في الجب؛ وهي بئر بيت المقدس.

قال محمد: يقال: أدليتِ الدَّلْوُ؛ إذا أرسلتها لتملاها، ودلوتها؛ إذا أخرجتها^(٢).

قال قتادة: فلما أدلى دلوه تشبَّثَ بها يوسف، فقال الذي أدلى دلوه: (يا بشرائي)^(٣) يقول لصاحبه: ما البشري؟ قال له صاحبه: ما وراءك؟ أو ما عندك؟ قال: ﴿هذا غلامٌ﴾ فأخْرَجُوهُ ﴿وأسروه بضاعة﴾ قال مجاهد: صاحب الدلو ومن كان معه قالوا لأصحابهم: إنما استَبْضَعْنَاهُ خيفة أن يشركوهُم فيه.

﴿وشروه﴾ أي: باعوه ﴿بِشْمَنِ بَخْسٍ﴾ أي: حرام لم يكن يحل بيعه.

﴿دراهم معدودة﴾ قال مجاهد: باعوه باثنين وعشرين درهماً.

﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يعني: الذين التقطوه، وزهادتهم فيه أنهم لم يكونوا يعرفون منزلته من الله؛ فباعوه من ملكٍ مُضَرٍّ.

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه﴾ أي: منزلته ﴿عسى أن

(١) ينظر: الدر المصون (٤/١٦٤).

(٢) لسان العرب (دلو).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن كثير، وابن عامر. وفيها قراءات كثيرة غير ذلك. ينظر: السبعة (٣٤٧)، النشر (٢/٢٩٣)، الحجة (١٩٤)، البحر (٥/٢٩٠).

ينفعنا أو نتخذه ولذا ﴿أي: نتبأه﴾ . قال الله: ﴿وكذلك مكننا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرض مصر، وما أعطاه الله .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَيْنَاهُ حَكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَوْتُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَازِلَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِدُوٍّ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَ رَبِّيَ كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصُومُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَيْصُومُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ كَانَ قَيْصُومُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُومُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْفَاطِيئِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ولما بلغ أشده﴾ يقال: بلغ عشرين سنة ﴿أتيناه حكمة وعلمًا﴾ يعني: الرسالة.

﴿وقالت هيت لك﴾ أي: هلم لك .

وتقرأ: (هيت لك) بفتح الهاء وتسكين الباء ^(١).

(١) وهي لأبي عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وفيها قراءات كثيرة أخرى. ينظر: السبعة (٣٤٧)، النشر (٢/٢٩٣)، البحر (٥/٢٩٤)، المحشوب (١/٣٣٧ - ٣٣٨).

قال محمد: يقال: هَيْتَ فلانٌ بفلان؛ إذا صاح به^(١).

قال الشاعر:

قد رابني أن الكرى أنسكتا لو كان مغنياً بها لهيئنا^(٢)
قوله: ﴿قال معاذ الله إنه ربي﴾ أي: سيدي - يعني: العزيز ﴿أحسن
منواي﴾ أي: أكرم منزلي.

قال أبو عبد الله الشامي: أول ما قالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك!
قال: أما إنه أول شيء يتلى مني.

﴿ولقد هممت به﴾ يعني: ما أردته حين اضطجعت له ﴿وهم بها﴾ يعني:
حلّ سراويله^(٣) ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال مجاهد: مُثِّلَ له يعقوبُ
فاستحي منه، فصرف الله عنه وأذهب كلَّ شهوةٍ كانت في مفاصله^(٤).

(١) لسان العرب (هيت).

(٢) البيت من الرجز، وقائله مجهول. ينظر لسان العرب (هيت)، تفسير القرطبي (١٦٥/٩).
(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٤٨/١٥ - ١٤٩) في كلامه على نبي الله
يوسف ﷺ: وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه
وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل، وقعد منها مقعد الخاتن، ونحو
هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل
الكتاب، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغيصهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا،
وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه،
فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه؟! والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام
والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره.

راجع: مجموع الفتاوى (١٣٨ - ١٥٠)، وتفسير القرطبي (١٦٥ - ١٦٩) وأضواء
البيان (٤٩/٣ - ٦٠) وغيرها.

(٤) قال ابن كثير بعد أن ذكر أقوال المفسرين في تفسير ذلك البرهان (٥٧٤/٢): قال ابن جرير:
والصواب أن يقال أنه رأى آية من آيات الله تزيجه عما كان هم به، وجائز أن يكون صورة
يعقوب، وجائز أن يكون صورة الملك، وجائز أن يكون ما رآه مكتوباً من الزجر عن ذلك، =

قال الله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء...﴾ الآية، فولّى هارباً واتبعته ﴿واستبقا الباب﴾ فسبقها إليه ليخرج ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أي: شقته من خلفه. ﴿وألفيا سيدها﴾ أي: زوجها ﴿لدى الباب﴾ عند الباب. ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ قال قتادة: رجل حكيم كان من أهلها؛ قال: القميص يقضي بينهما؛ إن كان قُد من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُد من دُبُر فكذبت وهو من الصادقين.

﴿فلما رأى قميصه قُد من دُبُر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ ثم قال ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ أي: لا تذكره: احبسه، وقال لها: ﴿استغفري لذنبك﴾^(١) من زوجك، واستغفیه ألا يعاقبك ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ يعني: الخطيئة.

قال محمد: يقال: خطى الرجل يخطأ خطأ؛ إذا تعدد الذنب فهو خاطئ، والخطيئة منه^(٢): أخطأ يخطئ؛ إذا لم يتعمد، والاسم منه: الخطأ^(٣).

﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مَكْئَلًا وَآتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

= ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك، والصواب أن يطلق كما قال الله تعالى. اهـ

وانظر تفسير ابن جرير الطبري (١٣/١٩١).

(١) هناك لحق على حاشية الأصل غير واضح.

(٢) أي: الاسم منه: الخطيئة.

(٣) قال الأموي: المخطئ من أراد الصواب، فصار إلى غيره، والخطأ: من تعدد مالا ينبغي.

وقال أبو عبيدة: خطئ وأخطأ بمعنى. لسان العرب، مختار الصحاح (خطئ).

بَشْرًا إِن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتُ عَنْ نَفْسِي.

فَأَسْتَعِمْ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٢﴾

(ل ١٥٤) ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز﴾ يعني: عز الملك ﴿تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا﴾ قال مجاهد: أي: دخل حبه في شغافها. قال الكلبي: الشغاف: حجاب القلب ﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ قال السدي: يعني: في خسران بين من حُب يوسف.

﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ أي: بغيتهن ﴿أرسلت إليهن﴾ وأرادت أن توقعهن فيما وقعت فيه ﴿وأعتدت﴾ أي: أعدت ﴿لهن متكئا﴾ قال مجاهد: يعني: مجلسا وتكاة.

قال يحيى: وهي تقرأ (مُتَكَا) قال بعضهم: هو الأترج^(١).

قال محمد: (المتكا) بالثقل: هو ما اتكأت لحديث، أو طعام، أو شراب^(٢).

﴿وأتت كل واحدة منهن سكيئا﴾ ليقطعن ويأكلن، وقالت ليوسف: ﴿أخرج عليهن فلما رأيته أكبرنه﴾ أي: أعظمه أن يكون من البشر. ﴿وقطعن أيديهن﴾ أي: حزنن لا يعقلن ما يضرن ﴿وقلن حاش لله﴾ قال مجاهد: يعني: معاذ الله ﴿ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك﴾ من ملائكة الله ﴿كريم﴾ على الله.

(١) قال الفراء: واحدة المتك: متكة مثل يسر ونسرة؛ وهو الأترج. وقال مثل ذلك ابن سيده، وحكاه الأخفش. ينظر لسان العرب (متك) وتُنسب هذه القراءة إلى ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة، وغيرهم. ونسبها صاحب اللسان إلى أبي رجاء العطاردي. ينظر: البحر (٣٠٢/٥)، المحجب (٣٣٩/١)، معاني القرآن للفراء (٤٢/٢).

(٢) لسان العرب (وكا).

قال محمد: يقال: حاشى لله، وحاشى لله - بياء وبغير ياء -، وأضله في اللغة: البراءة^(١)؛ أي قد برأه الله من ذلك، وانتصب (بشراً) بخير (ما) لأن (ما) في لغة أهل الحجاز معناه معنى (ليس) في النفي^(٢).

﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي: امتنع.

﴿وليكونا من الصاغرين﴾ أي: من الأذلاء.

﴿قَالَ رَبِّ اٰلَيْسَ اَحَبُّ اِلَىَّ مِمَّا بَدَعْتَنِيْ اِلَيْهِ وَاِلَّا تَصْرِفْ عَنِّيْ كَيْدَهُنَّ اَصْبُ اِلَيْهِنَّ وَاَكُنْ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ﴾ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَمْ رِيْثُمْ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ اِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيْمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْۢ بَعْدِ مَا رَاُوْا الْآٰيٰتِ لَيْسَ جُنُودُهُمْ حَتَّىٰ يَخِيْبُوْهُمْ (٣٥)

﴿ولا تصرف عني كيدهن﴾ قال الحسن: قد كان من النسوة عون لها عليه ﴿أصب إليهن﴾ أي: أتابعهن.

قال محمد: المعنى: أمل إليهن مثل جهل وصبا؛ يقال: صبا فلان إلى اللهو يضبو صبا؛ إذا مال إليه^(٣). قال دريد بن الصمة^(٤):

صَبَا مَا صَبَا حَتَّىٰ عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَا قَالَ لِلْبَاطِلِ اَبْعِدِ^(٥)

(١) ولا يقال: حاش لك قياساً عليه، وإنما يقال: حاشاك، وحاشى لك. وعذما النحويون من الأدوات المترددة بين الحرفية والفعلية فإن جرت فهي حرف، وإن نصبت فهي فعل وهي من أدوات الاستثناء لسان العرب، مختار الصحاح (حوش) الدر المصون (٤/١٧٥).

(٢) أي: ترفع الاسم وتنصب الخبر. ينظر: الدر المصون (٤/١٧٩).

(٣) وورد في لسان العرب: صبا يصبو صبوةً وصبواً. لسان العرب (صبو).

(٤) قتل يوم حنين مشركاً، في العام الثامن للهجرة، واختلف المؤرخون في مبلغ سنه. ينظر المعمرون (٢٧ - ٢٨)، تاريخ الطبري (٣/٧٠ - ٧٩).

(٥) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٦٩)، جمهرة اللغة (١/٢٤٥)، المثل السائر لابن الأثير (٢/٢٠٧).

﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ قال مجاهد: يعني: قد القميص من دُبُر.

﴿ليسجنته حتى حين﴾ قال الكلبي: بلغنا أنها قالت لزوجها: صدقته وكذبتني، وفضحتني في المدينة، فأنا غير ساعية في رضاك إن لم تسجن يوسف، وتسمع به وتغذرنني؛ فأمر بيوسف يحمل على حمار، ثم ضرب بالطل: هذا يوسف العبراني، أراد سيده على نفسها فطوف به أسواق مصر كلها، ثم أدخل السجن.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَدْتُ اعْتَصِرَ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَدْتُ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا يَا وَيْلَهُ إِنَّا زَيْنَبُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا يَأْوِيلُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَيْكَ رَيْبٌ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْنَعِي السِّجْنَ مَازِيَابٌ مُتَفَرِّقَاتٌ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَعَتُ بِهِنَّ أَنْتُمْ وَإِبَائُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنْتُمْ لَجَ مِنْهُمَا أَذْكُرْني عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ السَّيْطَانُ فَكَهَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السِّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (أَغْصِرُ عنبًا)^(١).

﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (ثريدًا) أي: قِصْعَةً من ثريد^(٢).

﴿إنا نراك من المحسنين﴾ قال قتادة: كان إحسانه - فيما بلغنا - أنه كان يداوي جزحاهم، ويعزي حزينهم، ورأوا منه إحسانًا فأحبوه على فعله، وكان الذي قال: إني أراني أعصر خمراً ساقى الملك على شرابه، وكان الذي قال: إني أراني أحمل فوق رأس خبزًا خباز الملك على طعامه.

﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾ أي: بمجيئه ﴿قبل أن يأتيكما﴾ أي: من قبل أن يأتيكما ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ أي: بما يطلعني الله عليه ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ يعني: النبوة التي أعطاهم ﴿وعلى الناس﴾ أي: وفضله على الناس؛ يعني: الإسلام ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿يا صاحبي السجن﴾ يعني: الفتيان اللذين سُجِنُوا معه ﴿الآرباب متفرقون﴾ يعني: الأوثان التي تعبدون من دون الله من صغير وكبير ووسط ﴿خير أم الله﴾ أي: أن الله خيرٌ منهم ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ من حُجَّة ﴿يا صاحبي السجن﴾ أما أحكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر (ل١٥٥) فيُضْلَب فتأكل الطير من رأسه ﴿قال لساقى الملك: أما أنت فترد على عملك. وقال للخبار: وأما أنت فتُضْلَب فتأكل الطير من رأسك.

قال الكلبي: لما عبّر لهما الرؤيا قال الخباز: يا يوسف، لم أر شيئاً! قال:

(١) وهي قراءة أبي بن كعب أيضاً. ينظر: البحر (٣٠٨/٥)، المحتسب (٣٤٣/١).

(٢) ينظر: البحر (٣٠٨/٥).

﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي: كالذي (قلته) ^(١) كذلك (يُقضى) ^(٢) لكما.

﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك﴾ أي: اذكر أمري عند سيدك - يعني: الملك ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ يعني: يوسف حين رغب إلى الساقى أن يذكره عند الملك، وذلك بعد ما لبث في السجن خمس سنين يتضرع إلى الله ويدعوه ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ قال قتادة: لبث في السجن بعد قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ سبع سنين عقوبة لقوله ذلك ^(٣).

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُ لِلرُّؤْيَا نَعِيمٌ﴾ ^(٤٣) قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَامَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلَالٍ ^(٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ^(٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ^(٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَاكًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ^(٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ^(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي

(١) في الأصل قلته.

(٢) في الأصل نقص.

(٣) هذا قول في تفسير الآية، والقول الثاني أن الضمير في قوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ عائد على الناجي، قال مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٧٩): هذا هو الصواب. اهـ.

ونصر هذا القول وأيده بالبراهين الساطعة شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٢ - ١١٨) فراجع فإنه نفيس.

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبع عجاف﴾ يعني: سبع بقرات عجاف ﴿وسبع سنبلات خضر﴾ أي: ورأيت سبع سنبلات خضر ﴿وأخرى يابسات﴾ أي: وسبعاً يابسات ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام .

قال محمد: الأضغاث واحداً؛ ضِغْثٌ؛ وهي الحزمة من النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضروبٌ مختلفة^(١)؛ المعنى: رؤياك أخلاطٌ ليست برؤيا بيّنة، وليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل .

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من السجن ﴿وإذْكَرَ بعد أمة﴾ يقول: ذكر يوسف بعد حين، وكان ابن عباس يقرؤها: (وإذْكَرَ بعد أمه)^(٢) قال قتادة: يعني: بعد نسيان: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأسلون﴾ وفيه إضمار، فأرسله الملك فأتى يوسف في السجن فقال: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ يعني: الصادق ﴿أفتنا في سبع بقرات﴾ أي: أخبرنا عن سبع بقرات سمان، الآية؛ فأجابه يوسف فقال: أما السبعُ البقرات السمانُ، والسبعُ السنبلات الخضر فهي سبع سنين تُخْصِبُ، وأما السبعُ البقراتُ العجافُ والسنابلُ اليابسات فهي سبع سنين مجدبةٌ ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ أراد: أنه إذا كان في السُّبُلِ كان أبقي له .

قال محمد: الدأبُ: الملازمة للشيء والعادة؛ يقال منه: دأبتُ أدأبُ دأباً^(٣) .

(١) لسان العرب (ضغث).

(٢) وكذلك الحسن والضحاك، وقاتدة وأبو رجاء وغيرهم. ينظر: البحر (٣١٤/٥) المحتسب (٣٤٤/١)، إتحاف الفضلاء (٣٦٥).

(٣) دأبت أدأبُ دأباً ودؤوتاً. لسان العرب (دأب).

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد﴾ يعني: سبع سنين مُجْدِبَةٍ ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ في السنين المخصبات ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ أي: تدخرون.
﴿ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يفاث الناس وفيه يعصرون﴾ قال قتادة: يعني: يعصرون العنب والزيتون.

قال محمد: قوله: ﴿فيه يفاث الناس﴾ من جعله من الغَيْثِ فهو من قولك: غاث الله البلاد يَغِيثُهَا^(١)، ومن جعله من التلاقي والتدارك فهو من أغثت فلاناً أغِيثَهُ إِغَاثَةً^(٢).

وقيل أن (يعصرون) معناه: ينجون، العُصْرَةُ في اللغة: النجاة^(٣). قال: فلما أُخْبِرَ الملك أن يوسف هو الذي عُبِّرَ الرؤيا قال اتنوني به.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ أَرْسُلُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَطَعَنَ أَيْدِيَهُمْ إِنْ رَبِّي يَكْفِيهِمْ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَدَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُمْ حَسْبُ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَدَدْتُهُمْ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعُ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾
﴿فلما جاءه الرسول﴾ قال له يوسف: ﴿ارجع إلى ربك﴾ أي: سيدك؛ هذا كان كلامهم يومئذٍ ﴿فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن...﴾ الآية، قال قتادة: أراد ألا يخرج حتى يكون له عذر. فأرسل إليهن الملك

(١) والاسم منه: الغَيْث. لسان العرب (غيث).

(٢) والاسم منه: الغَوْثُ والغِيَاث. لسان العرب (غوث).

(٣) لسان العرب (عصر).

فدعاهنَّ ﴿قال ما خطبكن﴾ ما حُجَّتْكُنَّ؟ ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشَ لله ما علمنا عليه من سوء﴾ قال السدي: أي: من زنا ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾ تبيّن ذلك ﴿ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ لما بلغ يوسف ذلك قال: ﴿ذلك ليعلم﴾ العزيز ﴿أنني لم أخنه بالغيب﴾ وكان الملك فوق العزيز ﴿وأنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ قال السدي: يعني: لا يصلح عمل الزناة، فلما قال هذا يوسف، قال له جبريل - فيما ذكر من (همهم) ^(١) يا يوسف، فما فعلت السراويل؟ فقال يوسف: ﴿وما (ل) (١٥٦) أبرئ نفسي...﴾ الآية ^(٢).

(١) كذا في الأصل ولعل المراد (هّم).

(٢) هذا على أن قائل ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب...﴾ هو يوسف عليه السلام، وفي الآية قول آخر، أن ذلك من قول امرأة العزيز، قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٤٨١/٢ - ٤٨٢): ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: تقول: الآن تبين الحق وظهر ويرز ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ أي: في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي؛ ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم زوجي أني بريئة ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته؛ لأن ﴿النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ أي: إلا من عصمه الله - تعالى - ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية رحمته الله فأفردَه بتصنيف على حدة، وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب...﴾ الآية - أي: إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿أنني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين...﴾ الآية، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواء اهـ. ثم ساقه من تفسير الطبري بإسناده عن ابن عباس، وقال: وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي هذيل والضحاك والحسن وقادة والسدي، والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك؛ ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك اهـ.

﴿وَقَالَ أَلَيْكَ أَتُّؤَيِّدُ بِهِ أَسْتَوَلِيهِ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥١﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَا نُجْزِ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إنك اليوم لدينا﴾ عندنا ﴿مكِين﴾ في المنزلة ﴿أمين﴾ من الأمانة، فولاه الملك، وعزل العزيز ﴿قال﴾ يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ يعني: أقوات أرض مصر ﴿إني حفيظ﴾ لما وليت ﴿عليهم﴾ بما يصلحهم من ميرتهم ﴿وكذلك مكننا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرض مصر ﴿يتبوا منها حيث يشاء﴾ أي: ينزل. قال السدي: باع منهم قوتهم عامًا بكل ذهب عندهم، ثم باعهم عامًا بكل فضة عندهم، ثم باعهم عامًا بكل نحاس عندهم، ثم باعهم عامًا بكل رصاص عندهم، ثم باعهم عامًا بكل حديد عندهم، ثم باعهم عامًا برباب أنفسهم؛ فصارت رقابهم وأموالهم كلها له ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول: ما يعطي الله في الآخرة أوليائه خير من الدنيا.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِمَهَازِهِمْ قَالَ أَتُّؤَيِّدُ بَعْضَكُمْ أَلَّا تُؤَدُّوا إِلَيَّ الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهٖ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٥٧﴾ قَالُوا سَتَرِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَنَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ لِيُوسُفَ اجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَمَعْنَهُمْ بِرَجْعَتِمْ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانِ نَكْتَلُ وَإِنَّا لَمَحْفُوظُونَ ﴿٦٠﴾﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ

قَبْلَ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٥﴾

﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ فأنزلهم وأكرمهم ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ من الميرة ^(١) ﴿قال اثنوني بأخ لكم من أبيكم﴾ قال قتادة: هو بنيامين أخو يوسف من أبيه وأمه ﴿وقال لفتيانهم﴾ يعني: غلمانهم ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ أي: دراهمهم في متاعهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ يقول: إذا رُدَّتْ إليهم بضاعتهم، كان أخرى أن يرجعوا إليَّ ﴿قالوا يا أبانا مُنِعَ منا الكيل﴾ فيما نستقبل؛ إن لم نأته بأخيـنا ﴿ونمير أهلنا﴾ إذا أرسلته معنا ﴿ونزداؤ كـيل بـعير﴾ وكان يوسف وعدَّهم - في تفسير الحسن - إن هم جاءوا بأخيهم أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن، والبـعير - في تفسير مجاهد - : الحمار؛ قال: وهي لغة لبعض العرب ﴿ذلك كيل يسير﴾ قال السدي: يعني: سريعاً لا حبس فيه.

قال الحسن: وقد كان القوم يأتونه للمير، فيحبسون الزمان حتى يُكـال لهم.

﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ وَقَالَ بَنِيُّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدُوا وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ

(١) هو الطعام الذي امتاروه. لسان العرب (مير).

فَلْيَسْأَلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

﴿إلا أن يحاط بكم﴾ أي: تُغلبوا عليه .

﴿فلما أتوه موثقهم﴾ عهدتهم ﴿قال الله على ما نقول وكيل﴾ أي: حفيظ لهذا العهد .

﴿وقال يا بني لا تدخلوا من بابٍ واحد﴾ قال قتادة: خشى على بنيه العين، وكانوا ذوي صورة وجمال .

﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ يعني قوله: ﴿لا تدخلوا من بابٍ واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ .

قال محمد: (إلا حاجة) يعني: لكن حاجة^(١)؛ يقول: لو قدر أن تصيهم العين لأصابتهم وهم مفترقون؛ كما تصيهم مجتمعين، لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها .

﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ قال الحسن: يعني: لما آتيناها من النبوة .

﴿ولمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَابَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ

مُؤَذِّنٌ ابْتَنَاهَا الْعَيْرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُوكَ ﴿٧١﴾ قَالُوا

تَفْقَدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ

(١) انظر توجيه النصب لكلمة (حاجة) من الدر المصون (٤/١٩٧)، البحر المحيط (٥/٣٢٥) -

عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَنْعَيْتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

﴿أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضمه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال الحسن: يقول: لا تغتم بما كان من أمرك ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ يعني: الميرة، ووفى لهم الكيل ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ والسقاية: إناء الملك الذي كان يُسْقَى فيه؛ وهو الصُّوَاع، وخرج إخوة يوسف وأخوهم معهم وساروا ﴿ثُمَّ أَدْنَى﴾ ^(١) مؤذناً نادى مُنَادٍ.

﴿أَيْتَاهَا الْعِيرَ﴾ يعني: أهل العير ﴿إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ .

﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كفيل .

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: يؤخذ به عبداً، وكذلك كان الحكم به عندهم؛ أن يؤخذ بسرقة عبداً يُسْتَعْدَم على قدر سرقة، وكان قضاء أهل مصر أن يغرم السارق ضعفي ما أخذ، ثم يُرْسَل؛ فقصوا على أنفسهم بقضاء أرضهم مما صنع الله ليوسف؛ فذاك قوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: على قضاء

(١) في الأصل: فأذن.

ملك مصر [...] ^(١) القضاء إليه ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

قال محمد: قيل: يعني: إلا بعلة كادها الله له (١٥٧) اعتل بها يوسف. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ قال الحسن: أجل والله لفوق كل ذي علم عليم؛ حتى ينتهي العلم إلى الذي جاء به وهو الله، وكل شيء فعله يوسف من أمر أخيه إنما هو شيء قبله عن الله.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون: يوسف، وكان جده أبو أمه يعبد الأوثان؛ فقالت له أمه: يا يوسف، اذهب فخذ القفّة التي فيها أوثان أبي ففعل وجاء بها إلى أمه، فتلك سرقة التي أرادوا ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ ممن قلتهم له هذا، قال قتادة: هذه الكلمة ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ هي التي أسر في نفسه ولم يبدها لهم وهذا من مقادير الكلام ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: إنه كذب.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَيَّ أَيْسَئُكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَشَلَّى الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْتُمْ

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
 ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ قال الكلبي: إن يوسف كان العزيز بعد العزيز سيده
 الذي ملكه.

﴿فُخِّذُوا أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ قال السُّدي: يعني احبس أحدنا مكانه .
 ﴿فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ﴾ يشعرون أن يرد عليهم أخاهم ﴿خَلَّصُوا نَجْيًا﴾ أي:
 جعلوا يتناجون ويتشاورون فيما بينهم في ذلك .
 قال محمد: نجى لفظ واحد في معنى جميع^(١)؛ المعنى: اعتزلوا
 متناجين .

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ وهو روبيل؛ في تفسير قتادة. وقال السُّدي: يعني:
 كبيرهم في الرأي والعلم، ولم يكن أكبرهم في السن .
 ﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يعني: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرجوع
 إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بالموت .
 ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ .

قال قتادة: يقول: ما كنا نرى أن يسرق ﴿وَأَسْأَلَ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية
 ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعني: أهل مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: أهل العير .
 ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: زينت ﴿أَمْرًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
 جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف وأخاه وروبييل .

(١) النجى على فعليل، والجمع: الأنجىة. قال الأخفش: وقد يكون النجى جماعة كالصديق .
 وقال الفراء: وقد يكون النجى والنجوى اسمًا ومصدرًا. لسان العرب، مختار الصحاح
 (نجى).

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَيُّضْتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾
 ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوًا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ
 ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ بَنِيَّ
 أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنَا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ
 إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وتولى عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى على يوسف﴾ أي: يا حزناً
 ﴿واييضت عيناه﴾ أي: عمي من الحزن، وقد علم بما أعلمه الله بالوحي أن
 يوسف حي، وأنه نبي، ولكنه لم يعلم حيث هو ﴿وهو كظيم﴾ قال الكلبي:
 أي: كמיד.

قال محمد: (كظيم) هو مثل كاظم، والكاظم: المُمسِكُ على حزنه لا
 يظهره ولا يشكوه^(١).

﴿قالوا تالله﴾ قَسَمَ ﴿فتفتأ تذكر يوسف﴾ قال قتادة: يعني لا تزال تذكر
 يوسف ﴿حتى تكون حرَضًا﴾ أي: تبلى ﴿أو تكون من الهالكين﴾ أي:
 تموت.

قال محمد: يقال: أحرضه الحزن إذا أدقعه^(٢).

﴿قال إنما أشكو بني﴾ هـي ﴿وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا

(١) كظيم: فعيل بمعنى فاعل. لسان العرب (كظم).

(٢) أي: أفسده، ويقال: رجل حَرَضٌ. قال أبو عبيدة: هو الذي أذابه الحزن، وهو في معنى
 (مُحَرَض). والحَرَض واحد وجمعه سواء؛ يقال: رجل حَرَضٌ، ورجال حَرَضٌ لسان
 العرب، مختار الصحاح (حرض).

تعملون ﴿ قال الحسن: يقول: أعلم أن يوسف حي ﴿ يا بني اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه ﴿ قال السدي: يعني تبحثوا عن خبرهما ﴿ ولا تئسّوا من روح الله ﴿ يعني: رحمة الله .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِضَاعَتِنَا مَرْجُلًا فَافْوَيْ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَوْ أَنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَرَصِيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيطِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ تَغْيِيرُ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقِمِيمِي هَذَا فَالْقَوَّةَ عَلَى وَجْهِ أَبِي بَاتِ بَصِيرًا وَأَتَوْفٍ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

﴿ فلما دخلوا عليه ﴾ يعني: رجعوا إلى مضر، فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفونه ﴿ قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضّر ﴾ يعني: الحاجة ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ أي: قليلة ﴿ فافوي لنا الكيل ﴾ ببضاعتنا ﴿ وتصدق علينا ﴾ قال قتادة: يعني: تصدق علينا بأخيـنا .

قوله: ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ أي: أن ذلك كان منكم بجهالة، ولم يكونوا حين القوه في الجب أنبياء ﴿ قالوا أأنك لأنت يوسف ﴾ على الاستفهام ﴿ قال أنا يوسف ﴾ .

﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم ﴾ قال محمد: لا تغيير، وأصل

التشريب: الإفساد^(١).

﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا﴾ أي: يرجع.

قال: ولولا أن ذلك علمه من وحي الله، لم يكن له به علم.

﴿ولما فصلت العير﴾ أي: خرجت الرفقة من مصر بالقميص وجد يعقوب ريح يوسف، قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ قال قتادة: وجد ريحه حين خرجوا (١٥٨ج) بالقميص من مصر، وهو بأرض كنعان، وبينهما ثمانون فرسخًا ﴿لولا أن تفندون﴾ يقول: لولا أن تقولوا: قد هرم، واختلط عقله؛ ففسهوني؛ أي: تجهلوني ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ يغنون: خسرانك من حب يوسف.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۚ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾ قَالُوا يَتَّبِعُنَا أَنْسَافٌ لَّنَا ذُنُوبُنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۝٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ ۚ إِنَّ نَزْعَ الشَّيْطَانِ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَالِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝١٠١﴾ ذَلِكَ مِن أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا

(١) لسان العرب (ثوب).

أَتَرَهُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾
 ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قال الحسن: يعني:
 من فرج الله ونعمته، وكان الله قد أخبره أنه حي.
 ﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ آخر ذلك إلى السحر.
 ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾ قال الحسن: أبوه وأمه التي ولدته.
 قال محمد: تقول: آوَيْتُ فلاناً؛ إذا ضممتُ إليك، وأويت - بلا مد - إلى
 فلانٍ إذا انضممت إليه^(١).

﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي: على سريريه؛ في تفسير قتادة ﴿وخرخوا له
 سُجْداً﴾ قال قتادة: وكان السُّجُود تحيةً من كان قبلكم، فأعطى الله هذه الأمة
 السلام؛ وهو تحية أهل الجنة.

﴿وجاء بكم من البدو﴾ وكانوا بأرض كنعان.

﴿توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ يعني: أهل الجنة، قال قتادة: لما
 جمع الله شمله وأقرَّ عينه^(٢)، ذكر الآخرة فاشتاق إليها؛ فتمنى [الموت]^(٣)
 ولم يتمنه نبي قبله.

﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعني: ما قصَّ على النبي من قصَّتهم من أول
 السورة إلى هذا الموضع ﴿وما كنت لديهم﴾ عندهم ﴿إذ أجمعوا أمرهم وهم
 يمكرون﴾ بيوسف.

(١) يقال: آوى إيوة، وآوى يَأْوِي أوِيًا وإِوَاءً. وعن أبي زيد: آواه وآواه، فعل وأفعل بمعنى واحد. لسان العرب، مختار الصحاح (أوى).

(٢) في الأصل يعينه.

(٣) طمس بالأصل، والسياق يقتضيه.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١١٤) ﴿وَكَايْنٍ مِنَ ءَالِيهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١١٥) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١١٦) ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١١٧)

﴿وما تسألهم عليه من أجر﴾ يعني: على القرآن من أجر، فيحملهم على تركه الغُرم ﴿إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يذكرون به الجنة والنار.

﴿وكاين من آية﴾ أي: وكَم من علامة ودليل ﴿في السموات والأرض﴾ أي: في خلق السموات والأرض تدلهم على توحيد الله ﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ أي: لا يتعظون بها.

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ تفسير قتادة: قال: إيمانهم أنك لا تسأل أحدا منهم إلا أنباك أن الله ربُّه؛ وهو في ذلك مشرك في عبادته. ﴿أفأمنوا﴾ يعني: المشركين ﴿أن تأتيهم غاشيةٌ من عذاب الله﴾ يقول هذا على الاستفهام؛ أي: بأنهم ليسوا بآمنين ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: غافلون؛ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة بالعذاب.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١١٨) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١١٩) ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَأٍ وَلَا يُرْدُ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٢٠) ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي

فَصَصِّهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾
 ﴿قل هذه سبيلي﴾ أي: ملتي ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾ على يقين
 ﴿وسبحان الله﴾ أمره أن ينزه الله عما قال المشركون.

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا من النساء، ولا من الجن.
 ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ يقول: قد ساروا في الأرض، فأروا آثار الذين أهلكهم الله من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم، كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار؛ يُحذِّرهم أن ينزل بهم ما نزل بالقرون من قبلهم ﴿ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتقوا﴾ خير لهم.

﴿حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ كان الحسن يقرؤها بالثقل (كُذِّبُوا)^(١) وتفسيرها: حتى إذا استيئس الرسل؛ أي: يش الرسل أن يُجيبهم قومهم لشيء قد علموه من قبل الله وظنوا؛ أي: علموا؛ يعني: الرسل أنهم قد كذبوا، التكذيب الذي لا يؤمن القوم بعده أبداً، استفتحوها على قومهم بالدعاء عليهم؛ فاستجاب لهم فأهلكهم.

وكان ابن عباس يقرؤها (كُذِّبُوا) خفيفة^(٢)، وتفسيرها: حتى إذا استيئس

(١) وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو؛ من السبعة. ينظر السبعة (٣٥١)، النشر (٢٩٦/٢)، الحجة (١٩٩).

(٢) خفيفة بالبناء للمعلوم. وتروى أيضاً عن مجاهد، والضحاك، وحמיד وقرأ (كُذِّبُوا) خفيفة بالبناء للمجهول وهي قراءة الكوفيين من السبعة. ينظر: البحر (٣٥٥/٥)، المحتسب (١/٣٥٠) الدر المصون (٢١٨/٤ - ٢١٩).

الرسل من قومهم أن يؤمنوا، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَّبوا ﴿جاءهم نصرنا﴾ عَذَابُنَا.

﴿فنجي من نشاء﴾ يعني: النبي والمؤمنين ﴿ولا يُرَدُّ بأسُنَا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين.

﴿لقد كان في قصصهم﴾ يعني: يوسف وإخوته ﴿عبرة﴾ معتبر ﴿لأولي الألباب﴾ العقول وهم المؤمنون.

﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي: يُخْتَلَق ويصنع؛ هذا جواب لقول المشركين: (ل ١٥٩) ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾^(١) أي: كذب اختلقه محمد.

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل﴾ أي: تبين ﴿كل شيء﴾ من الحلال والحرام والأحكام.

قال محمد: من قرأ ﴿تصديق﴾ بالنصب، فعلى معنى ما كان حديثاً يفترى، ولكن كان تصديق الذي بين يديه^(٢).

﴿وهدى ورحمة﴾ يعني: القرآن ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون.



(١) الفرقان: ٤ .

(٢) وهي قراءة الجمهور، وروي عن حمزة والكسائي القراءة بإشمام الصاد زايًا، مع النصب أيضًا. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٦٨)، البحر (٣٥٦/٥). وتأويل النصب ينظر من البحر المحيط (٣٥٦/٥)، الدر المصون (٢٢١/٤).

تفسير سورة الرعد

وهي مكية كلها إلا آية واحدة وهي ﴿ولا يزال الذين كفروا...﴾ إلى آخرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ تِلْكَ مَآئِثُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَلْقَوْنَ رِبْكَمُ ثَوَابُكُمْ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَةِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ آلِئِلَ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿الْمَرْ﴾ قد مضى القول في حروف المعجم فيما تقدم ﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب﴾ القرآن.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ تفسير الحسن: فيها تقديم: رفع السموات ترونها بغير عمد. وتفسير ابن عباس: لها عمد، ولكن لا ترونها ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ يعني: القيامة. وقال بعضهم: يجري مجرى لا يعدوه.

وقال محمد: ومعنى ﴿سخر الشمس والقمر﴾ أي: ذللها وقصرهما على ما أراد.

﴿يدبر الأمر﴾ يقضي القضاء في خلقه ﴿يفصل الآيات﴾ بينها ﴿لعلكم

بلقاء ربكم توقنون ﴿١﴾ يعني: البعث؛ إذا سمعتموها في القرآن.

﴿وهو الذي مدَّ الأرض﴾ أي: بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿وأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا﴾ أي: خلق فيها ﴿زُجُجِينَ اثْنَيْنِ﴾ أي: صنفَيْنِ.

قال محمد: قيل: إنه يعني: نوعين: حلوا وحامضاً، والزوج عند أهل اللغة: الواحد الذي له قرين.

﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ أي: يلبس الليل النهار فيذهب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهم المؤمنون .

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صُنُوفٌ وَغَيْرُ صُنُوفٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفُضٍ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْبَعْضِ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذْ ذَا كُنَّا تَرْبًا إِنَّا لَنَیْ خَلَقْ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ تفسير مجاهد: هي الأرض العذبة الطيبة تكون مجاورة أرضاً سبخة مالحة ^(١) ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صُنُوفٌ وغير صنُوف﴾ الصُنُوف من النخيل: النخلتان أو الثلاث من النخلات يكون أصلها واحداً ^(٢) ﴿يسقى بماء واحد﴾ يعني: ماء السماء؛ في تفسير

(١) الأنصح (بلحة) قال صاحب مختار الصحاح: ولا يقال: (مالح) إلا في لغة رديئة. مختار الصحاح، لسان العرب (ملح).

(٢) والواحدة: صنو، والاثنان: صنوان، والجمع: صنُونٌ. لسان العرب (صنو).

مجاهد ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ قال مجاهد: يقول: بعضها أطيب من بعض.

قال محمد: الأكل: كل ما يؤكل، والأكل مصدر أكلت^(١).

﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ فيعلمون أن الذي صنع هذا قادرٌ على أن يحيي الموتى.

﴿وإن تعجب فعجب قولهم...﴾ الآية، تفسير الحسن: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم إياك، فتكذيبهم بالبعث أعجب، وقولهم: ﴿أنذا كنا تراباً أننا لفي خلق جديد﴾ فقولهم ذلك عجب.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّْمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

﴿ويستعجلونك بالسيئة﴾ بالعذاب؛ وذلك منهم تكذيب واستهزاء ﴿قبل الحسنه﴾ يعني: قبل العافية ﴿وقد خلت من قبلهم المثلثات﴾ يعني: وقائع الله في الأمم السالفة ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ إذا تابوا إليه ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ لمن أقام على شركه.

﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ قال الله: ﴿إنما أنت منذر﴾ ولست من أن تأتيهم بآية في شيء ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي: داع يدعوهم إلى الله؛ في تفسير قتادة.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

(١) والمصدر أيضاً: مأثلاً. لسان العرب (أكل).

بِمَقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالْفَهْدَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَمْ تُعِقَبْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ. يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من ذكر أو أنثى ﴿وما تغيض الأرحام وما
تزداد﴾ تفسير الحسن: قال: الغيضة أن تلد لأقل من تسعة أشهر ﴿وما
تزداد﴾ يعني: أن تلد لأكثر من تسعة أشهر، الغيضة: النقصان^(١).

﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي: بقدر ﴿عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾
العلانية ﴿الكبير﴾ يعني: العظيم ﴿المتعال﴾ عما قال المشركون ﴿سواء منكم
من أسَرَ القول ومن جهر به﴾ يقول: ذلك عند الله سواء سره وعلايته ﴿ومن
هو مستخف بالليل﴾ أي: يظله الليل ﴿وسارب بالنهار﴾ أي: ظاهر، يقول:
ذلك (ل ١٦٠) كله عند الله سواء.

قال محمد: قيل: ﴿سارب﴾ معناه: ظاهر^(٢). وأنشد بعضهم لشاعر
يخاطب امرأة:

أَتَى سَرِيَّتٍ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَخْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(٣)

يقول: لم تكوني ممن يبرز ويظهر للناس، فكيف تخطيت البعد إلينا في

(١) لسان العرب (غيض).

(٢) يقال: سَرَبَ يَسْرُبُ سَرْوِيًّا: ظهر. لسان العرب (سرب).

(٣) البيت من بحر الكامل؛ وهو لقيس بن الخطيم. ينظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٩٠)، اللسان
(سرب).

سُرَاك؟! وقيل: معنى ﴿سارب﴾: ذاهب في حوائجه^(١)؛ ومن هذا قول القائل:
أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَخْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ^(٢)
أي: ذاهب .

﴿له معقبات﴾ لهذا المستخفي وهذا السارب معقبات: ملائكة ﴿من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ أي: بأمر الله، قال الحسن: هم أربعة أملاك: ملكان بالليل، وملكان بالنهار.

قال محمد: معنى ﴿معقبات﴾: أن يأتي بعضهم بِعَقِبِ بعض، وشُدَّت لتكثير الفعل^(٣).

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ المعنى: أن الله إذا بعث إلى قوم رسولا فكذبوه، أهلكهم الله ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءا﴾ يعني: عذابا ﴿فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ﴾ يمنعهم من عذاب الله.
قال محمد: ﴿والٍ﴾ أي: ولي يتولاهم دون الله.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۖ وَيُسْخِطُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ۝١٣﴾
﴿يريكُم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال قتادة: خوفًا للمسافر يخاف أذاه

(١) ويقال: ذاهب على وجهه في الأرض. مختار الصحاح (سرب).

(٢) البيت للأخس بن شهاب التغلبي ينظر: المفضليات (٢٠٨)، شرح ديوان الحماسة (٢/ ٧٢٨)، اللسان (سرب).

(٣) قال صاحب مختار الصحاح: هم ملائكة الليل والنهار؛ لأنهم يتعاقبون. وإنما أنث لكثرة ذلك منهم؛ كعلامة ونسابة. مختار الصحاح (عقب).

ومعرفته^(١)، وطمعا للمقيم يرجو بركته ويطمع في رزق الله . والبرق ضوء خلقه الله علما للمطر؛ في تفسير الحسن ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ قال مجاهد: هي التي فيها الماء ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ أي: والملائكة يسبحون أيضا بحمده من خيفته.

قال الكلبي: هو ملك اسمه: الرعد، والصوت الذي يسمع تنسيحه؛ يؤلف به السحاب بغضه إلى بعض، ثم يسوقه حيث أمر.

قال يحيى: وسمعت بعضهم يقول: البرق لمحة يلمحها إلى الأرض الملك الذي يزجر السحاب.

﴿ويرسل الصواعق﴾ وهي نار تقع من السحاب؛ في تفسير السدي.

قال يحيى: وقال بعضهم: إن الملك يزجر السحاب بسوط من نار، فربما انقطع السوط؛ فهو الصاعقة.

﴿فيصيب بها من يشاء﴾ قال عبد الله بن أبي زكريا: بلغني أنه من سمع الرعد؛ فقال: سبحان ربي وبحمده، لم تصبه صاعقة.

﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني: المشركين يجادلون نبي الله؛ أي: يخاصمون في عبادتهم الأوثان دون الله ﴿وهو شديد المحال﴾ قال مجاهد: يعني: القوة.

قال محمد: يقال: ماحلته محالا إذا قاوتته؛ حتى يتبين لك أيكما أشد^(٢).

(١) المعزة: المساءة والمكروه. لسان العرب (عرر).

(٢) ويقال: ماحلته محالا ومماحلة. لسان العرب (محل).

وقد قيل: المَحَال^(١): الحيلة؛ ومن هذا قول ذي الرُّمَّة^(٢):
وَلَيْسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ وَكُلٌّ
أَعَدُّ لَهُ الشُّغَاظُ وَالْمِحَالُ^(٣)
يعني: الكيد والمكر.

﴿لَمْ دُعَوْهُ لِقَآئِي وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبِغُهُ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ^(١٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَتَعْبُدُونَ دُونَهُ أَزْوَاجًا لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(١٦)

﴿له دعوة الحق﴾ هي لا إله إلا الله ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يستجيبون لهم بشيءٍ إلا كباسط كفيه﴾ إلى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه ﴿هذا مثل الذي يعبد الأوثان رجاء الخير في عبادتها هو كالذي يرفع يده الإناء إلى فيه يرجو به الحياة، فمات قبل أن يصل إلى فيه؛ فكذلك المشركون حيث رجوا منفعة آلهتهم ضلَّت عنهم ﴿وما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ آلهتهم ﴿إلا في ضلال﴾.

- (١) يفتح الميم أي ميم (المَحَال)، والمراد: الحظوظ وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور وفتح ميم (المَحَال) إحدى القراءات. ينظر: لسان العرب (حول).
(٢) وهو غيلان بن عتبة العدوي (ت ١٢٤هـ) تنظر ترجمته ومصادرهما في الأعلام (١٢٤/٥).
(٣) ويروى: فكل الخ. والبيت من بحر الوافر. ينظر ديوان ذي الرمة (٤٤٥). وفي اللسان والصحيح (شغزب): (أقوامي) بدل (أقوام). وينظر: الجهمرة (٣/٣١٠) وتاج العروس (شغزب) (١٥١/٣).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية، تفسير الحسن: قال: ولله يسجد من في السموات، ثم انقطع الكلام، فقال: والأرض - أي: ومن في الأرض ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أي: طائعا وكرها، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «والله، لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعا كمن دخله كرها».

قال الحسن: وليس يدخل في الكفر من ولد في الإسلام^(١).

﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ الآصال: العشي، تفسير السدي: إذا سجد (...)^(٢) الأشياء سجد ظلّه معه.

﴿قُلْ (لِ ١٦٦) مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ فإذا أقروا بذلك فقل: ﴿أَفَتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: أوثانهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وهذا استفهام على معرفة؛ أي: قد فعلتم.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ وهذا مثل الكافر والمؤمن؛ الكافر أعمى عن الهدى، والمؤمن أبصر الإيمان ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ على الاستفهام؛ أي: أن ذلك لا يستوي.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ تفسير الحسن: يقول: هل يدعون أن تلك الأوثان خلقت مع الله شيئا؛ فلم يدروا أي الخالقين يعبدون؛ هل رأوا ذلك؟ وهل يستطيعون أن يحتجوا به على الله يوم القيامة؟ أي: أنهم لا يدعون ذلك، وأنهم يقرون أن الله خلق كل شيء، فكيف عبدوا هذه الأوثان من دون الله؟! ثم قال الله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

(١) لم أقف عليه الآن بهذا اللفظ.

(٢) طمس في الأصل.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِۦ أُولَٰئِكَ هُمُ السُّوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ ﴿٨﴾

﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ الكبير بقدره، والصغير بقدره ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ يعني: عاليا فوق الماء، إلى قوله: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والكافر، فأما قوله: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ فإنه يعني: الذهب والفضة؛ إذا أذنيا فعلا خبثهما؛ وهو الزبد، وخلص خالصهما تحت ذلك الزبد ﴿أو متاع﴾ أي: وابتغاء متاع ما يستمتع به ﴿زبد مثله﴾ أي: مثل زبد الماء، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والنحاس والرصاص إذا صُفِّي ذلك أيضا؛ فخلص خالصه، وعلا خبثه؛ وهو زبده ﴿فأما الزبد﴾ زبد الماء، وزبد الحلي، وزبد الحديد والنحاس والرصاص ﴿فيذهب جفاء﴾ يعني: لا يُنتفع به؛ فهذا مثل عمل الكافر؛ لا ينتفع به في الآخرة ﴿وأما ما ينفع الناس في الأرض﴾ فينتفع بالماء ينبت عليه الزرع والمرعى، وينتفع بذلك الحلي والمتاع؛ فهذا مثل عمل المؤمن يبقى ثوابه في الآخرة.

قال محمد: ﴿الجفاء﴾ في اللغة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته؛ يقال: جفا الوادي غثاء، وجفأت الرجل إذا صرعته ^(١)، وموضع ﴿جفاء﴾ نصب

(١) يقال: جفا يَجْفأ جَفْئًا. لسان العرب (جفا).

على الحال ^(١)، ومعنى ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ يَصِفُهَا وَيُبَيِّنُهَا.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ آمَنُوا﴾ (الحسنی) قال قتادة: يعني: الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يعني: الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ شدته ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ منزلهم جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ القرار.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْلِفُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَمْ يَعْقِبِ الدَّارَ (٢٢) جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكَ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ عنه؛ أي: أنهما لا يستويان؛ يعني: المؤمن والكافر ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ العقول؛ وهم المؤمنون ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ الذي أخذ عليهم في صلب آدم؛ حيث قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ^(٢)؛ يقول: أوفوا بذلك الميثاق ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ تفسير ابن عباس: الذي أمر الله به أن يوصل: الإيمان بالنبیین کلهم لا نفرق بین أحد منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني: الصلوات الخمس على وضوئها ومواقبتها وركوعها وسجودها ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعني: الزكاة المفروضة؛ في تفسير الحسن ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يُسْتَحَبُّ

(١) البحر المحيط (٥/٣٨٠).

(٢) الأعراف: ١٧٢.

أن تعطى الزكاة علانية، والتطوع سراً ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ يقول: يدفعون بالعفو والصفح القول القبيح والأذى ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ يعني: دار الآخرة، والعقبى: الثواب؛ وهو الجنة ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾ أي: من آمن ﴿سلام عليكم﴾ وهذه تحية أهل الجنة.

قال محمد: المعنى: يقولون: سلام عليكم؛ فأضمر القول؛ إذ في الكلام ما يدل عليه.

﴿بما صبرتم﴾ في الدنيا .

﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۖ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۝٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَصْطِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ۝٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾

﴿اللَّهُ يسطر الرزق لمن يشاء﴾ أي: يوسع عليه ﴿ويقدر﴾ أي: يضيق ﴿وفرحوا﴾ أي: رضوا ﴿بالحياة الدنيا﴾ (ل ١٦٢) يعني: المشركين ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ قال مجاهد: أي: يستمتع به، ثم يذهب ويقول الكافرون: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ أي: هلاً ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ من تاب وأخلص ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أي: تسكن ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

قال محمد: (ألا) حرف تنبيه وابتداء^(١)، والقلوب ها هنا قلوب المؤمنين؛

(١) ينظر- بتوسع- في دلالة (ألا) المخففة على التنبيه، مغني اللبيب (١/ ٨٠-٨١).

المعنى: إذا دُكرَ الله بوحدانيته، آمنوا به غير شاكين .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَىٰ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَسْلُتُوا عَلَيْهِمُ الَّتِي أَرْحَبْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ اللَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَوْ بَشَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿طوبى لهم﴾ قال عبد الله بن عبيد بن عمير: طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار محمد ﷺ، وليس في الجنة دار ولا غرفة إلا وغُصن منها في تلك الدار ﴿وحسن ما أتى﴾ مرجع، يعني: الجنة .

﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمة﴾ أي: كما أرسلنا في الأمم التي قد خلت من قبل هذه الأمة ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ كانوا يقولون: أما الله فنعرفه، وأما الرحمن فلا نعرفه ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ يعني: التوبة .

﴿ولو أن قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ تفسير قتادة: ذكر لنا أن قريشًا قالت لنبي الله ﷺ: إن سرك أن نتبعك فسيّر لنا جبال تهامة، وزد لنا في حرمانا؛ حتى نتخذ قطائع نحترف فيها، أو أخِي لنا فلاتًا وفلاتًا وفلاتًا - لأناس ماتوا في الجاهلية؛ فانزل الله هذه الآية، يقول: لو فُعل هذا بقرآن غير قرآنكم فعل بقرآنكم .

قال محمد: اختصر جواب (لو)؛ إذ كان في الكلام ما يدل عليه^(١).
﴿أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ أي: ألم يعرف؟

قال محمد: قيل: إنها لغة للنخع (يأس) بمعنى: يعرف^(٢) قال الشاعر:
أقول لهم بالشعب إذ يأبروني
ألم تتأسوا أي ابن فارس زهدم^(٣)
أي: ألم تعلموا.

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ هي السرايا سرايا رسول الله ﷺ يصيبهم الله منها بعداب ﴿أو تحل﴾ أنت يا محمد ﴿قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله﴾ يعني: فتح مكة؛ في تفسير مجاهد وقتادة.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَامْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾
﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَبْوَةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

﴿فاملئت﴾ أطلت ﴿للذين كفروا﴾ أي: لم أعذبهم عند استهزائهم

(١) الدر المصون (٢٤٢/٢-٢٤٣) وفيه استطراد واسع.

(٢) وقال القاسم بن مغن - وهو من ثقات الكوفيين -: هي لغة هوازن. وقال ابن الكلبي: هي لغة حي من النخع. ينظر الدر المصون (٢٤٣/٤).

(٣) ويروى: أقول لهم بالشعب إذ يتسرّني: إلخ. وهو من البحر الطويل، وقائله: سحيم بن وثيل الرياحي، ونسب لابنه جابر بن سحيم. ينظر: لسان العرب (يسر)، البحر (٣٩٢/٥)، والمحتسب (٣٥٧/١).

مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

﴿مثل الجنة﴾ أي: صفتها ﴿التي وعد المتقون أكلها﴾ ثمرها ﴿دائم﴾ أي: لا ينفد ﴿وظلها﴾ .

قال محمد: (مثل الجنة) مرفوعٌ بالابتداء ^(١) .

﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ يعني: الجنة ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ .
﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ تفسير قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ الأحزاب ها هنا: اليهود والنصارى؛ ينكرون (ل ١٦٣) بعض القرآن، ويقرون ببعضه بما وافقهم .

﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ يعني: القرآن .

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ يعني: المشركين حتى لا تبلغ عن الله الرسالة .

﴿ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ يغنيك من عذابه؛ إن فعلت، ولست

بفاعل .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَآئَةٍ

إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ

﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

(١) ينظر البحر المحيط (٥/٣٩٥-٣٩٦) .

وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُنِيَ الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عِلْمٍ الْكِتَابِ ﴿٤٧﴾

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ نزلت حين قالت اليهود: لو كان محمدٌ رسولاً، لكان له همٌ غير النساء والتماس الولد ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ تفسير بعضهم: يُكْتَب كل ما يقول؛ فإذا كان كل يوم اثنين وخميس، مُحي عنه ما لم يكن خيراً أو شراً، وأُثِبَت ما سوى ذلك ﴿وعنده أم الكتاب﴾ يعني: اللوح المحفوظ، وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله .
﴿وما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾ تفسير الحسن: أن الله أخبر محمداً أن له في أمته نعمة، ولم يخبره، أفي حياته تكون أم بعد موته؟ وفيها إضمار ﴿فإننا منهم متقنون﴾.

﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أن تبلغهم، ولست تستطيع أن تكرهمهم على الإيمان، إنما يؤمن من شاء الله أن يؤمن ﴿وعلينا الحساب﴾ يوم القيامة، ثم أمره بقتالهم .

﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ تفسير الحسن: أفلا يرون أن رسول الله ﷺ كلما بعث إلى أرض ظهر عليها وغلب أهلها؛ يقول: ننقصها بذلك أرضاً فأرضاً.

قال محمد: المعنى: كأنه ينقص المشركين مما في أيديهم .

﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ أي: لإرادته .

قال محمد: أصل التعقيب في اللغة: الكرُّ والرجوع ^(١)، فكأنه قال:

(١) لسان العرب (عقب).

لا راجع يرد حكمه.

﴿وهو سريع الحساب﴾ يعني: العذاب؛ إذا أراد أن يعذب قومًا من الذين كذبوا رسلهم كان عذابه إياهم أسرع من الطرف؛ يخوف بهذا المشركين.

﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني: من قبل مشركي هذه الأمة ﴿فلله المكر جميعًا﴾ فمكر بهم، أهلكهم أحسن ما كانوا في دنياهم فعالًا ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ أي: تعمل ﴿وسيعلم (الكفار)﴾^(١) لمن عقبى الدار ﴿لمن الجنة﴾ ويقول الذين كفروا لست مرسلًا ﴿

قل يا محمد: ﴿كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال عبد الله بن سلام: في نزلت: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾.

قال محمد: ﴿قل كفى بالله شهيدًا﴾ المعنى: كفى الله شهيدًا، و(شهيدًا) منصوبٌ على التمييز^(٢).



(١) في الأصل: الكافر.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٤٠٠/٥-٤٠١).

تفسير سورة إبراهيم

وهي مكية كلها إلا آيتين: قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً...﴾ إلى قوله: ﴿القرار﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ أَنْزَلَنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ يَلْبِسُ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ نَوْمًا وَلَيْلًا وَلَئِنْ سَأَلْتَهُ عَنِ السَّيْلِ سَأَلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبَغْوَنَهَا عَوْجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٢)

قوله: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك﴾ أي: هذا كتاب أنزلناه إليك؛ يعني: القرآن ﴿لتخرج الناس﴾ من أراد الله أن يهديه ﴿من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى ﴿بإذن ربهم﴾ بأمر ربهم ﴿إلى صراط﴾ إلى طريق ﴿العزیز﴾ في ملكه ونقمته ﴿الحمید﴾ استحمد إلى خلقه، واستوجب عليهم أن يحمده .

﴿الذين يستحبون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة﴾ لا يقرون بالآخرة ﴿ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً﴾ يتبعون السبيل عوجاً؛ يعني: الشرك.

قال محمد: (السبيل) يذكر ويؤنث^(٢)، وكذلك (الطريق) فأما الزقاق

(١) الآيات: (٢٨، ٢٩).

(٢) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (سبل).

فمذكَّر. ونصب (عوجاً) على الحال^(١).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ❶ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ❷ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ❸

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ قال قتادة: يعني: بلغة قومه ﴿ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ بعد البيان .

﴿وذكرهم بأيام الله﴾ تفسير الكلبي: يذكرهم بنعم الله عليهم، ويذكرهم (ل ١٦٤) كيف أهلك قوم نوح وعادًا وثمود وغيرهم، يقول: ذكرهم هذا وهذا ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهو المؤمن .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ❹ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنُكُمْ حِينًا ۖ أَنْتُمْ يَٰأَيُّكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ ❺

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى: البحر (٤٠٤/٥)، الكشاف (٣٦٦/٢).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنُ رَبُّكُمْ﴾ أي: أعلمكم ﴿لئن شكرتم﴾ أمتم ﴿لأزيدنكم﴾ في النعم ﴿ولئن كفرتم﴾ إن عذابي لشديد ﴿في الآخرة﴾ .
 ﴿ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم﴾ أي: خبرهم .
 ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ أي: لا يعلم كيف أهلكهم الله إلا الله .
 ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي: عضوا على أناملهم غيظا على الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكَ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(١) .

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَشْرَ إِلَّا بَشَرٌ نُنَلِّقُنَا تَرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(١٥) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ نُنَلِّقُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كُنَّا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١٦) لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَنْصِرَنَّ عَلَى مَا ءَاذِيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(١٧) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنَلْحِقَنَّ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلَنَكُونَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(١٩)

﴿قالت رسلهم﴾ أي: قالت لهم رسلهم: ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما؛ أي: أنه ليس فيه شك، وأنتم تقرون أنه خالق السموات والأرض، فكيف تعبدون غيره؟! ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي:

ليغفر لكم ذنوبكم؛ إن آتتم ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ يعني: إلى آجالهم
بغير عذاب؛ فلا يكون موتهم بالعذاب.

﴿قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾ أي: لا يوحى إليكم.

﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ بحجة بيّنة ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من
عباده﴾ بالنبوة؛ فيوحى إليه ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ يعنون: سبل الهدى
﴿ولتضربن على ما آذيتنونا﴾ يعنون: قولهم للأنبياء: إنكم سحرة، وإنكم
كاذبون.

﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ وهذا حيث أذن الله للرسل فدعوا
عليهم؛ فاستجاب لهم ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ أي: من بعد
إهلاكهم ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ يعني: المقام بين يدي الله للحساب.

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَأْيِهِ جَهَنَّمَ رِيسًا مِّنْ مَّا
صَدِيرَ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ
بِمُعْتَبَرٍ وَمِنْ وَرَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مِّثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَّمًا
أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ
الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿واستفتحوا﴾ يعني: الرسل؛ أي: دعوا على قومهم، حين استيقنوا أنهم
لا يؤمنون.

قال محمد: معنى (استفتحوا): سألوا الله أن يفتح لهم؛ أي: ينصرهم،
وكل نصر هو فتح؛ وهو معنى قول يحيى.

﴿وخاب﴾ أي: خسر ﴿كلُّ جبارٍ عنيد﴾ الجبار: المتكبر، والعنيد: المجانب للقصد.

﴿من ورائه جهنم﴾ أي: من بعد هذا العذاب الذي كان في الدنيا ﴿جهنم﴾ أي: عذاب جهنم. وقد قيل: (من ورائه) أي: من أمامه.

﴿ويسقى من ماء صديد﴾ الصديد: ما يسيل من جلود أهل النار من القئح والدَّم ﴿يتجزعه ولا يكاد يسيغه﴾ من كراهيته له، وهو يسيغه لا بُدَّ له منه، فتقطع أمعاؤه.

قال محمد: معنى (يسيغه): يتلعه.

﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ وهي النار، ولكن الله قضى عليهم ألا يموتوا؛ هذا تفسير الحسن.

﴿ومن ورائه عذابٌ غليظ﴾ كقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾^(١). ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الرياح﴾^(٢) في يوم عاصفٍ يعني: مما عملوا من حسن على سيئ في الآخرة، قد جوزوا به في الدنيا ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: يصير الأمر إلى البعث والحساب والجنة والنار ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يستأصلكم بالعذاب ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أي: آخرين ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي: لا يشق عليه.

﴿وَيَرْزُقُ اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ

(١) النبا: ٣٠.

(٢) هكذا في الأصل: ﴿الرياح﴾؛ وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون ﴿الريح﴾. ينظر: النشر (٢).

(٢٢٣)، التيسير (١٧٨).

مُتَعُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَتْرَكْتُم مِّن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

﴿ويرزوا لله جميعاً﴾ يعني: يوم القيامة ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ لدعائكم إيانا إلى الشرك.

قال محمد: (تَبَعًا) جمعُ تابع^(١)، وجائز أن يكون مصدرًا سُمِّيَ به؛ أي: كنا ذوي تبع^(٢).

﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ أي: مهرب، ولا معزل عن العذاب.

﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر﴾ أي: فصل بين العباد؛ فاستبان أهل الجنة من أهل النار ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: وعدهم الجنة على التمسك بدينه ﴿ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أستره بكم به ﴿إلا أن دعوتكم﴾ بالوسوسة ﴿فاستجبتم لي﴾.

﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم من عذاب الله (ل١٦٥) ﴿وما أنتم بمصرخي﴾

(١) ويجمع (تابع) أيضًا على: تَبِعٌ وَتَبَاعٌ وَتَبَعَةٌ. لسان العرب (تابع).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (١٨٢/٢)، البحر (٤١٦/٥).

إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴿١﴾ أي: في الدنيا - يكفر بأن يكون شريكاً. يحيى: عن ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن دُخَيْنِ الحجري، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين، وفرغ من القضاء بينهم قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا؟ فمن يشفع لنا إلى ربنا؟ قالوا: انطلقوا بنا إلى آدم؛ فإنه أبونا وخلقه الله بيده وكلمه، فيأتونه فيكلمونه أن يشفع لهم، فيقول آدم: عليكم بنوح؛ فيأتون نوحاً فيدلهم على إبراهيم، ثم يأتون إبراهيم فيدلهم على موسى، ثم يأتون موسى فيدلهم على عيسى، ثم يأتون عيسى فيقول: أدلكم على النبي الأمي؛ فيأتونني فيأذن الله لي أن أقوم إليه؛ فيفور من مجلسي أطيب ريح شَمُّها أحدٌ حتى أتى ربي؛ فيَشْفُعُنِي ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون: (هذا) ^(١) وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟! ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه؛ فيقولون: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم؛ فقم فاشفع أنت لنا فإنك أنت أضللتنا! فيقوم فيفور من مجلسه أنتن ريح شَمُّها أحدٌ، ثم (يُعْظَمُ لجهنم) ^(٢)، ثم يقول عند ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعْدَكُمْ وَعْد الحق ووعدتكم فأخلفتكم...﴾ الآية ^(٣).

(١) هكذا بالأصل، ولعلها محرفة عن (قد) والله أعلم.

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (١١١ رقم ٣٧٤) والطبري في تفسيره (٢٠١/١٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٤٠-٢٢٤١ رقم ١٢٢٤٥) والدارمي (٢/٤٢١-٤٢٢ رقم ٢٨٠٤) والطبراني في الكبير (١٧/٣٢٠-٣٢١ رقم ٨٨٧) والبغوي في تفسيره (٤/٣٤٥-٣٤٦) من طريق عبد الرحمن بن زياد به.

قال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٦): رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف.

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٨٤) عزوه لابن مردويه وابن عساكر، وقال: بسند ضعيف.

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يقول: يسلم أهل الجنة بعضهم على بعض، وتحييهم الملائكة أيضًا عن الله بالسلام؛ حين تأتيهم من عند الله بالكرامة والهدية.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة﴾ هي لا إله إلا الله ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة؛ وهي مثل المؤمن ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها في السماء﴾ أي: رأسها الذي تكون فيه الثمرة ﴿تؤتي أكلها﴾ ثمرتها ﴿كل حين بإذن ربها﴾ أي: بأمره. تفسير الحسن: يقول: إن المؤمن لا يزال منه كلام طيب وعمل صالح؛ كما تؤتي هذه الشجرة أكلها في كل حين.

قال يحيى: (والحين) في تفسير بعضهم: السنة، وهي تؤكل شتاءً وصيفاً. قال محمد: (الحين) في اللغة: اسمٌ وقتٌ من أوقات الزمان يُستعملُ فيما طال وقصر ^(١).

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ الشرك ﴿كشجرة خبيثة﴾ يعني: الحنظلة ﴿اجتثت من فوق الأرض﴾ أي: قطعت من أعلى الأرض ﴿ما لها من قرار﴾ أي: ليس لأصلها ثبات في الأرض؛ فذلك مثل عمل الكافر، ليس لعمله الحسن أصلٌ

(١). ويجمع على أحيان وأحيان. لسان العرب (حين).

ثابت يُجزى به في الآخرة.

﴿يُثِبَتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ تفسير ابن عباس: قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَرَجَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ مَلَكٌ فَأَجْلَسَهُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: اللَّهُ، ثُمَّ يَقُولُ: فَمَا دِينُكَ؟ فيقول: الإسلام، ثُمَّ يَقُولُ: فَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ، فيقال له: صدقت، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ، فيقال له: انْظُرْ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ كَذَّبْتَ صِرْتَ إِلَيْهَا؛ قَدْ أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْهَا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ فيقال له: انْظُرْ هَذِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعَرِّضُ عَلَيْهِ مَنَزِلَهُ فِيهَا ثُمَّ يُوسِّعُ لَهُ قَبْرَهُ، فَلَا يَزَالُ يَأْتِيهِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ وَبَرْدِهَا حَتَّى تَأْتِيَهُ السَّاعَةُ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَرَجَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ مَلَكٌ فَأَجْلَسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: لَا أَدْرِي. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فيقول: لَا أَدْرِي! ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول له: لَا أَدْرِي. فيقول له: لَا دَرَيْتَ. ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي لَوْ كُنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صِرْتَ إِلَيْهَا، لَنْ تَرَاهَا أَبَدًا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ، فيقال له: هَذِهِ النَّارُ الَّتِي أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهَا، ثُمَّ يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ، ثُمَّ يَضْرِبُ ضَرْبَةً لَوْ أَصَابَتْ جَبَلًا (ل١٦٦) (...) (١) فيصيح عند ذلك صيحةً يسمعها كل شيءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ. قال: فهو قوله: ﴿يُثِبَتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَارَ ۚ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُخْسَلُوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ

مَصِيرِكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾

﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها﴾ هم المشركون من أهل بدر، جعلوا مكان نِعَمِ الله عليهم الكفر، وأخرجوا قومهم إلى قتال النبي ببدر؛ فقتلهم الله فحلوا في النار. والبوار: الفساد؛ أي: أن النار تفسد أجسادهم.

قال محمد: نصب (جهنم) بدلاً من قوله: (دار البوار)^(١)، والبوار أصله: الهلاك^(٢).

﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ يعني: آلهتهم التي عدلوا بالله؛ فجعلوها آلهة ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ أي: عن سبيل الهدى.

﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ يحافظون عليها ﴿وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ يعني: الزكاة الواجبة.

﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لا بيع فيه﴾ أي: لا يتبايعون فيه ﴿ولا خلال﴾ أي: تنقطع فيه كل خلة إلا خلة المؤمنين.

قال محمد: الخلال مصدر؛ يقال: خاللت فلاناً؛ أي: صادفته خلالاً ومُخَالَةً، والاسم: الخُلة^(٣).

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى لتوجيه نُسبه. ينظر: البحر (٥/٤٢٤)، مجمع البيان (٣/٣١٣).

(٢) يقال: بار الشيء يَبُورُ بَوَازًا وَيَبُورًا؛ أي: هلك. لسان العرب (بور).

(٣) ويقال: (خاله) بالإدغام و(خاله) بفك الإدغام.

وسميت الصداقة: (خُلةً) لأنها تخللت القلب، فصارت خالاه؛ أي: في باطنه. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (خلل).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٧﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٨﴾ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٩﴾﴾
 ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ أي: يجريان إلى يوم القيامة ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يختلفان عليكم ﴿وآتاكم﴾ أعطاكم ﴿من كل ما سألتموه﴾ أي: وما لم تسألوه؛ هذا تفسير الحسن يقول: كل ما أعطاكم هو منه مما سألتهم، ومما لم تسألوا ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن، عن ^(١) أبي الدرداء قال: «من لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه، فقد قل علمه وحضر عذابه» ^(٢) من حديث يحيى بن محمد.

﴿إن الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿لظَلُومٌ﴾ لنفسه ﴿كَفَّارٌ﴾ بنعم ربه حين أشرك، وقد أجرى عليه هذه النعم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُمْ أَشْقَىٰ نَّاسٍ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَعْصِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(١) زاد بعدها في الأصل: ابن. وهي زيادة مقحمة، وأبو الدرداء هو عويمر بن زيد بن قيس، حكيم هذه الأمة، ترجمته في السير (٢/٣٣٥-٣٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ١٦٦) والبيهقي في الشعب (٤/١١٣ رقم ٤٤٦٧) من طريق الحسن عن أبي الدرداء به.

ورواه ابن المبارك في الزهد (١٣٤ رقم ٣٩٧) - ومن طريق الطبري في تفسيره (١٩/٣٤، ٢٢/١٣٨) - عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قوله.

﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَخْفَى وَمَا تَعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ يعني: مكة ﴿واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام﴾.

قال محمد: أهل الحجاز يقولون: جُنُبِي فلان شره، وأهل نجد يقولون: أجنبي وجنبي؛ أي: جعلني جانباً منه^(١).

﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ يعني: الأصنام أضللن كثيراً من الناس؛ يقول: ضلّ المشركون بعبادتها؛ من غير أن تكون دعت هي إلى عبادة أنفسها ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني﴾ فعبد الأوثان، ثم تاب إليك بعد ذلك ﴿فإنك غفور رحيم﴾.

﴿ربنا إني أسكنت من ذُرِّيَّتِي﴾ يعني: إسماعيل ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إنما أسكنتهم مكة، ليعبدوك ﴿فاجعل أفئدة﴾ أي: قلوباً ﴿من الناس تهوي إليهم﴾ تنزع إلى الحج، في تفسير الحسن. قال ابن عباس: «ولو كان قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لحجّه اليهود والنصارى وكل أحد».

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (جنب).

﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ تفسير ابن عباس: «إن إبراهيم جاء بهاجر وإسماعيل؛ فوضعهما بمكة عند زمزم، فلما قَفَا^(١) نادته هاجر: يا إبراهيم؛ فالتفت إليها فقالت: من أمرك أن تضعني وابني بأرض ليس بها ضرع ولا زرع ولا أنيس؟ قال: ربي. قالت: إذن لن يضيعنا. فلما قفا إبراهيم، قال: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن...﴾ أي: من الحزن، الآية.

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذرتي﴾ أي: واجعل من ذرتي من يقيم الصلاة.

﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ تفسير الحسن: دعا لأبيه أن يحوله الله من الكفر إلى الإيمان، ولم يغفر له؛ فلما مات كافراً تبرأ منه، وعرف أنه قد هلك.

﴿وَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَفَلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ^(٢) مَهْطِعِينَ مَقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً ^(٣) ﴿

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ يعني: المشركين.

﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ إلى إجابة (الداعي)^(٢) حين يدعوهم من قبورهم ﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين إلى (نحو)^(٣) الدعوة (ل) (١٦٧) حين يدعوهم إلى بيت المقدس.

قال محمد: (مهطعين) منصوب على الحال^(٤).

(١) أي: رجع ذاهباً. لسان العرب (قفو).

(٢) في الأصل (الداع) بحذف الياء.

(٣) مشتبهة في الأصل.

(٤) ينظر: البحر (٤٣٥-٤٣٦)، الدر المنصون (٤/٢٧٧).

و﴿مقنعي رءوسهم﴾ أي: رافعيها ﴿لا يرد إليهم طرفهم وأفندتهم﴾ أي: يديمون النظر.

قال محمد: (طرفهم) يعني: نظرهم، وأصل الكلمة من قولهم: طرف الرجل يَطرِفُ طَرْفًا؛ إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر؛ فسمي النظر طَرْفًا؛ لأنه به يكون^(١). ومنه قول الشاعر يذكر سهيلًا - النجم في السماء، وشبه اضطرابه بطرف العين.

أراقب لمحا من سهيل كأنه إذا ما بدا في دجنة الليل يطرِفُ^(٢)
قوله عز وجل: ﴿وأفندتهم هواء﴾ بين الصدر والحلق؛ فلا تخرج من الحلق، ولا ترجع إلى الصدر؛ يعني: قلوب الكفار؛ هذا تفسير السدي.
قال محمد: وجاء عن ابن عباس: (هواء) أي: خالية من كل خير، وقال أبو عبيدة: وكذلك كل شيء أجوف خاوٍ، فهو عند العرب هواء^(٣).
وأنشد غيره:

كأن الرّحل منها فوق صعلٍ من الظّلّمَانِ جُوجُؤُهُ هَوَاءُ^(٤)
يقول: ليس لعظمه مخ.

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

-
- (١) ويطلق الطّرف على الواحد وغيره، وقد يشئ ويجمع. لسان العرب (طرف).
(٢) البيت من بحر الطويل، وهو لجران العود. ينظر: البيان والتبيين (١/٥٧٨)، أدب الكاتب (٧٣/١).
(٣) ويقال: قلب هواء؛ أي: فارغ؛ للواحد والجمع. لسان العرب (هوى).
(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى؛ وهو من بحر الوافر. ينظر: البحر المحيط (٥/٤٣٠)، روح المعاني (٢٤٦/١٣).

يُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾
 وَسَكَتُمْ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ
 وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ
 مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

قوله: ﴿وَأُنذِرَ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ أي: أنذرهم ذلك اليوم .
 ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ سألوا الرجعة إلى الدنيا؛ حتى
 يؤمنوا .

قال الله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾
 من الدنيا إلى الآخرة. ثم انقطع الكلام، ثم قال للذين بعث فيهم محمدًا:
 ﴿وَسَكَتُمْ فِي مَسَاجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بشرهم؛ يعني: من أهلك من الأمم
 السابقة ﴿وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ كيف أهلكناهم؛ يخوفهم بذلك ﴿وَضَرَبْنَا
 لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ يعني: وصفنا لكم عذاب الأمم الخالية؛ يخوف كفار مكة .

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: محفوظ لهم؛ حتى يجازيهم
 به ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ وهي في مصحف ابن مسعود: (وما
 كان مكرهم لتزول منه الجبال) ^(١) تفسير الكلبي: قال: «إِنْ نَمُوزُ الَّذِي بَنَى
 الضَّرْحَ بِبَابِلَ، أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ السَّمَاءِ؛ فَعَمِدَ إِلَى تَابُوتٍ فَجَعَلَ فِيهِ غُلَامًا،
 ثُمَّ عَمِدَ إِلَى نَسُورٍ أَرْبَعَةٍ فَأَجَاعَهَا، ثُمَّ رَبطَ كُلَّ نَسْرٍ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ التَّابُوتِ،

(١) ينظر البحر (٤٣٨/٥)، الكشف (٢٨٣/٢)، ووردت القراءة في الأصل: (وَإِنْ كَادَ)، وهي
 ليست قراءة ابن مسعود؛ إنما تنسب لعمر وعلي وأبي وغيرهم. وقرأ علي وأبي وعمر أيضًا
 (وَأَنْ كَانَ) بفتح همزة (أَنْ). ينظر: الفخر الرازي (١٤٥/١٩) المحتسب (١/٣٦٥).

ثم رفع لهما لحماً في أعلى التابوت، فجعل الغلام يفتح الباب الأعلى، فينظر إلى السماء فيراها كهيئتها، ثم يفتح الباب الأسفل فينظر إلى الأرض فيراها مثل اللجة، فلم يزل كذلك حتى جعل ينظر فلا يرى الأرض وإنما هو الهواء، وينظر فوق فيرى السماء كهيئتها، فلما رأى ذلك صَوَّبَ اللحم فتصوبت النور، فيقال - والله أعلم -: إنه مرَّ بجبل فخاف الجبل أن يكون أمراً من الله، فكاد يزول من مكانه؛ فذلك قوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ (١).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤٧) **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (٤٨) **وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ** (٤٩) **سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ تَعَقَّى وَجُوهُهُمُ النَّارُ** (٥٠) **لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (٥١) **هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ** **وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** (٥٢)

﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ ما وعدهم من النصر في الدنيا. ﴿إن الله عزيز﴾ في نعمته ﴿ذو انتقام﴾ من أعدائه بعذابه .

﴿يوم تبديل الأرض غير الأرض والسموات﴾ قال محمد: أي: وتبدل السموات ﴿وبرزوا لله﴾ حفاة عراة ﴿الواحد القهار﴾ قهر عباده بالموت وبما شاء .

قال محمد: ومعنى تبديل السموات: تكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتشار كواكبها، وانفطارها، وانشقاقها.

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٤/١) عن معمر عن الكلبي.

يحيى: عن يونس بن (١) أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، قال: «تبدل الأرض بأرض بيضاء؛ كأنها فضة لم يعمل فيها خطيئة، ولم يسفك فيها محجمة دم حرام» (٢).

«وترى المجرمين» المشركين «يومئذ مقرنين في الأصفاد» يعني:

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب «عن يونس عن أبي إسحاق» فإن الحديث معروف من رواية «أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود» كما سيأتي بيانه، والله أعلم.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٤/٢) والطبري في تفسيره (٢٤٩/١٣) والطبراني في الكبير (٢٠٥/٩) وأبو الشيخ في العظمة (١٠٩٩/٣) رقم ٥٩٨ والحاكم في المستدرک (٥٧٠/٤) وغيرهم من عدة طرق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قوله.

قال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧): وإسناده جيد.

وقال ابن حجر في الفتح (٣٨٣/١١): ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف.

ورواه الحاكم (٥٧٠/٤) من طريق هبيرة بن يريم عن ابن مسعود.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسنادين جميعاً على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ورواه ابن المبارك في الزهد (١١٥ رقم ٣٨٨) والطبري في تفسيره (٢٥٠/١٣) من طريق عاصم عن زر بن حبیش عن ابن مسعود موقوفاً.

قال بن حجر في الفتح (٣٨٣/١١): ورجاله موثقون أيضاً.

ورواه البزار (٢٤٦/٥-٢٤٧ رقم ١٨٥٩) والطبراني في الكبير (١٠/١٦١ رقم ١٠٣٢٣) والأوسط (١٦٤/٧) رقم ٧١٦٧ وابن عدي في الكامل (٣٤٢-٣٤٣) وأبو نعيم في الحلية (١٥٣/٤) (٣٤٨) من طريق جرير بن أيوب البجلي عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود مرفوعاً.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أبي إسحاق عن عمرو بن عبد الله مرفوعاً إلا جرير بن أيوب، وجرير ليس بالقوي.

وقال الطبراني: لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا جرير بن أيوب، تفرد به أبو عتاب.

وقال أبو نعيم: لم يروه عن أبي إسحاق مرفوعاً إلا جرير، ورواه أبو الأحوص وإسرائيل وزكرياء بن أبي زائدة موقوفاً على عبد الله.

وقال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه جرير بن أيوب البجلي، وهو متروك.

السلاسل (يقرن كل إنسان (١٦٨) وشيطانه الذي كان قرينه في الدنيا في سلسلة واحدة.

قال محمد: واحد الأصفاذ: صفد^(١) يقال: صَفَدْتُ الرجل؛ إذا جعلته في صفد، وَأَصَفَدْتُهُ إذا أعطيته عطاء^(٢).

﴿سرايلهم من قطران﴾ أي: قُمْصهم، والقطران: هو الذي يُطلى به الإبل، وقال مجاهد: (سرايلهم من قطران) أي: من صُفْرِ^(٣) حار قد انتهى حره وتغشى وجوههم النار ﴿هو كقوله: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾^(٤) أي: يجرُّ على وجهه في النار ﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ ما عملت ﴿إن الله سريع الحساب﴾.

يحيى: سمعت بعض الكوفيين يقول: يقضى بين الخلق يوم القيامة في قدر نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿هذا بلاغ للناس﴾ للمؤمنين؛ يعني: القرآن يبلغهم إلى الجنة ﴿وليُنذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ ليس له شريك ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ وهم المؤمنون.



(١) تكرر في الأصل.

(٢) لسان العرب (صفد).

(٣) أي: نحاس أصفر. لسان العرب (صفر).

(٤) الزمر: ٢٤.

تفسير سورة الحجر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ① رَبِّمَا يُوذُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ⑤ وَقَالُوا يَتَأْتِيَ آلَإِلهِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا تُنْظَرِينَ ⑧﴾

قوله: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ بين ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

يحيى: عن عثمان، عن حماد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: «يقول أهل النار لمن دخلها من أهل التوحيد: قد كان هؤلاء مسلمين، فما أغنى عنهم؟! قال: فيغضب لهم ربهم فيدخلهم الجنة، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين^(١)».

﴿ذرهم يأكلوا﴾ يعني: المشركين، يأكلوا ﴿ويشبعوا﴾ في الدنيا ﴿ويُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ الذي يأملون من الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ يوم القيامة؛ وهذا وعيد، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم، ولا يذرهم حتى يُسلموا أو يُقتلوا؛ يعني: مشركي العرب.

(١) روي عن عدة من الصحابة موقوفاً ومرفوعاً، انظر: تفسير الطبري (١٤/٢-٥) والدر المثور (١٠٤-١٠٥/٤).

﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ يعني: الوقت الذي يهلكون فيه؛ يعني: من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسُلهم ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ يعني: الأمم الخالية أجلها وقت العذاب ﴿وما يستأخرون﴾ عنه .
 ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ يعني: القرآن؛ فيما تدعي ﴿إنك لمجنون﴾ يعنون: محمداً ﴿لو ما﴾ أي: لولا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ حتى تشهد أنك رسول الله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فنصدقك . قال الله: ﴿ما نزل الملائكة﴾ حتى تعاینونهم ^(١) ﴿إلا بالحق﴾ يعني: بعذابهم واستئصالهم ﴿وما كانوا إذن منظرين﴾ طرفه عين بعد نزول الملائكة .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٩ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٠ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ١١ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ١٢ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ١٣ ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سَنَةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٤ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ١٥ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ١٦
 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ حفظه الله من إبليس أن يزيد فيه شيئاً، أو ينقص منه .

﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ أي: في قرن؛ يعني: قوم نوح وسائر الأمم ﴿وما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه﴾ نسلك التكذيب ﴿في قلوب المجرمين﴾ يعني: المشركين .
 قال محمد: تقول: سلكت فلاناً في الطريق وأسلكته بمعنى واحد ^(٢) .

(١) هكذا في الأصل، وهو خلاف الجادة، والصواب: حتى تعاینونهم .

(٢) وأيضاً سلكته . لسان العرب (سلك) .

﴿لا يؤمنون به﴾ يعني: القرآن ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ يعني: وقائع الله في الأمم الخالية التي أهلكهم بها - يخوف المشركين بذلك.

﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا﴾ أي: ساروا ﴿فيه يرجون﴾ أي: يختلفون بين السماء والأرض، يعني: الملائكة^(١) ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ أي: سُدَّتْ ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ كقوله: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾^(٢).

قال محمد: من قرأ (سُكِرَتْ) بالثقل، فهو من سُكِرْتُ البصر إذا سدته، ويقال للسُّدِّ: السُّكْرُ. ومن قرأ (سُكِرَتْ) مخففة^(٣)، فالمعنى: تحيرت أبصارنا وسكنت عن النظر؛ تقول العرب: سُكِرَتِ الرِّيحُ تَسْكُرُ إذا سكنت^(٤) (...)^(٥).

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ ١٦ ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ١٧ ﴿إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ فَنَافِثٌ فِيهَا مَيِّمٌ﴾ ١٨ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا﴾ ١٩ ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ أَسْتَمْتُمْ لَكُمْ بِرِزْقَيْنَ﴾ ٢٠ ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ٢١ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاثِرًا مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْتَقْيْتُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُحْدِرِينَ﴾ ٢٢ ﴿وَلَمَّا لَعَنُوهُ﴾ ٢٣

(١) كذا في الأصل.

(٢) القمر: ٢.

(٣) قرأ بالثقل مبنياً للمفعول السبعة إلا ابن كثير؛ فقد قرأ بالتخفيف.

ينظر: السبعة (٣٦٦)، النشر (٣٠١/٢)، التيسير (١٣٥).

(٤) ينظر لسان العرب (سكر).

(٥) طمس في الأصل.

وَتُيْمِتُ وَيَحْنُ الْوَرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِرِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِضِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

(١٦٩ل) ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا﴾ يعني: نجوماً؛ في تفسير ابن عباس وقتادة ﴿وزيناها﴾ زينا السماء بالنجوم ﴿للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ ملعون رجمه الله باللعنة؛ في تفسير الحسن ﴿إلا من استرق السَّمْع﴾ فإنها لم تُحفظ منه إن تسمع الخبر من أخبار السماء، ولا تسمع من الوحي شيئاً. ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ مضيء.

﴿والأرض مددناها﴾ يعني: بسطناها ﴿وألقينا﴾ أي: جعلنا ﴿فيها رواسي﴾ وهي الجبال ﴿وأثبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ أي: مقدور بقدر؛ في تفسير مجاهد.

قال محمد: معنى قول مجاهد: أي: جرى على وزن من قدر الله لا يجاوز ما قدره الله عليه.

﴿وجعلنا لكم فيها﴾ في الأرض ﴿معايش﴾ يعني: ما أخرج الله لهم فيها، ومما عمل بنو آدم ﴿ومن لستم له برازقين﴾ أي: جعلنا لكم، ولمن لستم له برازقين فيها معاش؛ يعني: البهائم وغيرها من الخلق ممن لا يُمون بنو آدم. ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ يعني: المطر؛ وهذه الأشياء كلها إنما تعيش بالمطر.

﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ يعني: للسحاب؛ في تفسير قتادة.

قال محمد: المعنى: أنها تضرب السحاب حتى تمطر، وواحدة اللواقح

من الرياح: لاقح؛ بمعنى: أنها ذات لقح^(١)، كقوله: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٢) أي: ذات رضا.

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: بحافظين ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ نَحْيِي﴾ أي: نخلق ﴿وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ يموت الخلق، والله الوارث الباقي بعد خلقه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ تفسير قتادة: يعني: آدم، ومن مضى من ذريته ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ من بقى في أضلية الرجال.

﴿وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ﴾ يحشر الخلق يوم القيامة ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في أمره ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ ﴿٢٦﴾ وَلَجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ

السَّعِيرِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ قال قتادة: يعني: التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة ﴿مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ يعني: المتغير الرائحة.

قال محمد: الحمأ جمع: حمأة^(٣)، ويقال لليابس من الطين الذي لم تُصبه ناز: صلصال^(٤)؛ فإذا مسَّته النار فهو فخار^(٥).

(١) لسان العرب (لقح).

(٢) الحاقة: ٢١، والقارعة: ٧.

(٣) والحمأ والحمأة بمعنى: لسان العرب (حمأ).

(٤) لسان العرب (صلصل).

(٥) لسان العرب (فخر).

﴿والجان﴾ يعني: إبليس؛ في تفسير قتادة ﴿خلقناه من قبل﴾ أي: من قبل آدم ﴿من نار السموم﴾ يعني: سموم جهنم.

قال محمد: والسموم من صفات جهنم وهو شدة حرها، والجان منصوب بفعل مضمر^(١)؛ المعنى: وخلقنا الجان خلقناؤه.

قوله عز وجل: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ تفسير ابن عباس: «لو لم يكن إبليس من الملائكة، لم يؤمر بالسجود».

قال الحسن: أمره بالله بالسجود كما أمر الملائكة؛ فأبى أن يسجد معهم، وكان خلق إبليس من نار، وخلق الملائكة من نور.

قال محمد: (إلا إبليس) منصوب باستثناء ليس من الأول^(٢)؛ كما قال عز وجل: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾^(٣) المعنى: لكن إبليس أبى أن يكون هذا على مذهب من قال: إن إبليس لم يكن من الملائكة.

وقيل: إن إبليس كان اسمه: عزازيل، وإن الله لما لعنه وغضب عليه أبلس من رحمته؛ أي: يش؛ فسماه: إبليس.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٢٣) قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٢٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٢٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٢٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٢٧) إِلَى يَوْمِ

(١) أي: منصوب على الاشتغال. ينظر البحر: (٤٥٣/٥)، الدر المصون (٢٩٦/٤).

(٢) البحر (٤٥٣/٥).

(٣) الشعراء: ٧٧.

الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ
 أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الحساب؛ يعني: يوم القيامة، وعليه
 اللعنة أيضاً يوم القيامة أبداً.

﴿قال فإنك من المنظرين﴾ المؤخرين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني:
 النفخة الأولى التي يموت بها كل حي، وأراد عدو الله أن يؤخره إلى النفخة
 الآخرة التي يُبعث بها الخلق.

﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾ يزين لهم الدنيا في أمرهم
 بها، ويخبرهم أنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار؛ يوسوس ذلك إليهم
 ﴿ولاغوينهم﴾ لأضلّهم ﴿أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين ﴿الموحدّين﴾.
 ﴿قال هذا صراطٌ عليّ مستقيم﴾ (ل ١٧٠) تفسير مجاهد: يعني: أن الله هو
 الهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ أي: لا
 تستطيع أن تضل من هدى الله ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ وإن جهنم لموعدهم
 أجمعين ﴿يعني: الغاوين﴾ لها سبعة أبواب ﴿بعضها تحت بعض مطبقة﴾ الباب
 الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم
 الهاوية، و جهنم والنار يقْدَمان الأسماء ^(١) ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾.

(١) وقال ابن جرير: سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم
 الجحيم، ثم الهاوية.

قال ابن رجب في التخويف من النار (ص ٥٩): خرجه ابن أبي الدنيا وغيره.

﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۖ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ العيون: الأنهار ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ وذلك حين تلقاهم الملائكة؛ تقول لهم: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ ^(١) آمنين من الموت .

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ﴾ يعني: ما كان بينهم في الدنيا من الحسد والضغائن ﴿إخواناً على سُرُرٍ متقابلين﴾ قال بعضهم: هذا إذا زار بعضهم بعضاً .

قال محمد: ﴿إخواناً﴾ منصوبٌ على الحال ^(٢) .

﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝٥٠ وَيُنَبِّئُهُمُ عَنْ ضَيْفٍ إِبراهيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَدُونَ ۝٥٢ قَالُوا لَا تَوَجَّهْ إِنَّا بُدِّعُوكَ بِقُلُوبٍ غَلِيظَةٍ ۝٥٣ قَالَ أَتَشْرِكُونِي عَلَىٰ أَنْ مَّسَنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُوا بِشْرُوكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِذَا الضَّالُّونَ ۝٥٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا بِكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَا لَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا أَمْرَاتُهُمُ قَدَرْنَا لَهَا لَئِنِ الْغَدِيرُ ۝٦٠﴾

﴿نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ لا أغفر منه ولا أزحم؛ يغفر للمؤمنين

(١) الزمر: ٧٣ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/١٩٦)، والبحر (٥/٤٥٧) .

ويرحمهم ويدخلهم الجنة ﴿وَأَنْ عَذَابِي﴾ يعني: النار ﴿هو العذاب الأليم﴾ الموجه.

﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون﴾ أي: خائفون.

قال محمد: (سلاماً) منصوب على المصدر؛ كأنه قال: فسلموا سلاماً^(١).
﴿قال أبشروني على أن مسني الكبر﴾ عَجِبَ من كبره وكبر امرأته ﴿فبم تبشرون﴾.

قال محمد: الأصل في (تبشرون): تبشروني؛ فحُذِفَ أحد النونين؛ لاستثقال جمعهما^(٢) هذا فيمن قرأها بكسر النون^(٣).

﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القاتنين﴾ الآيسين ﴿قال فما خطبكم﴾ ما أمركم؟.

﴿إلا آل لوط﴾ يعني: أهله المؤمنين ﴿إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ يعني: الباقيين في عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَيُّنَّا لَصَدِيقُكَ ﴿٦٨﴾ فَأَسِرِ بِأَهْلِكَ بِقُطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ

(١) أي: منصوب على المفعول المطلق. إعراب القرآن (١٩٧/٢)، البحر (٤٥٨/٥).

(٢) وقيل: الأصل: (تبشروني) فحذف الياء، واجتزأ بالكسرة، وحذف نون الرفع؛ لاجتماع النونين. كشف المشكلات (٦٦٧/٢).

(٣) وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون بالفتح، وشدد النون: ابن كثير، وخففها الباقون. السبعة (٣٦٧)، التيسير (١٣٦)، النشر (٣٠٢/٢).

الْأَمْرَ أَنْ دَاخِرَ هُوَلَاءَ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هُوَلَاءَ ضِئِبِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هُوَلَاءَ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَنَكَ إِيَّاهُمْ لِنِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَلْسَّابِلِ مُقِيمِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ يعني: الملائكة ﴿قال﴾ لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ نكرهم ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ يشكون، من العذاب؛ كانوا يقولون: لا نُعَذَّب؛ حين كان يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ﴿وأتيناك بالحق﴾ يعني: بعذابهم .

﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي: في طائفة من الليل؛ والسرى لا يكون إلا ليلاً.

قال محمد: ويقال منه: أسرى وسرى^(١).

﴿واتبع أدبارهم﴾ أي: كن آخرهم ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لا ينظر وراءه إلى المدينة .

﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ أي: أعلمناه ﴿أن دابر هؤلاء﴾ أصلهم ﴿مقطوع مصبحين﴾ .

قال محمد: (مصبحين) نصب على الحال^(٢).

﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ بأضياف لوط؛ لما يريدون من عمل

(١) ومنه أيضاً: سارى واسترى بمعنى: لسان العرب (سرى).

(٢) إعراب القرآن (٢٠١/٢)، البحر (٤٦١/٥).

السوء ﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ ﴿قالوا أو لم ننكح عن العالمين﴾ أي: أن تضيف أحداً ولا تنزله ﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أمرهم بتزويج النساء ﴿إن كنتم فاعلين﴾ متزوجين.

﴿لعمرك﴾ قسم ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ يعني: ضلالتهم ﴿يعمّهون﴾ يتحIRON. قال محمد: العُمُرُ والعُمُرُ عند أهل اللغة بمعنى واحد؛ فإذا استعمل في القسم فتح أوله؛ لكثرة استعمالهم له؛ لأنَّ الفتح أخفُ^(١).

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ قال السُّدي: صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ حين أشرقت الشمس ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ قد مضى تفسيره.

﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ قال سفيان: يعني: للمتفرسين.

قال محمد: معنى التفرس: الاستدلال بصحة النظر؛ يقال: توسمت في فلان الخير، وتفرسته؛ أي: تبينته^(٢).

﴿وإنها لبسبل مقيم﴾ يعني: قرية قوم لوط؛ أي: هي طريق واضح.

﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ (٧٨) فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَئَامِرٌ مِّبَيْنَ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ (٨٠) وَءَايَتُهُمْ ءَايَاتُنَا فكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ (٨٢) فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)

﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ يعني: الذين بعث إليهم شعيب (...)^(٣) والأيكة (...)^(١) كانوا أصحاب (...)^(١) كان عامة ثمرهم

(١) لسان العرب (عمر).

(٢) لسان العرب (فرس)، (وسم).

(٣) طمس في الأصل.

(١٧١) المَقْلُ؛ وهو الذَّوْمُ، فسلط الله عليهم الحرَّ سبعة أيام فكان لا يأتيهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة فلجأوا تحتها يلتمسون الرِّوْحَ، فجعلها الله نازًا فاضطربت عليهم.

قال محمدٌ: قرأ نافعٌ: (الأيكة)^(١) وكذلك قرأ التي في «قاف»^(٢) وقرأ التي في «الشعراء»^(٣) وفي «ص»^(٤): (لَيْكَة) بغير ألف ولام ولم يصرفهما^(٥) فيما ذكره أبو عُبيد، وقال: وجدنا في بعض التفاسير: أن (لَيْكَة) اسمُ القرية التي كانوا فيها، و(الأيكة)^(٦): البلادُ كلها.

«وإنهما لبإمام مبين» يقول: وإن منزل قوم لوط وأصحاب الأيكة لبطريق واضح.

قال محمدٌ: قيل للطريق: إمام؛ لأنه يؤتم به؛ أي: يهتدى به^(٧).
«ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين» يعني: ثمود قوم صالح «وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين».

قال محمدٌ: الحجرُ اسمُ وادٍ، وأصلُ النَحْبِ: القطع والنجر^(٨).

(١) أي: أن نافعًا قرأ (الأيكة): (ليكة)؛ فالتى في الحجر قرأها نافع وحده، والتي في الشعراء وص وقاف قرأها نافع وابن كثير وابن عامر. ينظر السبعة (٣٦٨، ٤٧٣).

(٢) ق: ١٤.

(٣) الشعراء: ١٧٦.

(٤) ص: ١٣.

(٥) للعلمية والتأنيث. الدر المصنوع (٣٠٦/٤) والمراد (ليكة) كما في «الشعراء» و«ص».

(٦) قال صاحب مختار الصحاح: فمن قرأ: (أصحاب الأيكة) فهي الغيضة، ومن قرأ: (أصحاب ليكة) فهي اسم القرية. وقيل: هما مثل بكة ومكة. ينظر مختار الصحاح (أبك).

(٧) وجمعه: أئمة. لسان العرب (أمم).

(٨) لسان العرب (نحت).

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةً ۖ فَاصْفَحِ ۚ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تُمَدِّدْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلُنَّهُنَّ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: للبعث ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهذا منسوخ بالقتال.

﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ تفسير قتادة: هي فاتحة الكتاب؛ وهي سبع آيات؛ وإنما سميت المثاني؛ لأنهن يثنين في كل ركعة.

قال محمد: قيل: المعنى -والله أعلم-: ولقد آتيناك سبعا مثاني، وتكون (من) صلة؛ كما قال الله - عز وجل -: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾^(١) المعنى: اجتنبوا الأوثان، لا أن بعضها رجس.

﴿والقرآن العظيم﴾ أي: وآتيناك القرآن العظيم.

﴿لا تمدد عيني﴾ أي: ما متعنا به أزواجا منهم ﴿أصنافا﴾ يعني: الأغنياء؛ في تفسير مجاهد ﴿ولا تحزن عليهم﴾ يعني: المشركين إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أي: إله لمن آمن بك ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي: أنذر الناس النار ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن

عُضِينَ ﴿٩٦﴾ قال الحسن: يقول: أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين، يعني: أهل الكتابين الذي اقتسموه، فجعلوه كتبًا بعد إذ كان كتابًا، وحرّفوه فجعلوه كالأعضاء.

قال محمد: المعنى: آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وتقول العرب: عَضَيْتَ الشيءَ إذا وزعته، وعَضَيْتَ الذبيحة؛ إذا قطعتها أعضاء، والعِضَةُ: القطعة منها، والجميع: عضون في حال الرفع، وعِضِينَ في حال النصب والخفض^(١). قال رؤية^(٢):-

وليس دين الله بالمعضى^(٣)

قوله: ﴿فوريك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر﴾ قال الكلبي: يعني: أظهر ما أمرت به.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال الكلبي: هم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث.

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ يعني بقولهم أنك ساحر،

(١) وذلك لأنه مُلْحَقٌ بجمع المذكر السالم. لسان العرب (عضو).

(٢) هو رؤية بن العجاج راجز مشهور مات سنة ١٤٥. ينظر ترجمته من الشعر والشعراء (٢/٥٩١)، الأغاني (٣١٢/٢٠).

(٣) البيت من الرجز. ينظر: ديوان رؤية (٨١)، مجاز القرآن (٣٥٥/١)، اللسان (عضو).

وأنك شاعرٌ، وأنك كاهنٌ، وأنك مجنونٌ، وأنك كاذبٌ ﴿فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ يعني: الموت.

تفسير سورة النحل

وهي من أولها إلى صدر هذه الآية: ﴿والذين هاجروا في الله...﴾^(١) مكي، وسائرهما مدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) يُزِيلُ الْمَلَكُةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْيَعُونَ وَحِينَ يُسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِنَّ بَلَدًا لَرَبٌّ تُكُونُوا بِبِلَافِهِ إِلَّا يُشِيقُ الْإِنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ تفسير الحسن: هذا جواب من الله لقول المشركين للنبي ﷺ: ﴿اثننا بعذاب الله﴾^(٢)، ولقولهم: ﴿عجل لنا قطنًا﴾^(٣) وأشباه ذلك؛ فقال الله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ أي: أن العذاب آت قريب ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع عما يقول المشركون

(١) النحل: ٤١ .

(٢) العنكبوت: ٢٩ .

(٣) ص: ١٦ .

من الإشراف به ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ (في تفسير السدي) ^(١) ﴿من أمره﴾ أي: بأمره.

قال محمد: (سمى (١٧٢) الوحي روحًا لأن به) ^(٢) حياة من الجهل. ﴿على من يشاء من عباده أن أنذروا﴾ بأن أنذروا ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أن تعبدوا معي إلها .

﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ للبعث والحساب، والجنة والنار ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ يعني: المشرك؛ في تفسير الحسن ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ بين الخصومة .

﴿والأنعام خلقها لكم﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم.

قال محمد: نصب (الأنعام) على فعل مضمر ^(٣)؛ المعنى: وخلق الأنعام لكم. ﴿فيها دفء﴾ يعني: ما يصنع من الكسوة من أصوافها وأوبارها وأشعارها ومنافع في ظهورها؛ هذه الإبل والبقر وألبانها في جماعتها .

﴿ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون﴾ أي: حين تروح عليكم راجعة من الرعي ﴿وحين تسرحون﴾ بها إلى الرعي؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمد: راحت الماشية وأرختها، وسرخت وسرختها؛ الرواح بالعشي ^(٤)، والسرّوح: بالغدو ^(٥). ومعنى (لكم فيها جمال) ^(٦) أي: إذا قيل:

(١) هكذا بالأصل. ولعل هناك كلامًا ساقطًا.

(٢) مشتبهة في الأصل ولعلها كما أثبت، والله أعلم.

(٣) أي: نصب على الاشتغال. الدر المصون (٤/٣١٢).

(٤) أي: من زوال الشمس إلى الليل. لسان العرب (روح).

(٥) أي: ما بين الفجر إلى طلوع الشمس. لسان العرب (سرح) و(غدو).

(٦) سقطت من الأصل، ويقضيها سياق الآية.

هذا مال فلان .

﴿وتحمل أثقالكم﴾ يعني : الإبل والبقر ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ يقول : لولا أنها تحمل أثقالكم إلى البلد الذي تريدونه ، لم تكونوا بالغي ذلك البلد إلا بمشقة على أنفسكم ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ يقول : فبرأفة الله ورحمته سخر لكم هذه الأنعام ، وهي للكافر رحمة الدنيا ليرزقه فيها من النعم .

﴿والخيل﴾ يقول : وخلق الخيل ﴿والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ في ركوبها ؛ تفسير قتادة : خلقها الله للركوب وللزينة ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الأشياء كلها مما لم يذكر لكم .

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ بُيُوتٌ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ يعني : طريق الهدى ؛ كقوله : ﴿إن علينا للهدى﴾ ^(١) ﴿ومنها﴾ أي : وعنهما ؛ يعني : السبيل ﴿جائز﴾ وهو الكافر جار عن سبيل الهدى ﴿ومنه شجر فيه تسيمون﴾ أي : ترعون أنعامكم .

قال محمد: تقول: أَسْمُتُ ماشيتي فسامت؛ أي: رعبتها فرعت^(١).
 ﴿يَنْبِت لَكُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿الزَّرعَ وَالزَّيْتُونَ...﴾ الآية، يقول:
 فالذي يُنْبِتُ من ذلك الماء الواحد هذه الألوان المختلفة قادرٌ على أن يحيي
 الأموات.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ خلق ﴿فِي الْأَرْضِ مَخْتَلَفًا أَلْوَانَهُ﴾ تفسير قتادة: يعني: من
 الدواب والشجر والثمار.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً
 تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَلْبَتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ
 ١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَايَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَضُوا لَكُمْ لَعْلَكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥
 وَعَلَّمْنَاهُ وَإِلْتَجِمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِنْ
 تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ١٨ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكَ وَمَا
 تُعْلِنُونَ ١٩ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ٢٠﴾

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ أي: خلق ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني:
 الحيتان ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يعني: اللؤلؤ ﴿وترى الفلك﴾
 السفن ﴿مواخر فيه﴾ يعني: شقها الماء في وقت جريها.
 قال محمد: يقال: مخرت السفينة الماء؛ إذا شقته^(٢).

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في السفن.
 ﴿والقى في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿أن تميد بكم﴾ لثلا تميد؛

(١) لسان العرب (سوم).

(٢) مخرت السفينة الماء مَخَرًا وَمُخَرًّا. لسان العرب (مخر).

أي: تحرك ﴿وَأَنهَارًا﴾ أي: وجعل فيها أنهارًا ﴿وَسَبِيلًا﴾ طرقًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا الطرق ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ جعلها في الطرق تعرفونها بها ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: جماعة النجوم التي يهتدى بها .

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ يعني: نفسه ﴿كَمَن لَا يَخْلُقُ﴾ يعني: الأوثان هل يستطيعون؟ أي: لا يستوي الله والأوثان ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقولو للمشركين .
﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ^(١) مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأوثان ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: يصنعون بالأيدى .

﴿أَمَوْتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢﴾ لَا جَزَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ السُّتَكْبِرِينَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

معنى قالوا: إنه أساطير الأولين^(١) ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي: آثامهم ﴿كاملة يوم القيامة﴾ يعني الذين قالوا: أساطير الأولين (١٧٣د) ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ أي: بشس ما يحملون.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أبما داع دعا إلى هدى فأتبع عليه، فله مثل أجر من اتبعه، ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، وأبما داع دعا إلى ضلالة فأتبع عليها فعليه مثل وزر من اتبعه، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»^(٢).

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَفَاقَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْشُّوَى عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِيًّا أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتَاوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩)

﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ يعني: الذين أهلك بالرجفة من الأمم السالفة رجفت بهم الأرض ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ سقطت سقوف منازلهم عليهم.

(١) أي: ارتفعت على الخبرة، وحذف المبتدأ. ينظر: إعراب القرآن (٢٠٨/٢) البحر (٥/٤٨٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٩٦/١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٨١-٢٢٨٢ رقم ١٢٥٠٧) عن الربيع بن أنس مرسلاً.
وروى مسلم (٤/٣٦٤ رقم ٢٦٧٤) عن أبي هريرة نحوه.

﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أي: تعادون فيهم، وعداوتهم لله: عبادتهم الأوثان من دونه، ومعنى (شركائي) أي: الذين زعمتم أنهم شركائي.

﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾ يعني: العذاب على الكافرين؛ وهذا الكلام يوم القيامة.

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ تفسير الحسن: وفاة إلى النار؛ أي: حشُر ﴿فألقوا السلم﴾ قال الحسن: يعني: أعطوا الإسلام واستسلموا؛ فلم يقبل منهم ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ قال الحسن: إن في القيامة موطن، فمنها موطن يقرون فيه بأعمالهم الخبيثة، ومنها موطن ينكرون فيه، ومنها موطن يختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم، وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَفِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي أنزل خيراً. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ الجنة ﴿ولدار الآخرة خيراً﴾ من الدنيا ﴿ولنعلم دار المتقين جنات عدن يدخلونها﴾. قال محمد: (جنات عدن) مرفوعة بإضمار (هي) (١).

(١) أي: على الخبرية، مع حذف المبتدأ. وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر الدر المصون (٣٢٤/٤).

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ تقبض أرواحهم ﴿طيبين﴾ يعني: أحياء وأمواتا
﴿يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾.

يحيى: عن حيوة بن شريح قال: إن الملائكة تأتي ولي الله عند الموت
فتقول: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام. وتبشره بالجنة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٢) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا
عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا آبَاءُؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُسِينُ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ
عَبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧)

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ تفسير الحسن:
يقول: هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بعذابهم؛ يعني: مشركي العرب،
أو يأتي أمر ربك؛ يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها آخر كفار هذه الأمة
الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه قبل عذاب الآخرة. قال: ﴿كذلك فعل
الذين من قبلهم﴾ أي: كذلك كذب الذين من قبل مشركي العرب ﴿أو يأتي
أمر ربك﴾ يعني: النفخة الأولى؛ كما كذب مشركو العرب، فأهلكناهم
بالعذاب... الآية.

﴿فَأَصَابِهِمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ ثواب ما عملوا ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: ثواب ما كانوا به يستهزئون بآيات الله وبالرسل.

﴿وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وهو ما حُرِّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَقَالَ اللَّهُ جَوَابًا لِقَوْلِهِمْ: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ يعني: مِمَّنْ أَهْلَكَ بِالْعَذَابِ ﴿أَنْ عَابَدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ والطَّاغُوت: الشَّيْطَانُ؛ هُوَ دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ كَانَ عَاقِبَتُهُمْ أَنْ دُمِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ صَبَّرَهُمْ إِلَى النَّارِ.

﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هِدَايِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا هَادِي لَهُ﴾^(١).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) لَيْسَ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) ﴿

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ قَالَ: ﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ لِيُبْعَثَهُمْ.

قال محمد: (وعدا) مصدر^(١)؛ والمعنى: وعد بالبعث وعدا.

﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ أي: ما كانوا يختلفون في الدنيا؛ يعني: المؤمنين والكافرين ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في قولهم في الدنيا: ﴿لا يبعث الله من يموت﴾^(٢).

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له﴾ قبل أن يكون (ل) (١٧٤) ﴿كن فيكون﴾.

قال محمد: (فيكون) بالرفع على معنى: فهو يكون^(٣).

﴿والذين هاجروا في الله﴾ إلى المدينة ﴿من بعد ما ظلموا﴾ من بعد ما ظلمهم المشركون ﴿وأخرجوا ديارهم﴾ من مكة ﴿لنبوثهم في الدنيا حسنة﴾ يعني: المدينة؛ في تفسير قتادة ﴿ولأجر الآخرة﴾ الجنة ﴿أكبر﴾ من الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن الجنة خير من الدنيا. ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ قال الحسن: وهم الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ

﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَىٰ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٨﴾ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ

(١) أي: مصدر مؤكد. الدر المصون (٤/٣٢٦).

(٢) النحل: ٣٨.

(٣) تقدم الكلام عليه في سورة (البقرة الآية: ١١٧).

وَالْمَلَكُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾
 ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ يقوله
 للمشركين ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر: عبد الله بن سلام، وأصحابه
 الذين أسلموا؛ في تفسير السدي.

﴿بالبينات والزبر﴾ يعني: الكتب.

قال يحيى: فيها تقديم: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً
 نوحى^(١) إليهم.

﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ القرآن.

﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ يعني: الشرك ﴿أن يخسف الله بهم الأرض
 أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في ثلبيهم﴾ أي: في
 أسفارهم في غير قرار ﴿فما هم بمعجزين﴾ بسابقين ﴿أو يأخذهم على
 تخوف﴾ تفسير الكلبي: يعني: على تنقص؛ أي: يبتليهم بالجهد حتى يرقوا
 ويقل عددهم.

قال محمد: يقال: تخوفته الدهور؛ أي: تنقصته^(٢).

قال بعض الشعراء - يصف ناقه - وأن السير نقص سنامها بعد تمكنه
 واكتنازه:

تخوف السير منها ثامكاً قرذاً كما تخوف غود الثبغة السفن^(٣)

(١) في الأصل: يوحى. وهو تصحيف.

(٢) و(تخوف) مطاوع (خوف). لسان العرب (خوف).

(٣) ويروى: (تخوف الرجل.. إلخ). والبيت من بحر البسيط. وهو لأبي كبير الهذلي. ينظر
 البحر المحيط (٤٩٥/٥) ونسبه صاحب لسان العرب لابن عقيل (خوف)، ولذي الرمة
 (سفن). وانظر روح المعاني (١٥٢/١٤).

التَّبْعُ: العُودُ الذي يُعمل منه السهام والقسي.

قوله: ﴿فَإِنْ رِبْكُمْ لِرءِوفٍ رَحِيمٍ﴾ أي: إن تابوا وأصلحوا.

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا﴾ أي: يرجع ﴿ظِلَالُهُ﴾ يعني: ظل كل شيء ﴿عَنِ اليمين والشمائل﴾ تفسير الحسن: ربما كان الفياء عن اليمين، وربما كان عن الشمال ﴿سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون. قال محمد: يقال: دخر لله؛ أي: خضع^(١)، و﴿سَجْدًا﴾ منصوبٌ على الحال^(٢).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمُوتِ﴾ يعني: الملائكة ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادة الله؛ يعني: الملائكة. قال محمد: قيل لي قوله: (والملائكة) أي: تسجد ملائكة الأرض.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّبِعُوا إِلَهَينِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ (٥١) ﴿وَلَمْ يَأْمُرْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ الْدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥٢) ﴿وَمَا يَكُم مِّن تَقَمَّرٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾ (٥٣) ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٥) ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ (٥٦)

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي: لا تعبدوا مع الله غيره ﴿إنما هو إلهٌ واحدٌ فإياي فارهبون﴾ فخافون^(٣).

(١) لسان العرب (دخر).

(٢) حال من قوله تعالى: (ظلاله)، وهو جمع (ساجد) ينظر الدر المصون (٤/٣٣٢).

(٣) وحذف ياء (فخافون) والأصل: (فخافوني) على سبيل المشاكلة، أي: لقوله تعالى:

﴿فارهبون﴾.

﴿وله الدين واصباً﴾ أي: دائماً ﴿أفغير الله تتقون﴾ تعبدون؛ يقول هذا للمشركين على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم، فعبدتم الأوثان من دونه.

﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر﴾ المرض والشدائد ﴿فإليه تجأرون﴾ تصرخون؛ أي: تدعونه ولا تدعوا الأوثان.

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف تعلمون﴾ هذا وعيدٌ.

﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً﴾ يعني: آلهتهم؛ أي: يجعلون لما لا يعلمون أنه خلق مع الله شيئاً، ولا أمات ولا أخيا ولا رزق معه شيئاً ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ يعني: قوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾^(١) قال الله - عز وجل -: ﴿تالله﴾ قسمٌ يقسم بنفسه ﴿لتسئلن عما كنتم تفترون﴾.

قال محمد: المعنى: تسألون عن ذلك - سؤال توبيخ - حتى تعترفوا به على أنفسكم، وتلزموا أنفسكم الحجة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِدَءِ أَيْمِكُمْ عَلَىٰ هُوبٍ أَمْ يُدْسِئُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمُنْتَلَىٰ ٦٠ أَلْعَلَّىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦١ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُخَوِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦٢﴾
﴿ويجعلون لله البنات﴾ كان مشركو العرب يقولون: إن الملائكة بنات

اللَّهُ. قال الله: ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه عما قالوا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون؛ يعني: الغلمان ﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا﴾ أي: متغيرًا ﴿وهو كظيم﴾ أي: كظيم على الغيظ والحزن. (ل١٧٥) قال محمد: وأصل الكظم: الحبس^(١).

﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾ يقول: يتفكر كيف يصنع بما بشر به؛ أيمسكه على هوان - يعني: الابنة - أم يدفنها حيَّةً حتى تموت مخافة الفاقة ﴿ألا ساء﴾ بش ﴿ما يحكمون﴾ وهذا مثل ضربه الله لهم في قولهم: الملائكة بنات الله. ثم قال: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى﴾ يقول: ولله الإخلاص والتوحيد؛ في تفسير قتادة.

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ أي: لحبس المطر؛ فأهلك حيوان الأرض ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يؤخر المشركين ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى الساعة؛ لأن كفار آخر هذه الأمة آخر عذابها بالاستئصال إلى النفخة الأولى ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ بعذاب الله ﴿لا يستأخرون...﴾ عنه عن العذاب، الآية

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ إِنَّ لَهُمُ لَلشَّيْءَ لَاجِرَمَ أُنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا إِتْبَاعِنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَأَ بِهِ

(١) يقال منه: كَظَمَ يَكْظِمُ كَظْمًا فهو كَاظِمٌ وكَظِيمٌ. لسان العرب (كظم).

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّ لِكُلِّ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْفِكُوا بِمَا فِي
بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمِرٍ لِّبَنَاءٍ خَالِصًا سَائِقًا لِلشَّرِيعِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ
تَنَزَّلُ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يجعلون له البنات، ويكرهونها لأنفسهم
﴿وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ يعني: البنين؛ في تفسير السدي
﴿لا جرم﴾ كلمة وعيد؛ وقد مضى تفسيرها ﴿أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ قرأها
الحسن بتسكين الفاء وفتح الراء ^(١) - وكان تفسيرها: مُعْجَلُونَ إِلَى النار ^(٢)، وقرأ
بعضهم (مُفْرَطُونَ) بفتح الفاء وتشديد الراء ^(٣)؛ وصفهم بالتفريط.

قال محمد: وقراءة نافع ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بتسكين الفاء وكسر الراء ^(٤)؛ وهو من
الإفراط في معصية الله.

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة﴾
يقول: فيه هدى ورحمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قال محمد: من قرأ (ورحمة) بالنصب، فالمعنى: ما أنزلناه عليك إلا
للبیان والهداية والرحمة ^(٥).

﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يعني: الأرض

(١) وهي قراءة الشُّبَّةِ إلا نافعاً. ينظر: السبعة (٣٧٤)، التيسير (١٣٨)، الدر المصون (٤/٣٣٩).

(٢) وهو قول قتادة أيضاً، واختاره الزجاج وابن قتيبة وغيرهما. ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٩٨) البحر (٥٠٦/٥)، مجمع التفسير (٦١٤/٣).

(٣) بكسر الراء المشددة وفتحها وهي قراءة أبي جعفر، ينظر: البحر (٥٠٦/٥)، الإعراب للنجاشي (٢/٢١٥).

(٤) ينظر: السبعة (٣٧٤)، التيسير (١٣٨)، الدر المصون (٤/٣٣٩).

(٥) أي: انتصب مفعولاً لأجله. ينظر الدر المصون (٤/٣٤٠).

التي ليس فيها نبات؛ فيحييها بالمطر؛ فتنبت بعد إذ لم يكن فيها نبات ﴿إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ فيعلمون أن الذي أحيا هذه الأرض الميتة حتى أنبت - قادرٌ على أن يحيي الموتى.

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين﴾ يقول: في هذا اللبن الذي أخرجه الله من بين فرثٍ ودمٍ آية لقوم يعقلون؛ فيعلمون أن الذي أخرجه قادرٌ على أن يحيي الموتى. قال محمد: يقال: سقيته وأسقيته بمعنى واحد^(١). و(الأنعام) لفظه لفظٌ جميع، وهو اسمُ الجنس يذكر ويؤنث^(٢)، والفرث: ما في الكرش^(٣)، والسائغ: السهلُ في الشرب^(٤).

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾ أي: وجعل لكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً. تفسير مجاهد: السُّكْرُ: الخمرُ قبل تحريمها، والرزق الحسن: الطعام.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَيُنَكِّرُ مَن يَرُدُّ إِلَيْهِ أَرْوَاحُ الْأَمْمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي فَضَّلُوا بَرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَهُمُ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَةٍ أَلَّهِ

(١) وأيضاً: (ساقيتُهُ) بنفس المعنى. لسان العرب (سقى).

(٢) ويقال: واحده: (النَّعَم)، ويجمع أيضاً على (أناعيم). لسان العرب (نعم).

(٣) ويسمى أيضاً: (الفرثة)، ويجمع على: (فُرُوث). لسان العرب (فرث).

(٤) ويقال: ماء سائغ، وسَيْغ. لسان العرب (سَيْغ).

يَجْعَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ لِطَبْعِ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبَنِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَقْرَئُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ أي: ألهمها ﴿ومما يعرشون﴾ أي: يبنون ﴿فاسلكي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني: طرق ربك التي جعل لك ﴿ذلالا﴾ قال مجاهد: يعني: ذلت لها السبل لا يتوغر عليها مكان ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ يعني: العسل ﴿مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ أي: دواء .
﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا﴾ يقول: يصير بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئا .

﴿والله فضل بعضكم على بعض...﴾ الآية، يقول: هل منكم من أحد يكون هو ومملوكه وأهله وماله شركاء سواء؛ أي: أنكم لا تفعلون ذلك بمملوكيكم؛ فالله أحق ألا يشرك به أحد من خلقه .

﴿أفبنتمة الله يجحدون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا ذلك .

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ يعني: نساء ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ تفسير الحسن: الحفدة: الخدم؛ يعني: بذلك ولده وولد ولده؛ يقال: إنهم بنون وخدم .

قال محمد: وأصل الحفد^(١): الخدمة والعمل، ومنه يقال في القنوت: (ل) (١٧٦) «وإليك نسعى ونحفد»^(٢) أي: نعمل بطاعتك .

(١) حَفَدٌ يَخْفُدُ حَفْدَانًا: أسرع في العمل. لسان العرب (حفد).

(٢) هو في قنوت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر مسند الفاروق (١/ ١٦٨ - ١٦٩).

﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد آمنوا بالباطل، والباطل: إبليس ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ هو كقوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾^(١).

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون﴾ يعني: الأوثان التي يعبدون؛ هو كقوله: ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾^(٢).

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فتشبهوا هذه الأوثان الميتة التي لا تحيي ولا تميت ولا ترزق بالله الذي يحيي ويميت ويرزق، ويفعل ما يريد.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زَجَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤)

﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ تفسير قتادة: هذا مثل ضربه الله للكافر؛ رزقه الله مالاً فلم يقدم منه خيراً، ولم يعمل فيه بطاعة ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه﴾ وهذا مثل المؤمن أعطاه الله رزقاً حلالاً طيباً، فعمل فيه بطاعته وأخذه بشكر ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي: أنهما لا يستويان ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) الفرقان: ٣.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ أي: لا يتكلم؛ يعني: الوثن ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ على وليه الذي يتولاه ويعبده؛ أي: أنه عمله بيده وينفق عليه كسبه ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ﴾ هذا العابد له؛ يعني: دعاء إياه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي﴾ هذا الوثن ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ وهو الله ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو مثل قوله: ﴿إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧) ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِثْقَالًا إِلَى حِينٍ﴾ (٨٠)

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يعلم غيب السموات وغيب الأرض ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بل هو أقرب من لمح البصر، ولمح البصر أنه يلمح السماء؛ وهي على مسيرة خمسمائة عام. قال محمد: قيل: إن الساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم؛ فأعلم جل وعز أن البعث والإحياء في سرعة القدرة على الإتيان بهما كلمح البصر أو هو أقرب؛ ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، والله أعلم. ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ﴾ كبد السماء ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ ما يمسكهن

إلا الله ﴿يبين قدرته للمشركين؛ يقول: هل تصنع ألهتكم شيئاً؟!﴾
 ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ تسكنون فيه ﴿وجعل لكم من جلود
 الأنعام﴾ يعني: من الشعر والصوف ﴿بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم﴾ يعني:
 في سفركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ يعني: قراؤكم في غير سفر ﴿ومن أصوافها
 وأوبارها وأشعارها أثاثاً﴾ قال الأعمش: الأثاث: المال يستمتع به ﴿إلى
 حين﴾ إلى الموت.

قال محمد: وواحد الأثاث: أثاثه^(١)؛ يقال: قد أث الرجل يث أثاً؛ إذا
 صار ذا أثاث، والأثاث: متاع البيت؛ عند أهل اللغة^(٢).

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
 لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَاسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ رِزْقَهُ
 عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ فَإِنْ قَوْلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ
 اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْفَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا
 يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٩﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ
 عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٠﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ قال قتادة: يعني: من الشجر وغيرها
 ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ يعني: الغيران التي تكون في الجبال تكن من
 الحر والبرد ﴿وجعل لكم سراويل تقيكم الحر﴾ يعني: من القطن والكتان

(١) ويجمع الأثاث على: الأثاث.

(٢) يقال: أث يث أثاً وأثناً وأثانة، فهو أث وأثيث، والجمع: إثاث. لسان العرب
 (أث).

والصوف ﴿وسراييل تقيكم بأسكم﴾ يعني: دروع الحديد تقي القتال .
 ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ لكي تسلموا؛ يقول: إن
 أسلمتم تمت عليكم النعمة بالجنة، وإن لم تسلموا لم تتم عليكم النعمة ﴿فإن
 تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: ليس عليك أن تهديهم، وكان هذا قبل
 أن يؤمر بقتالهم.

﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ يقول: يعرفون ويقولون أن الله خلقهم،
 وخلق السموات والأرض، وأنه هو الرزاق، ثم ينكرون ذلك بتكذيبهم
 وأكثرهم الكافرون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ يعني: نبياً يشهد عليهم (١٧٧) أنه قد
 بلغهم ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ هي مواطن: لا يؤذن لهم
 في موطن في الكلام، ويؤذن لهم في موطن.

﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه؛ يعني: المشركين ﴿فلا
 يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ سألوا الله أن يؤخرهم، فيردهم
 إلى الدنيا حتى يتوبوا؛ فلم يؤخرهم.

﴿وَإِن رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ
 دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ سَلًّا
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
 الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
 وَجُنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
 وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ يعني: شياطينهم الذين كانوا يضلونهم في الدنيا ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا ندعو من دُونِكَ﴾ قالوا هذا؛ لأنهم هم الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿فَالْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ ألقى بنو آدم إلى شياطينهم القول؛ أي: حدثوهم؛ فقالوا لهم: ﴿إِنكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: أنكم كذبتُمونا في الدنيا وغررتمونا ﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ أي: استسلموا وآمنوا بالله، وكفروا بالشياطين والأوثان ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ تفسير ابن مسعود: حيات وعقارب لها أنياب مثل النخل الطوال.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيهم؛ هو شاهد عليهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أمته ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني: ما بين فيه من الحلال والحرام، وكل ما أنزل الله فيه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقَصَّتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَلِكَبِّتَنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني: حق القرابة.

قال الحسن: حق الرِّجَم ألا تحرمها ولا تهجرها ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ أي: ينبغي بعضهم على بعض.

يحيى: عن خدّاش، عن عُيَيْنَةَ بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يُعْجَلَ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدْخَرُ له في الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»^(١).

﴿ولا تقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ يعني: تشديدها وتغليظها ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾ ينهاهم عن نكث العهد؛ يقول: فيكون مثلكم إن نكثتم العهد مثل التي نقضت غزلها من بعد ما أبرمتها، والمرأة التي ضربت مثلاً كانت تغزل الشعر؛ فإذا غزلته نقضته، ثم عادت فغزلته.

قال محمد: (أَنكَاثًا) منصوب؛ لأنه في معنى المصدر^(٢)، وواحد الأنكاث: نكث^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٣٦/٥، ٣٨) وابن المبارك في المسند (٩ رقم ١٥) والطبراني (١١٨ رقم ٨٨٠) ووكيع في الزهد (٢٤٣، ٤٢٩) وهناد في الزهد (١٣٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣ رقم ٢٩، ٣٦ رقم ٦٧) وأبو داود (٥/٣١٤ رقم ٤٨٦٦) والترمذي (٤/٥٧٣ رقم ٢٥١١) وابن ماجه (٢/١٤٠٨ رقم ٢٤١١) والبيزار في مسنده (٩/١٢٨ رقم ٣٦٧٨) وابن حبان (٢/٢٠٠-٢٠١ رقم ٤٥٥، ٤٥٦) والحاكم (٢/٣٥٦، ٤/١٦٣) وغيرهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البيزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه عن النبي ﷺ إلا أبو بكرة، وله عن أبي بكرة طرق، وعيينة حدث عنه شعبة وغيره، بصري معروف.

(٢) إعراب القرآن (٢/٢٢٢)، البحر (٥/٥٣٠-٥٣١).

(٣) يقال: خَبَلَ نَكَثَ وَأَنكَاثَ؛ أي: منكوث. لسان العرب (نكث).

﴿دَخَلَا بَيْنَكُم﴾ أي: خيانة وغدراً ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: أكثر؛ يقول: فتقضوا عهد الله لقوم هم أكثر من قوم.

قال مجاهد: كانوا يحالفون قوماً فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضوا حلف هؤلاء ويحالفون الذين هم أعز، فنهوا عن ذلك.

﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ أي: يختبركم ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الكفر والإيمان.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتُسَلِّحَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُم فَتَرْثَلَوْنَ بِهَا وَتُوْثِقُوا أَلْسِنَتَكُمْ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِدَّكُمْ يَفْعَلُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِمِثْلِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ يعني: على ملة الإسلام.

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾ تفسير الحسن: يقول: لا تصنعوا كما صنع المنافقون، فظهروا الإيمان وتسروا الشرك ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ تزل إلى الكفر بعد ما كانت على الإيمان ﴿ولا تشتروا بعهد الله﴾ يعني اليمين

الكاذبة ﴿ثُمَّنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا.

﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ تفسير وهب بن منبه: يعني: القناعة.

﴿فإذا قرأت القرآن...﴾ الآية، قال الحسن: نزلت في الصلاة، ثم صارت سنة في غير الصلاة؛ إذا أراد أن يقرأ.

﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ هو كقوله: ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾^(١).

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ أي: يطيعونه من غير أن يستطيع أن يكرههم ﴿والذين هم به مشركون﴾ أي: بالله مشركون.

قال محمد (ل ١٧٨) قيل: المعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله.

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَاتِ الْأَذَى يُلْمِذُونَ إِلَيْهِ أُعْجِبْ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر﴾ تفسير الحسن: كانت الآية إذا نزلت؛ فعمل بها وفيها شدة، ثم نزلت بعدها آية فيها لين قالوا: إنما يأمر محمد أصحابه بالأمر؛ فإذا اشتد عليهم صرفه إلى غيره، ولو كان هذا الأمر من عند الله لكان أمراً واحداً، وما اختلف ولكنه من قبل

(١) الزمر: ٣٧، ووردت في الأصل: ومن يهد الله فلا مضل له

محمد قال الله: ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ فأخبر أنه نزل به جبريل من عند الله، وأن محمدًا لم يفتّر منه شيئًا.

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾ يعني: مشركي العرب ﴿إنما يعلمه بشر﴾ يعنون: عبدًا لابن الحضرمي، وكان روميًا صاحب كتاب - في تفسير قتادة - اسمه: حَبْر.

وقال بعضهم: هو عداس غلام عتبة بن ربيعة.

قال الله: ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾ أي: يميلون إليه ﴿أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ فأكذبهم.

﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله﴾ هؤلاء الذين لا يريد الله أن يهديهم يلقونه بكفرهم.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ لَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ لَفَعَلُوا ﴿١١٨﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَيْرُونَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَّهُدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ أي: من كفر بالله من بعد إيمانه ﴿إلا من أكره﴾ أي: من أكرهه الله وقبض قلبه مطمئن بالإيمان ﴿أي: راض به﴾ نزلت في عمار بن ياسر وأصحابه؛ أخذهم المشركون، ووقفهم على الكفر بالله ورسوله، فخافوا منهم؛ فأعطوهم ذلك بأفواههم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: الذين يلقون الله بكفرهم .
 ﴿ثُمَّ إِنْ رِبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا﴾ تفسير الحسن: هم قوم كانوا بمكة، فعرضت لهم فتنة؛ فارتدوا عن الإسلام وشكوا في نبي الله، ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول الله بالمدينة، ثم جاهدوا معه وصبروا .
 ﴿وَلَكِنْ مِنْ شَرِّهِ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ قال محمد: يعني: فتح له بالقبول صدره .

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١) وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ عَفْوٌ رَحِيمٌ (١١٥)

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ تفسير الحسن: إن كل نفس توفى بين يدي الله للحساب، ليس يسألها عن عملها إلا الله ﴿ثُمَّ تُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ﴾ أما الكافر فليس له من حسناته في الآخرة شيء قد استوفاه في الدنيا، وأما سيئاته فيؤاقلها في الآخرة يُجَازَى بها النار، وأما المؤمن فهو الذي يوفى الحسنات في الآخرة، وأما سيئاته فإن منهم من لم يخرج من الدنيا حتى ذهبت سيئاته بالبلاء والعقوبة، ومنهم من يبقى عليه من سيئاته، فيفعل الله فيه ما يشاء .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ القرية: مكة، والرسول: محمد؛ كفروا بأنعم الله؛ فكذبوا رسوله ولم يشكروا. وقوله: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ يعني: الجوع الذي عذبوا به بمكة قبل عذابهم يوم بدر، ثم عذبهم الله بالسيف يوم بدر، وأما الخوف: فبعد ما خرج النبي ﷺ عنهم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يعني: ما أحل من الرزق .
﴿وما أهل لغير الله به﴾ يعني: ذبائح المشركين، ثم أحل ذبائح أهل الكتاب ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ قد مضى تفسيره.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ .
قال محمد: المعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب: هذا حلال وهذا حرام؛ يعني: ما حرموا من الأنعام والحرث، وما استحلوا من أكل الميتة.
﴿متاع قليل﴾ أي: أن الذي هم فيه من الدنيا ذاهبٌ ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم﴾ بكفرهم ﴿ما قصصنا عليك من قبل﴾ يعني: ما قص في سورة الأنعام ما حرم عليهم بقوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر...﴾ ﴿^(١) الآية.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨٠﴾ شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لِنَصِيبٍ ﴿١٨٢﴾ ثُمَّ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها﴾ (ل ١٧٩) من بعد تلك الجهالة؛ إذا تابوا منها ﴿لغفور رحيم﴾ فكل ذنب عمله العبد فهو منه جهل.

﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ والأمة: السيد في الخير الذي يُعلم الخير ﴿قانتا﴾ مطيعا ﴿حنيفا﴾ أي: مخلصا.

﴿اجتباها﴾ اختاره ﴿وهده إلى صراط مستقيم﴾.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ كقوله: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾^(١) فليس من أهل دين إلا وهم يتولونهُ ويرضونه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧٩﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذِبِينَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَعَاقِبَةٌ يُمْشِلُ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِّمَّنْ يَتَكَبَّرُونَ ﴿١٨٢﴾﴾

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿إنما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه﴾ تفسير قتادة: استحله بعضهم، وحرّمه بعضهم ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة﴾ وحكمه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الجنة، ويدخل الكافرين النار .

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ دين ربك ﴿بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ يعني: القرآن ﴿وجادلهم بالتّي هي أحسن﴾ يأمرهم بما أمرهم الله به، وينهاهم عما نهاهم الله عنه .

﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ تفسير ابن عباس: قال: «لما كان يوم أحد مثل المشركون بحمزة، وقطعوا مذاكره، فلما رآه النبي ﷺ جزع عليه جزعاً شديداً، فأمر به فغطي بيرة كانت عليه، فمدّها على وجهه ورأسه، وجعل على رجليه إذخراً^(١)، ثم قال: لأمثلن بثلاثين من قريش. فأنزل الله: ﴿وإن عاقبتهم...﴾ إلى قوله: ﴿وما صبرك إلا باللّه﴾ فصبر رسول الله ﷺ ونهى عن المثلة^(٢) .

(١) هو حشيشة طيبة الرائحة تسقّف بها البيوت فوق الخشب، وهمزتها زائدة. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٣/١).

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء (٢٤٠/١ - ٢٤١) والدارقطني في سننه (١١٨/٤ رقم ٤٧) والواحدي في أسباب النزول (ص ٢١٠) من طريق إسماعيل بن عياش، عن عبد الملك بن أبي غنية أو غيره، عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن ابن عباس ؓ. قال العقيلي: قال أبو عبد الرحمن - يعني: عبد الله بن الإمام أحمد - فحدثت أبي، فقال: هذا من حديث الحسن بن عمار، ليس من حديث ابن أبي غنية، هو اتقى لله من أن يحدث مثل هذا. اهـ.

وقال الدارقطني: لم يروه غير إسماعيل بن عياش، وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين. اهـ.

ورواه الإمام أبو قرّة موسى بن طارق الزبيدي في سننه عن الحسن بن عمار، عن الحكم بن

﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا؛ يعني: المشركين ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ أي: لا يضيق صدرك بمكرهم وكذبهم عليك؛ فإن الله معك و﴿مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.



= عتية مثله سواء. التعليق المغني على سنن الدارقطني (١١٨/٤).
ورواه الطبراني في الكبير (١١/٦٢ - ٦٣ رقم ١١٠٥١) من طريق أحمد بن أيوب بن راشد،
عن عبد الأعلى، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي والحكم بن عتية، عن
مقسم ومجاهد، عن ابن عباس.
قال الهيثمي في المجمع (١٢٠/٦): وفيه أحمد بن أيوب بن راشد، وهو ضعيف.
ورواه الدارقطني (٤/١١٦ رقم ٤٢) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن أفلح بن سعيد،
عن محمد بن كعب، عن ابن عباس. وقال الدارقطني: عبد العزيز بن عمران ضعيف. اهـ
ورواه الطحاوي في شرح المعاني (٣/١٨٣) والبيهقي في الدلائل (٣/٢٨٨) والواحدي في
أسباب النزول (ص ٢١١) من طريق يحيى الحماني، عن قيس، عن ابن أبي ليلى وعن
الحكم، عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنه.
وله شاهد عن أبي هريرة، أشرت إلى من خرج في تخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/٢١١).

فهرس الموضوعات

٥	تفسير سورة المائدة
٥٨	تفسير سورة الأنعام
١١١	تفسير سورة الأعراف
١٦٤	تفسير سورة الأنفال
١٩١	تفسير سورة براءة
٢٤٣	تفسير سورة يونس
٢٧٧	تفسير سورة هود
٣١٥	تفسير سورة يوسف
٣٤٤	تفسير سورة الرعد
٣٦١	تفسير سورة إبراهيم
٣٧٩	تفسير سورة الحجر
٣٩٤	تفسير سورة النحل
٤٢٥	فهرس الموضوعات